يُهْدَى وَلا يُبَاعُ

عَالَمِيَّةُ الإِسْلامِ

الجزء الثّالث

١- المساواة أمام القانون ٢- جزاء كلّ من يعمل لا خصوص المسلم

٣- قتل النّفس المحترمة ٤- المسالم والمحارب

٥- مكانة المرأة في القرآن ٦- ليس الذّكر كالأنثى

٧- لا إكراه في اعتناق الاعتقادات ٨- من هو الكافر في القرآن ؟

٩- قاتلوا الّذين يقاتلونكم

١٠- قصّة غريبة عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله والتّحقيق فيها

١١- نظام العقوبات ودخالة الزّمان والمكان في الأحكام

١٢- غايات الأحكام ١٣- الإله الخالق للكون مقدّمات عامة

١٤- النّصوص الدّينيّة للمسلم وغير المسلم

١٥- الوصول إلى الحقائق مع الدّليل

الشّيخ محمّد أشكناني

الطّبعة الأولى

١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م

حقوق الطّبع محفوظة للمؤلّف

السّلام عليكم جميعًا

أرجو ممّن يقرأ هذا الكتاب أن يرسل رأيه عن الكتاب إلى الإيميل

mohashk14@hotmail.com

أو الواتساب على رقم

00965-99644250

يبدي رأيه في الكتاب وفي مشروع عالميّة الإسلام ، فآراؤكم تهمّنا وترشدنا إلى الأفضل ، وستنشر الآراء مع أسماء أصحابها في الجزء التّالي من الكتاب ، وأكون لكم من الشّاكرين .

الشّيخ محمّد أشكناني

موقع الشّيخ محمّد أشكناني
www.alashkanani.com

YouTube
Ashkanani Channel

Instagram
@alashkanani

البريد الإلكترونيّ للمؤلّف
mohashk14@hotmail.com

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِينَ

اللَّهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الحُجَّةِ ابْنِ الحَسَنِ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ

وَعَلَى آبَائِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلِيًّا

وَحَافِظًا وَقَائِدًا وَنَاصِرًا وَدَلِيلًا وَعَيْنًا حَتَّى تُسْكِنَهُ

أَرْضَكَ طَوْعًا وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا

بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِينَ

تعليق على محاضرات
"عالميّة الإسلام"

الدّكتور أحمد الوايل – الكويت ٢٠٢٠/٤/٢٢ م

تابعت الكثير من حلقات عالميّة الإسلام ، وللأمانة الموضوع شيّق وجديد بالنّسبة لي ، وغيّر مجموعة من قناعاتي ، وأكبر ثمرة استفدت منها هو التّجرّد الفكريّ ، وعدم الانسياق مع أيّ قناعة إلّا مع وجود دليل معتبر ، وأنّ كثيرًا من المسلَّمات عند العامّة لا تستند إلى أصل أصيل ودليل معتبر .

ومن الأمور الّتي ذكرتها وظلّت عالقةً ببالي هو موضوع اهتمام النّاس بالتوافه ، نجد فيديوات تافهة تطرح أمورًا تافهة ، وتتمسخر على بعض النّاس ، وترى لها متابعات كبيرة جدًّا ، وتصل المشاهدات إلى مئات الألوف على لا شيء ، والمواضيع الفكريّة والمواضيع العلميّة تجد أنّ المشاهدات تكون أعدادًا قليلةً ، تشعر فعلًا بأنّ النّاس يريدون أن يتسلّوا بشيء تافه ، ولكنّهم لا يخصّصون وقتًا معيّنًا لتنمية فكرهم وفائدتهم ودنياهم وآخرتهم وتطوير أنفسهم .

عالميّة الإسلام

(٢٨)

تابع محاور القرآن الكريم [١]

ومنها مكانة المرأة

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

كان الكلام في محاور القرآن الكريم ، وأخذنا بعض المحاور ، ونأتي الآن إلى المحور الخامس .

المحور الخامس : المساواة أمام القانون :

إنّ الحكم الإسلامي لا يفرّق بين أفراد المجتمع في تطبيق القوانين ، فلا فرق فيه بين القويّ والضّعيف ، والرّئيس والمرؤوس ، والعربيّ والأعجميّ ، والغنيّ والفقير ، فالقانون يُطَبَّقُ على الجميع بالمساواة .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : أيّها النّاس ، ألا إنّ ربّكم واحد ، وإنّ أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربيّ على عجميّ ، ولا

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ١٥ ربيع الأوّل ١٤٤٠ هـ ، الموافق ٢٠١٨/١١/٢٣ م .

عجميّ على عربيّ ، ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود – إلّا بالتّقوى [١] .

إذن التّمييز بين النّاس يكون على أساس التّقوى .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةِ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ" [٢] .

وتلك الرّواية متوافقة مع القرآن الكريم ، والرّواية موجودة في مصدر من مصادر المسلمين السّنّة ، وقلنا إنّه لايوجد مانع من الاستفادة من الرّوايات الواردة في مصادر أهل السّنّة ما دام أنّ الرّواية تتوافق مع القرآن ، وتوجد روايات مشابهة لهذه الرّواية في مصادر أتباع أهل البيت عليهم السّلام .

عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السّلام : . . . ، فليس لأحد فضل على أحد إلّا بالتّقوى [٣] .

القرآن الكريم يقول في باب القصاص حكايةً عن التّوراة :

"وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ" [٤] .

---

[١] تفسير القرطبيّ ج١٦ ص٣٤٢ .

[٢] الحجّ : ١ .

[٣] الكافي ج٢ ص٣٢٨ ح٣ ، وروايات أخرى في الأمالي للشّيخ الطوسيّ ص٧٢٩ ، وبحار الأنوار ج٢٢ ص٣٤٨ ، وج٣٢ ص٢٧ .

[٤] المائدة : ٤٥ .

هـذا القـانون قـانون عـالميّ في جميـع الأديان ، وحـتّى في القـوانين الوضعيّة ، ووضع القوانين في التّشريع الدّينيّ لا يختلف في الطّريقة عن وضـع القـوانين في القـوانين الوضـعيّة ، فكمـا أنّـه في القـوانين الوضـعيّة يلاحظون مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع ، كذلك في قانون العقوبات في القـوانين الدّينيّـة يراعـون أيضًـا نفـس الطّريقـة في وضـع الأحكـام والقـوانين ، فالمشـرّع الـدّينيّ كالمشـرّع الوضـعيّ يراعـي مصـلحة الفـرد ومصلحة المجتمع ، فيضع العقوبة المناسبة لكلّ جريمة بحسب مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع ، مثلًا شدّة العقاب تتناسب مع شدّة الجريمة ، فكلّمـا ازدادت شـدّة الجريمـة ازدادت العقوبـة ، فالإنسـان الّـذي يَقْتُـلُ يُقْتَلُ حتّى في القوانين الوضعيّة ، إلّا بعض الدّول التي حوّلوا القـانون من الإعدام إلى السّجن المؤبّد ، ولكن يظلّ هذا العقاب متناسبًا مع شدّة الجريمة ، والإنسان يكون محبوسًا طوال حياته في مكان واحد ، وهـذا شـيء شـديد ، وقـد يكـون أشـدّ مـن الإعـدام ، ففـي الإعـدام ينتهي الإنسان ، ولكنّ المحبوس حبسًا مؤبّدًا يظلّ يوميًّا في ضغوطات نفسيّة .

إذن يوجد قانون عالميّ موجود في الأديان وفي القوانين الوضعيّة ، وهو أنّ النّفس بالنّفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسّـنّ بالسّـنّ ، وكـذلك بقيّـة أعضـاء الجسـم ، والجـروح قصـاص ، فالإنسـان الّـذي يرتكـب أيّ جريـمة لا بـدّ أن يعاقـب ، وهـذا قـانون دوليّ عـامّ ، نعـم تختلـف الـدّول في تشـخيص المصـلحة ، فمـا هـي

المصلحة ؟ هل المصلحة في قتل مرتكب الجريمة أو سجنه ؟ وكم من السنوات يُسْجَنُ ؟

إنّ تقييم العقاب المناسب يختلف من دولة إلى دولة أخرى ، والدّين الإسلاميّ فيه أيضًا نظام العقوبات ، وسنأتي فيما بعد إلى موضوع "نظام العقوبات في الإسلام" ؛ لكي نرى أنّ هذه العقوبات المقرَّرة هل هي من باب المفاهيم أو من باب المصاديق ؟

وطرحنا سابقًا أنّ القرآن الكريم يطرح المفاهيم أحيانًا ، ويطرح المصاديق أحيانًا أخرى ، مثلًا نعيم الجنّة مفهوم ، والمصاديق تختلف ، فالقرآن يذكر بعض المصاديق ، منها الجنّات الّتي تجري من تحتها الأنهار ، هذا مصداق ، ونسأل :

هل المصاديق المذكورة في القرآن الكريم يُقْتَصَرُ عليها في يوم القيامة أو أنّ الإنسان يمكن أن يطلب أشياء أخرى غير مذكورة في القرآن الكريم ؟

الجواب :

يمكن له أن يطلب أشياء أخرى ، فما ذُكِرَ في القرآن يكون من باب المصداق والمثال ؛ لأنّ ما في الجنّة لا أذن سمعت به ولا عين رأته ولا خطر في ذهن أحد .

يقول تعالى :

"وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا العَالِمُونَ" [1] .

---

[1] العنكبوت : ٤٣ .

"وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" [١] .

إذن القرآن الكريم يذكر بعض المصاديق الّتي تتناسب مع ظروف ذلك الزّمان والمكان .

مثلًا حينما تقول الآية : **"حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الخِيَامِ"** [٢] .

الخيام تتناسب مع ظروف النّاس في ذلك الزّمان ، هل معنى ذلك أنّه لا توجد في الجنّة بيوت وقصور ؟

الجواب :

بلى ، توجد بيوت وقصور في الجنّة ، وليس الأمر مُقْتَصِرًا على الخيام .

إذن يوجد مفهوم ، وهو أنّ الإنسان يدخل إلى الجنّة ، ولكنّ النعيم يختلف ، والقرآن ذكر بعض المصاديق .

وسوف نأتي بعد ذلك في بحث مستقلّ إلى "نظام العقوبات في الإسلام" لنرى أنّ هذه العقوبات هل هي من باب المفاهيم أو من باب المصاديق ؟

إنّ من مظاهر العدل والمساواة أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام في عصر حكومته وهو حاكم المسلمين حضر مجلس القضاء عند شُرَيْحِ القاضي ، وجلس في جنب يهوديّ مخاصم ، فقال عليه السّلام : يا يهوديّ ، الدّرع درعي ، ولم أَبِعْ ولم أَهَبْ . فقال اليهوديّ : الدّرع لي

---

[١] الحشر : ٢١ .

[٢] الرّحمن : ٧٢ .

وفي يدي (والحكم الشّرعيّ هو أنّ ما كان في يده يعتبر ملكًا له ، والطّرف المخاصم يحتاج إلى شهود ليثبت أنّ هذا الشّيء ملكه) . فسأل شُرَيْحٌ الإمامَ عليه السّلام عن البيّنة (أي الشّهود ، وأقلّهم شاهدان عادلان ، ولم يكن عند الإمام عليه السّلام أيّ شهود) ، وأراد القاضي أن يحكم لصالح اليهوديّ ، فلمّا سمع اليهوديّ ذلك قال : هذا أمير المؤمنين جاء إلى الحاكم ، والحاكم حكم عليه . فأسلم ، ثمّ قال : الدّرع درعك ، سقطت يوم صفّين من جمل أورق فأخذتها [1] .

إذن الحاكم في الدّولة الإسلاميّة يقف أمام القاضي أمام مخاصمه ، والآن لننظر إلى زماننا ، لو كان يوجد حاكم ، ويوجد شخص مخاصم للحاكم ، فمن الطّبيعيّ أن يحكم القاضي لصالح الحاكم بدون ما يحضر الحاكم في المحكمة ، ولكن في الدّولة الإسلاميّة يُطَبَّقُ على الحاكم القانون كما يُطَبَّقُ على أضعف شخص موجود في الدّولة ، ولا يَفْرُقُ الأمر بين الحاكم والمحكوم .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : " إيّاكم والإِقْرَاد ، يكون أحدكم أميرًا أو عاملًا فتأتي الأرملة واليتيم والمسكين ، فيقال : اقْعُدْ حتّى ننظر في حاجتك (وهذا موجود في زماننا ، يأتي الفقير فيقال له اجلس ، فينتظر عدّة ساعات ، أو يقال له تعال بعد أسبوع) . فَيُتْرَكُونَ مُقَرَّدِينَ لا تُقْضَى لهم حاجة ، ولا يُؤْمَرُوا فَيَنْفَضُّوا ، ويأتي

---

[1] بحار الأنوار ج٤١ ص٥٦ ح٦ .

الرّجل الغنيّ الشّريف فيقعده إلى جانبه ، ثمّ يقول : ما حاجتك ؟ فيقول : حاجتي كذا وكذا ، فيقول : اقْضُوا حاجته وَعَجِّلُوا [1] .

وهذه الرّواية تتناسب مع القرآن الكريم ، فنأخذ بها .

هذا هو الفرق بين الدّولة الإسلاميّة والدّول الحاليّة ، فالإنسان الضّعيف حينما يذهب لإنجاز معاملة في وزارة أو إدارة فيقال له بلا أيّ عذر من الموظّف أن ينتظر ، ويترك عدّة ساعات وهو ينتظر ، وحينما يأتي الغنيّ أو من عنده واسطة فمباشرة يُسْأَلُ عن حاجته ، وتقضى له الحاجة سريعًا ، فأصحاب الواسطات معاملاتهم تُنْجَزُ بسرعة ، ومن ليس عنده واسطة ينتظر .

إذن الحاكم الّذي يريد كلّ شيء له ، والقاضي الّذي يحكم بالباطل ، والموظّف الّذي يعامل الغني والفقير بطريقتين – لا يكونون عدولًا ، والمطلوب منه في مقرّ عمله أن يتعامل بالعدل والمساواة مع الجميع ، ولا يتعامل على أساس أنّ هذا عنده واسطة ، وذاك لا توجد عنده واسطة .

إذن :

في الدّولة الإسلاميّة كلّ موظّف يقوم بعمله على أساس العدالة والمساواة .

---

[1] كنز العمّال ج٦ ص٢٩ الباب١ من كتاب الإمارة والقضاء من قسم الأقوال ، الحديث ١٤٧٠٥ ، الإقراد : السّكوت مع الذّل ، يقول ابن الأثير في النّهاية ج٤ ص٣٦ : أَقْرَدَ الرَّجُلُ : إذا سَكَتَ ذُلًّا .

المحور السّادس : جزاء كلّ من يعمل لا خصوص المسلم :

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ الله وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا" [١] .

"مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ" ، هذه قاعدة عامّة عالميّة ، ولم تخصّص القاعدة بغير المسلم ، كلّ من يعمل سوءًا سواء كان مسلمًا أم غير مسلم ، فالإنسان من أيّ دين كان سماويّا أو وضعيًّا أو من أيّ مذهب أو من أيّ ملّة أو من أيّ نحلة – إذا عمل سوءًا يُجْزى بما يعمل .

"وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا" ، وهذه قاعدة عامّة عالميّة أيضًا .

إذن توجد قاعدتان عامّتان عالميّتان : القاعدة الأولى هي **"مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ"** ، والقاعدة الثّانية هي **"وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ"** ، بمعنى أنّه من يعمل من الصّالحات من ذكر أو أنثى يُجْزَ به ، ليتناسب مع القاعدة الأولى ، فمن يعمل سوءًا يُجْزَ به ، ومن يعمل صالحًا يُجْزَ به .

والقاعدتان لم تُقَيَّدَا بالمسلم أو بغير المسلم ، فكلّ إنسان يعمل

---

[١] النّساء : ١٢٣-١٢٤ .

– سواء كان مسلمًا أم غير مسلم – يُجْزَى بعمله سواء كان العمل سوءًا أم صالحًا .

"يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ" [(١)] .

"وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا" ، الآية ذكرت الإيمان بالله ، ولم تذكر الإيمان بالنّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ولا الإيمان بيوم القيامة ، ولا الإيمان بالإمامة .

يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ" ، تتكلّم الآية عن الخلود في الجنّة .

إذن بحسب هذه الآية يوجد شرطان للخلود في الجنّة : الإيمان بالله ، والعمل الصّالح .

"إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" [(٢)] .

بحسب هذه الآية الكريمة توجد ثلاثة شروط للخلود في الجنّة : الإيمان بالله تعالى ، والعمل الصالح ، وأضافت على الآية السّابقة الإيمان باليوم الآخر .

[(١)] التّغابن :٩ .

[(٢)] البقرة : ٦٢ .

"**فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**" ، هذا يدلّ على أنّ لهم مقامًا عاليًا بالنّسبة لمن يدخل إلى الجنّة ، وتتحدث الآية عن المسلمين واليهود والنّصارى والصّابئين ، وتذكر بأنّ لهم جميعًا مقامًا عاليًا في الجنّة ، وهو مقام "لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" ، ولم تقل الآية باختصاص هذا المقام بالمسلمين فقط .

ونأتي إلى الآية : "**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ**" [1] ، نعم هذا لمن تقام عليه الحجّة ، ولا بدّ هنا أن نُفَرِّقَ بين القَاصِرِ وَالمُقَصِّرِ ، مثلًا إنسان يهوديّ قاصر غير مقصّر ، وإنسان مسيحيّ قاصر غير مقصر ، مثل هذا الإنسان لا يحاسب على أساس الإسلام ، ولا يُسْأَلُ : لماذا لم تصبح مسلمًا ؟

فهو على دينه ، ويكون ملتزمًا بتعاليم دينه ، وملتزمًا بالقيم الإنسانيّة العامّة .

الآن اليهود أو المسيحيّين أو الملحدين حينما ينظرون إلى عالم المسلمين يرون أنّ البقعة المسلمة فيها أشدّ مشاكل العالم ، فذاك الشّخص في الغرب أو في الشّرق يرى أنّ المسلمين بينهم مشاكل ، وأنت تدعوه إلى الإسلام ، فبطبيعة الحال يقول إنّ الإسلام لم يحلّ المشاكل بين المسلمين ، فكيف تطلب منّي أن أكون مسلمًا ؟!

مثل هذا الإنسان يكون قاصرًا غير مقصّر ، والآن نحن في زمان الشّبهات ، فتوجد كثير من الشّبهات تُطْرَحُ على النّاس ، فهذا

---

[1] آل عمران : ٨٥

الشّابّ الّذي لا يكون عنده اطّلاع لا يستطيع أن يجيب على هذه الشّبهات ، قد يذهب إلى بعض العلماء ولا يجد جوابًا ، فمثل هذا الإنسان يكون قاصرًا غير مقصّر ، وعند الله حساب القاصر يختلف عن حساب المقصّر ، طبعًا في القوانين الوضعيّة لا يفرّق القانون بين أن يعلم الشّخص بالقانون أو لا يعلم ، فالقانون يُطَبَّقُ على العالِم والجاهل ، والقاصر والمقصّر ، وأمّا في القانون الإلهيّ يوم القيامة فالله يرى أنّ هذا االإنسان قاصر أو مقصّر ، وحساب القاصر غير حساب المقصّر .

مثلًا إنسان موجود في أدغال أفريقيا ، ولم يصل إليه صوت الإسلام – سوف يحاسب بناءً على عقله والمبادئ الإنسانيّة العامّة ، فمثل هذا الإنسان قد يدخل إلى الجنّة لأنّه قاصر غير مقصّر .

مثلًا إنسان معاق ذهنيًّا ، تعرض عليه الإسلام وهو لا يفهم ، ولا يدرك معنى الإسلام ، مثل هذا الإنسان قاصر ، ويختلف حسابه عن المقصّر ، مثل هذا قد يدخل إلى الجنّة ، ويحاسب على مقدار فهمه ، والله يحاسب النّاس على مقدار عقولهم وفهمهم ، والإنسان المعاق ذهنيًّا حسابه يختلف عن حساب الإنسان الذّكيّ ، فعدالة الله تقتضي الحساب بحسب العقل والفهم ، فقد يوجد أناس لم يصل إليهم الإسلام ، مثلًا يكون موجودًا في أدغال أفريقيا وقد يعبد صنمًا ، ولا يعرف الإسلام ، فيحاسب على أساس عقله والمبادئ الإنسانيّة العامّة ، والله عادل في حسابه ، وقد تدخل إلى الجنّة وترى ذاك

المعاق الّذي يعبد صنمًا ، بدليل هذه القاعدة ، وهي الفرق بين القاصر والمقصّر ، واليهوديّ القاصر قد يدخل إلى الجنّة ، والمسيحيّ القاصر قد يدخل إلى الجنّة ، فكلّ إنسان قاصر قد يدخل إلى الجنّة ، وكذلك أتباع الدّيانات الأخرى إذا كانوا قاصرين ، ويحاسبون بناءً على مقدار عقولهم وفهمهم ، ولكنّ شخصًا يكون أستاذًا في الجامعة ويعبد بقرة أو يقدّسها ، فكما أنّه يبحث بحثًا علميًّا في الأمور المادّيّة الطّبيعيّة ، فلا بدّ أن يسأل نفسه : هل هذه البقرة إله أو لا ؟

ومقدار عقله أوسع من الإنسان البسيط ، وإنسان آخر معاق ذهنيًّا يعبد بقرة ، هو عاش في ضمن بيئة تعبد بقرة ، فهو عبد بقرة ، فهو معاق ذهنيًّا لا يفهم ، وحساب المعاق ذهنيًّا يختلف عن حساب الأستاذ في الجامعة حينما يعبدان بقرة ، وهكذا حساب كلّ إنسان ، فالله ينظر إلى أنّه قاصر أو مقصّر ، والآن نحن نعيش في عالم مملوء بالشّبهات ، وهذه الشّبهات تنتقل بوسائل التّواصل ، والشّابّ قد لا يوجد عنده اطّلاع ، فيسأل بعض الأسئلة ولا يحصل على أجوبة ، فحينما ينتقل إلى الإلحاد لو تنظر إليه هو في الواقع ليس ملحدًا ، نعم بلسانه يقول : أنا ملحد ، ولكن لو سألناه : من السّبب في انتقالك إلى الإلحاد ؟

سيجيب : المسلمون هم السّبب ، هذا الإرهابيّ يطرح أنّ من مبادئ الإسلام القتل ، ولا يوجد إنسان في العالم يقبل أنّ أيّ دين يطرح القتل كمبدأ ، وتصوّر نفسك أنّك لم تولد مسلمًا ، وكنت

موجودًا في اليابان ، وترى هذه المشاكل الموجودة في عالم المسلمين ، من الطّبيعي أنّك لا تنتقل إلى الإسلام ، ترى أنّ المسلم يقتل أخاه المسلم على أساس مبدأ دينيّ ، فتقول إنّ الإسلام لم يحلّ مشاكلكم ، والإسلام يدعو إلى قتل الإنسان أخاه الإنسان ، فكيف تريد منّي أن أكون مسلمًا ؟!

مثل هذا الإنسان يكون معذورًا ، والسّبب هم المسلمون ، والله يحاسب المسلمين على عدم إسلام الشّخص الياباني ؛ لأنّهم لم يلتزموا بالدّين .

إذن في الحساب لا بدّ أن ننظر إلى القاصر والمقصّر ، والآية الكريمة تطرح الإيمان بالله واليوم الآخر ، فإنسان يعتقد بوجود إله ، وهو يعبد بقرة ، وهو يعتقد أنّ هذه البقرة رمز يمثّل الإله ، نحن لا نعرف ما يوجد في قرارة نفسه ، فنحكم على ظاهره بأنّه يعبد بقرة ، ولكنّ الله يعلم واقع هذا الإنسان ، هل هو واقعًا يعتقد بوجود إله أو لا يعتقد بوجود إله ، نعم في الدّنيا أنت تتعامل معه على أساس أنّه لا يؤمن بوجود الله ، ولكن نحن لا نعلم واقعه ، ولا نستطيع أن نحكم على النّاس من خلال ظواهرهم فقط ، حتّى الّذي يقول بلسانه إنّه ملحد ، حينما تسأله بعض الأسئلة ستجد أنّه يعتقد بوجود إله ، حتّى دوكينز الّذي هو الآن رئيس الملحدين ، هو يقول يوجد احتمال ضعيف بوجود الإله ، فهو لا يعتقد ١٠٠% أنّه لا يوجد إله ، توجد نسبة قليلة جدًّا أنّه يوجد إله ، فهو في الواقع ليس ملحدًا ؛ لأنّه

يحتمل احتمالًا ضعيفًا بوجود الإله ، وحينما نأتي إلى أقوال دوكينز سنذكر قوله بخصوص وجود الإله .

إذن :

القاعدة هي الإيمان بالله والاعتقاد باليوم الآخر ، والإنسان الّذي يعمل صالحًا بناءً على هذين الاعتقادين له أجره عند ربّه ، وله مقام عالٍ ، وهو مقام "لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" ، ونفرّق هنا بين الإنسان القاصر والإنسان المقصّر .

المحور السّابع : قتل النّفس المحترمة :

"مَنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ" [(١)] .

"مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ" ، هذا قانون عامّ ، وبحسب الآية لا يشترط أن يكون القاتل أو المقتول مسلمًا ، فالقانون عامّ شامل لجميع النّاس ، فهذا قانون عالميّ ، وهو أنّه يحرم قتل النّفس المحترمة سواء كان مسلمًا أم غير مسلم ، وحينما تريد أن تطرح قانونا عالميًّا فلا بدّ أن تقول : لا يجوز أن يقتل الإنسان أيّ إنسان ، والنّاس متساوون أمام القانون ، والجزاء والعقاب يكون واحدًا بالنّسبة للقاتل سواء كان مسلمًا أم غير مسلم ، وأمّا إذا تريد أن تفرّق في القانون

[(١)] المائدة : ٣٢ .

بين النّاس فقانونك لا يكون قانونا عالميًّا ، فإذا جعلت قانونًا بأنّ الإنسان المسلم إذا قَتَلَ لا يُقْتَلُ ، والإنسان غير المسلم إذا قَتَلَ يُقْتَلُ – فهذا القانون ليس قانونًا عالميًّا ، والعالَم لا يقبل منك مثل هذا القانون ، ويقولون بأنّ دينكم لا يساوي بين النّاس في العقاب .

إذن لا بدّ أن يكون عندنا المساواة أمام القانون ؛ لكي يكون القانون قانونًا عالميًّا مقبولًا عند جميع النّاس ، وحينما يطرح الإسلام قانونًا عالميًّا فإنّ الإسلام يُقْبَلُ كدين عالميّ ، ولكن إذا جعلنا قوانين الإسلام قوانين محلّيّة ، ويفرّق بين النّاس على أساس الدّين أو المذهب أو القوميّة أو الطّائفة – ففي هذه الحالة لا يُقْبَلُ هذا القانون ، وبالتّالي لا يُقْبَلُ الإسلام كدين عالميّ .

ويقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ والجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" [1] .

"وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ" ، فالنّفس بالنّفس ، بمجرّد

---

[1] المائدة : ٤٤–٤٥ .

ما أنّ إنسانًا يقتل إنسانًا آخر فلا بدّ أن يعطي حياته عقابًا له .

المحور الثّامن : المسالم والمحارب :

"لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" [1] .

"لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ" يدلّ على أنّهم غير مسلمين ، والآيات تتكلّم عن غير المسلمين المسالمين غير المحاربين ، فيأتي السّؤال التّالي :

كيف يتعامل المسلمون مع غير المسلمين المسالمين غير المحاربين ؟

الجواب :

يتعاملون معهم على أساس البرّ والعدل ؛ لأنّ الله يحبّ المقسطين ، كما تقول الآية : **"أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"** .

وفي المقابل تقول الآية : **"إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"** .

إنّ القرآن يفرّق بين غير المسلمين المسالمين ، وغير المسلمين المحاربين ، وغير المسلمين لا يُعْتَبَرُونَ جميعًا من المحاربين ، وتبعًا للقرآن

---

[1] الممتحنة : ٨-٩ .

لا بدّ أن نقسّم غير المسلمين إلى قسمين : المسالم والمحارب ، والمسالم له معاملة خاصّة ، والمحارب له معاملة أخرى ، فالمسالمون من غير المسلمين لا بدّ أن نتعامل معهم على أساس البرّ والعدل لا أن نحمل عليهم السّلاح ونحاربهم ، فإذا كان جارك غير مسلم فتتعامل معه بالبرّ والعدل ، وأمّا بالنّسبة لغير المسلمين المحاربين فلهم حساب آخر ، فإنّ من يحاربك تحاربه ، ومن يقاتلك تقاتله .

ويقول القرآن الكريم :

"وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"[1] .

الآية يوجد فيها القسط أي العدل ، والله يحبّ المقسطين ، وهنا المحارب مسلم ، فنلاحظ بأنّ المحارب له قانون واحد ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا الّتي تبغي ، فإذا كان المحارب مسلمًا فتقاتله ما دام أنّه حمل السّلاح عليك ، وإذا كان المحارب غير مسلم تحاربه أيضًا ، ولكن إذا كان مسالمًا فلا تحاربه ، والآن القانون المطروح هو أنّ جميع الكفّار يعتبرون كفّارًا حربيّين ، والكافر الحربيّ تعرض عليه الإسلام ، فإمّا أن يُسْلِمَ وإمّا أن يُقْتَلَ ، وفي المجتمع الإسلاميّ كما في مجتمع المدينة المنوّرة كان اليهوديّ والمسيحيّ وبعض المشركين موجودين ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله لم يتعامل على أساس

---

[1] الحجرات : ٩ .

أنّهم محاربون ، بل كانوا مسالمين ، وحساب المسالم غير حساب المحارب ، فالمحارب حتّى لو كان مسلمًا يُحَارَبُ ، والآن لا بدّ أن ننظر إلى العالَم ، فالمسالمون نعيش معهم في سلام ، والمحاربون هم الّذين يحملون السّلاح فتحاربهم ، فمن يقاتلك تقاتله .

يقول القرآن الكريم :

"وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" [1] .

هذه هي آيات القتال ، الّذين يقاتلونكم تقاتلونهم ، لا أن نعتبر جميع النّاس كفّارًا حربيّين ولا بدّ أن نغير عليهم ونقتلهم جميعًا ، كما في بعض الأقوال تحت عنوان "الإغارة لَيْلًا" ، فالمسلمون يغيرون على الكفّار ليلًا ، فيقتلون الرّجال والشّيوخ والنّساء وحتّى الأطفال .

إذا جعلنا هذا قانونًا في الإسلام فلا يوجد أحد في العالَم يقبل الإسلام ، كفار مسالمون ويغير المسلمون عليهم ليلًا ويقتلون الجميع ، أي يقومون بمجزرة جماعيّة ، ولو سمع العالَم بهذا القول فهل نتوقّع أنّ النّاس في العالم يدخلون الإسلام ؟!

هذا القانون ليس قانونًا لا عالميًّا ولا محلّيًّا ، ولا بدّ أن نطرح قوانين عالمية ، والقوانين العالميّة لا بدّ أن تتناسب مع عقل الإنسان ، ومع فطرة الإنسان ، ومع بعض الأعراف الاجتماعيّة الموجودة عند النّاس .

---

[1] البقرة : ١٩٠ .

وسنأتي بعد ذلك إلى محوريّة العقل ، ومحوريّة الفطرة ، ومحوريّة العرف الاجتماعيّ ؛ لكي نبيّن أنّ الأحكام الدّينيّة تتناسب مع عقل الإنسان أو فطرته أو بعض الأعراف الاجتماعية .

لذلك في الرّسالة العمليّة في كثير من المسائل يقول والمقياس هو العرف ، والعرف في دولة أخرى قد يختلف عن عرف بلدك ، مثلًا شخص يلبس لباس أهل الزّمان في بلده ، وإذا ذهب إلى بلد آخر فمن الممكن أنّ هذا اللّباس يكون لباس شهرة ، ولباس الشّهرة لا يجوز لبسه ، فتلبس لباسهم إلّا إذا كان متعارَفًا في هذا البلد أنّ كلّ شخص يلبس لباسه الخاصّ ببلده ، مثلًا في المجتمعات الغربيّة أيّ لباس تلبسه يكون مقبولًا ، ولكن في مجتمعاتنا لا يمكنك أن تلبس أيّ لباس ؛ لأنّ البعض سيسخر منك ، فبعض الأحكام الشّرعيّة ترجع فيها إلى العرف ، فقضيّة العرف أمر مهمّ في الأحكام الشّرعيّة ، فعندنا عدة مقاييس : العقل والفطرة والعرف .

إذن بالنّسبة للمسالم والمحارب ، المحارب الّذي يقاتلك ويحمل عليك السّلاح أنت تحاربه ، وأمّا المسالم فلا تقاتله ، وهذا قانون عالميّ ، المحارب تحاربه ، والمسالم تسالمه ، وإذا طرحنا الإسلام بهذه الكيفيّة ضمن القانون الطّبيعيّ فالإسلام يُقْبَلُ في العالم ؛ لأنّ هذا قانون موجود عند جميع النّاس وفي جميع الدّول ، فأنت تدافع عن بلدك وعن أرضك حينما يحمل الآخرون السّلاح عليك ، ولكن إذا وُجِدَ إنسان مسالم في بلد آخر فليس من حقّك أن تهجم عليه وتحاربه

وتقاتله وتقتله ، وهذا قانون إنسانيّ دوليّ عالميّ .

المحور التّاسع : مكانة المرأة في القرآن :

والإشكالات تأتي على هذا الموضوع .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" [1] .

شاهدنا في الآية هو : **"وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى"** .

لنأخذ مثالًا توضيحيًّا قبل المجيء إلى هذه الفقرة من الآية ، حينما نقول : زيد كالأسد ، من هو الأصل : زيد أو الأسد ؟

الأصل هو الأسد ، تُشَبِّهُ زيدًا بالأسد ، فالأسد هو الأصل ، وزيد هو الفرع ، تريد أن تقول إنّ زيدًا يشبه الأسد ، فالأسد هو المُشَبَّهُ بِهِ ، وزيد هو المُشَبَّهُ ، والمُشَبَّهُ بِهِ هو الأصل ، والمُشَبَّهُ هو الفرع .

نأتي إلى شاهدنا : **"وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى"** ، أيّهما هو الأصل ؟

الأصل هو الأنثى ، فالقرآن لا يقول إنّ الأنثى ليست كالذّكر ، بل يقول إنّ الذّكر ليس كالأنثى ، فجعل الأصل هو الأنثى ، والفرع هو الذّكر ، والقرآن يركّز على أنّ المرأة هي الأصل ، والذّكر هو الفرع ، ونريد أن ننفي شبه الذّكر بالأنثى ، هذه آية من الآيات .

---

[1] آل عمران : ٣٥-٣٦ .

نأتي إلى آية أخرى :

"هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ" [1] .

"هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ" أي أوّلًا المرأة لباس للرّجل ، وثانيًا الرّجل لباس للمرأة ، فبدأت الآية بالمرأة ، فإذا كانت المرأة لباسًا للرّجل ، واللّباس عبارة عن ستر ، فالسّتر يكون أوّلًا للرّجل أو للمرأة ؟

السّتر يكون أوّلًا للرّجل ، فالنّساء لباس للرّجال ، فالسّتر مطلوب أوّلًا للرّجل ، وثانيًا للمرأة ، وفي المقام الثّاني الرّجال لباس للنّساء ، فالنّتيجة هي أنّ السّتر أوّلًا للرّجل ، وثانيًا للمرأة ، وفي عُرْفِنَا الاجتماعيّ الأمر بالعكس ، نقول عن المرأة : الله يستر عليها ، يعني الله يزوجها ، والرّجل ألا يحتاج إلى ستر ؟

والآية تقول إنّ السّتر أوّلًا للرجل ، ثمّ للمرأة ، فعرفنا الاجتماعيّ مخالف للقرآن الكريم .

وأيضا اللّباس عبارة عن زينة ، فأوّلًا المرأة زينة للرّجل ، وثانيًا الرّجل زينة للمرأة ، فكما أنّ المرأة تفتخر بزوجها ، وأيضًا الرّجل لا بدّ أن يفتخر بزوجته .

إذن إذا كانت المرأة لباسًا للرّجل فالسّتر يكون أوّلًا للرّجل ، ثمّ ثانيًا الرّجل لباس للمرأة ، فيكون السّتر ثانيًا للمرأة ، وأوّلًا الرّجل يفتخر بزوجته أمام النّاس ، مثلًا يفتخر بها إذا كانت زوجةً صالحةً ، وطبعًا مقاييسنا دنيويّة ، فيفتخر الرّجل – مثلًا – بأنّ زوجته عندها شهادة

---

[1] البقرة : ١٨٧ .

جامعيّة ، فيفتخر الرجل بزوجته لأنّ اللباس عبارة عن زينة أيضًا كما أنّ اللباس ستر ، وإذا مقاييسنا لم تكن دنيويّة بحتة ، فالزّوجة الصّالحة يفتخر بها زوجها حتّى لو لم يكن عندها أيّ شهادة دراسيّة ، وثانيًا المرأة تفتخر بزوجها ، مثلًا إذا كان زوجًا صالحًا أو عنده شهادة جامعيّة أو عنده وظيفة مرموقة ، وحتّى لو لم تكن عنده شهادة جامعيّة أو وظيفة مرموقة .

إذن الآية تقدّم النّساء على الرّجال عكس ما هو مفهوم الآن عند المسلمين ، فعند المسلمين الرّجل أوّلًا ، ولكنّ الآية تقول المرأة أوّلًا .

والقرآن يطرح أنّ المرأة هي الأصل ، والرّجل هو الفرع ، والآن مقاييس المسلمين معكوسة ، والإسلام الّذي نطرحه أمام العالم هو أن الرّجل قبل المرأة ، والقرآن يقول إنّ المرأة قبل الرّجل ، ولو نطرح أمام العالم أنّ القرآن يعتبر المرأة أوّلًا والرّجل ثانيًا فإنّهم يدخلون في دين الله أفواجًا ، هم يطعنون في الإسلام أنّه لم يحافظ على مكانة المرأة .

طبعًا توجد بعض الإشكالات ، منها قضيّة ضرب الزّوجات ، وهذا الإشكال سيأتي مع حلّها ، وأنّ آية ضرب الزّوجات هل يمكن أن تفهم فهمًا آخر غير الفهم المطروح الآن ؟

إذن القرآن يركّز على مكانة المرأة ، وسنأتي إلى ذكر باقي محاور القرآن الكريم في الأسابيع القادمة إن شاء الله تعالى .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٢٩)

تابع مكانة المرأة في القرآن [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

تنبيهات هامّة :

قبل الدّخول في تتمّة المحور التّاسع وهو مكانة المرأة في القرآن ، أودّ بيان مقدّمة هامّة لمن يريد أن يستمع إلى هذه المحاضرات ، وبعض التّنبيهات ذكرتها سابقًا ، وأعيدها للأهمّيّة ، وقد وَصَلَتْ بعض الأسئلة وبعض التّعليقات على موضوع "مكانة المرأة في القرآن" ، لذلك سأكمل الموضوع ، وقول القرآن : "**وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى**" لم يكن واضحًا عند بعض المستمعين ، وكيف أنّ المرأة هي الأصل ، والرّجل هو الفرع ، وسأبيّن بالتّفصيل هذه النّاحية البلاغيّة بعد ذكر التّنبيهات ، والتّنبيهات هي :

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٢٢ ربيع الأوّل ١٤٤٠ هـ ، الموافق ٢٠١٨/١١/٣٠ م .

التّنبيه الأوّل :

موضوع "عالميّة الإسلام" من المواضيع المهمّة جدًّا في زماننا الحاليّ ، وتوجد إشكالات كثيرة تَرِدُ على عالميّة الإسلام ، وعلى أنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان ، والمسلمون يكرّرون هذه المقولة كثيرًا ، ولكنّ الممارسات العمليّة للمسلمين لا تعبّر عن هذا الأمر ، فتأتي كثير من الإشكالات ، وتوجد إشكالات على الألوهيّة والنّبوّة والإمامة والمعاد ، وإشكالات على القرآن ، وعلى الرّوايات ، وإشكالات على عالميّة الإسلام ، لذلك أردنا أن نتكلّم عن هذا الموضوع ضمن سلسلة من المحاضرات ، وقد تطول هذه المحاضرات كثيرًا ، وقد نحتاج إلى مئات المحاضرات لكي نحيط بجميع الجوانب ، ونحاول أن نصل إلى النّقاط العالميّة الّتي طرحتها النّصوص الدّينيّة من الآيات والرّوايات الواردة عن المعصومين عليهم السّلام ، والبعض أشكل أنّني أطرح آيات قرآنيّة فقط ، وأنّني أستدل بالآيات القرآنيّة بدون ذكر الرّوايات ، فيسألون : هل أنت من القرآنيّين الّذين ينكرون سنّة المعصومين عليهم السّلام ؟

أقول : لا ، أنا لست من القرآنيّين ، بل أستند إلى القرآن والنّبيّ صلّى الله عليه وآله وعترته الطّاهرة ، ولكنّ الآن في بحوثنا نحاول أن نركّز على القرآن ؛ لأنّ القرآن قد اتُّخِذَ مَهْجُورًا كما في الآية ، ونحاول أن نبيّن أنّه توجد جوانب في القرآن حتّى لو لم نرجع إلى الرّوايات ، نعم إذا احتجنا إلى رواية معيّنة نأتي بها ، ولكنّ الآن نريد أن نستخرج

المفاهيم من القرآن ، وهذا لا يعني إهمال الرّوايات والسّنّة الشّريفة للمعصومين عليهم السّلام ، وفي بعض البحوث إذا احتجنا إلى الرّوايات فسوف نستند إليها لبيان معاني القرآن .

إذن :

التّنبيه الأوّل هو أنّ هناك إشكالات كثيرة على موضوع "عالميّة الإسلام" ، ونحاول أن نجيب على هذه الإشكالات .

التّنبيه الثّاني :

معرفة المنظومة الفكريّة لأيّ متحدّث أو كاتب ضروريّة جدًّا ، ولا بدّ أن يعرفها السّامع أو القارئ ؛ لأنّه من خلال المنظومة الفكريّة للمتحدّث أو الكاتب يمكن تقييم آرائه ، مثلًا مدى اطّلاعه على الموضوع يعطي قيمة للموضوع الّذي يطرحه ، وكذلك معرفة المنهج المُتَّبَع في طرح المواضيع مهمّة أيضًا للسّامع أو القارئ ؛ لكي يمكن له تقييم الآراء الّتي يطرحها المتحدّث أو الكاتب .

التّنبيه الثّالث :

من يريد أن يتابع موضوع "عالمية الإسلام" لا بدّ أن يبدأ من المحاضرة الأولى ؛ لأنّ بعض النّقاط تكون قد طرحت في المحاضرات الأولى ، ويعتمد عليها المتكلّم ، والبعض يذهب إلى المحاضرة العاشرة أو العشرين ، أو يسمع بعض المقاطع فيبني رأيًا ، ويقول بأنّ هذا المتحدّث طرح فكرةً معيّنةً فيبدأ بالإشكالات بدون أن يعرف المنهج المتّبع في هذه السلسلة من المحاضرات ، ومن يريد أن يحيط بموضوع

"عالمية الإسلام" فلا بد أن يبدأ من المحاضرة الأولى ، ولا يقفز إلى المحاضرات التّالية ؛ لأنّ هناك سلسلة من الأفكار ، وبعض الأفكار الّتي طرحناها في المحاضرات الأولى نبني عليه ولا نعيدها .

التّنبيه الرّابع :

المقاطع الّتي تُنْشَرُ والّتي تكون مدّتها دقيقة أو دقيقتين أو ثلاث دقائق لا يمكن أن تعطي الفكرة الكاملة ، لذلك على من يسمع مقطعًا المفروض أن لا يعطي رأيًا عن الموضوع ، وإنّما يذهب للاستماع إلى المحاضرة الكاملة ليعرف ما طرحه المتحدّث ، وحينذاك يمكنه أن يسأل أو يعلّق أو يُشْكِل ، ومقاطع الفيديو القصيرة لا تعطي الفكرة الكاملة ، وعادة لا يذهب المستمعون للاستماع إلى المحاضرة الكاملة ، والهدف من مقاطع الفيديو القصيرة هي أن يذهب المستمعون للاستماع إلى المحاضرة الكاملة ؛ لكي يحيطوا بالموضوع ، فتأتي الأسئلة والإشكالات على مقطع الفيديو مع أنّ هذه الأسئلة والإشكالات قد أجيب عليها في المحاضرة الكاملة .

التّنبيه الخامس :

قبل السّؤال أو التّعليق أو الإشكال لا بدّ أن يفهم المستمع ما يريده المحاضر تمامًا ، ومن أيّ جهة يتكلّم ، قد يكون كلامه في جهة معيّنة ، وإذا أردت أن تشكل فاشكل على هذه الجهة ، فالتّصوّرات مطلوبة قبل التّعليق والسّؤال والإشكال ، فيكون عند السّامع تصوّر كامل عن ما يريده المتكلّم ، وبعد ذلك يشكل أو يعلّق ، والبعض

يستعجل في التّعليق والإشكال والسّؤال قبل أن يهضم الفكرة الّتي طرحها المتكلّم ، مثلًا شخص يسأل فأنا أجيبه في رسالة من عشرين سطرًا ، أرى بأنّه خلال عشر ثواني يريد أن يردّ على العشرين سطرًا ، هذا حتمًا لم يقرأ الكلام المرسل إليه بصورة دقيقة ، وإنّما قرأ بشكل سريع ، فيسأل سؤالًا ، فأكتب له اقرأ ما كتبته بشكل دقيق لأنّ الجواب موجود في الرّسالة المرسلة ، فالبعض يستعجل في التّعليق والسّؤال والإشكال ، والبعض عنده الإشكالات أوّلًا ، لذلك دائمًا يشكل ، تطرح أيّ شيء هو يشكل ، والمطلوب أوّلًا أن يفهم ما يريده المتكلّم لكي يكون عنده التّصوّر الكامل عن الفكرة ، وبعد ذلك يشكل أو يسأل أو يعلّق .

التّنبيه السّادس :

إذا سمعنا شيئًا ممّن هو أكثر معرفةً وعلمًا منّا فلنحاول الاستفادة منه لا أنّنا مباشرةً نأتي بفكرة معارِضة ، فمن يكون أكثر علمًا منّا نستفيد منه ، ومن يكون أقلّ علمًا منك تعطيه الاستفادة ، فمع العلماء لا بدّ أن نتعامل بطريقة معيّنة ، والبعض يريد مباشرةً أن يأتي بفكرة معارِضة ، وكأنّه يريد أن يقول للعالِم أنّك لم تفهم معنى الآية أو الرّواية ، والبعض عندهم حالة العجب ، يكتسب معلومات قليلة أو يدرس في الحوزة فيريد أن يُظْهِرَ نفسه وأنّه يملك معلومات لا أنّ العالِم المتحدّث فقط عنده معلومات ، طبعًا من خلال تعاملنا مع بعض طلبة الحوزة في سنة أولى أو ثانية هو يقول أنت طالب حوزة

وأنا طالب حوزة ، ويكون من طلبتنا ودرس عندنا مدّة سنة واحدة أو سنتين ، فيبدأ بمعارضة الآراء ، وقد يكون أحد العلماء وله خمسين سنة في الحوزة ، فيأتي طالب في سنة أولى أو ثانية ويريد أن يعترض على هذا العالِم ، نقول له أن يتأنّى ، فطالب العلم لا بدّ أن يتأنّى لأنّ العلم يسير سير السّلحفاة ، في كلّ يوم تكتسب شيئًا جديدًا ، ونقول له لا تضع رأسك برأس العلماء ، اسْتَفِدْ من العلماء بقدر ما تستطيع ، وليس من الضّرورة أن تُظْهِرْ نفسك بأنّك تفهم ، فمن يكون أكثر علمًا منّا نستفيد منه ، وهذا ينطبق على الجميع ، فحتّى العالِم يستفيد ممّن هو أكثر منه علمًا .

وفي هذه المحاضرات أنا استفدت من العلماء الأكثر علمًا ، فبعض العلماء يتكلّمون عن النّقاط المتعلّقة بالإله ، فنستفيد منهم ، لا أنّه مباشرةً نأتي بفكرة معارِضة ، لا بدّ أن نستفيد من العلماء ، وخاصّة العلماء الّذين يتكلّمون في المواضيع المعاصرة ، فنحاول أن نستفيد منهم ، وبعض النّقاط الّتي ذكروها نجعلها في محاضراتنا ، حتّى العلماء في العلوم الطّبيعيّة نستفيد منهم ، كما في معرفة نظريّة الكوانتم مثلًا .

وهذا الطّالب الجديد يحاول أن يأتي بفكرة معارِضة لرأي أستاذه ، وقد يستقي الفكرة المعارِضة من موضوع آخر ولا علاقة لها بالحيثيّة الّتي يتحدّث فيها المتكلّم ، أو يطرح إشكالًا بعيدًا عن الموضوع ، أو يعلّق قبل أن يفهم مراد المتكلّم تمامًا .

وقد يتحدّث المتكلّم عن آية قرآنيّة معيّنة ويقول بأنّ هذه الآية لها هذا المعنى المعيّن ، فيأتي بآية أخرى ويريد أن يعترض عليه بأنّ الآية الأخرى لها معنى آخر ، وقد يكون قد فهم الآية الأخرى فهمًا غير صحيح ، فلا بدّ أن يفهم مراد المتكلّم ، فقد يتكلّم عن آية قرآنيّة معيّنة ويحاول أن يستفيد من هذه الآية فقط ، ولا يتعرّض إلى الآيات الأخرى الّتي تتحدّث عن نفس الموضوع ، ويأتي المستشكل ويقول : ولكن في آية أخرى يوجد معنى آخر ، هذا العالِم يتكلّم في آية معيّنة ويعطي معناها ، ثمّ يأتي في النّقطة الثّانية ويتكلّم عن الآية الثّانية ، وبعد ذلك يعطي نتيجة الجمع بين الآيات .

ونصيحتي إلى طلبة العلوم الدّينيّة من الرّجال والنّساء أنّهم حينما يكون عندهم إشكال أو رأي معارِض أن يجعلوه على شكل سؤال ، يستفهم من العالِم ، يقول : عندي سؤال ، حتّى لو كان عنده إشكال أو رأي معارض ، يقول : ألا يمكن أن نفهم من هذه الآية هذا المعنى ؟ ألا يمكن أن يأتي إشكال على هذا الرأي ؟

إنّ هذا من باب حسن الأدب مع العلماء ، لا مباشرةً تطرح إشكالًا واعتراضًا ، وهذا التّأدّب مطلوب مع علماء الدّين ومع علماء العلوم المختلفة .

التّنبيه السّابع :

إذا كان المحاضر يتكلّم في علم معيّن ، كأن يتناول الآية القرآنيّة من ناحية لغويّة نحويّة أو بلاغيّة ، فمن يريد أن يشكل أو يعترض لا

بدّ أن يكون عنده اطّلاع كافٍ على قواعد اللّغة من النّحو والبلاغة لكي يشكل أو يعترض ، وأما غير المطّلع على علوم اللّغة فلا يعترض ولا يبدي رأيًا ، وإنّما يستفيد من المحاضِر ، وقد يعلّق تعليقًا ليس له علاقة بالنّاحية اللّغويّة المبحوثة ، مثلًا يطرح المستشكل نقطة عقائديّة مع أنّ الكلام في النّاحية اللّغويّة ، والكلام ليس في العقائد ، فلا يأتي بناحية أخرى ويعترض على المتكلّم ، هو تكلّم في النّاحية البلاغيّة ، فناقشه في هذه النّاحية لا في ناحية أخرى ، هذا إذا كان عندك اطّلاع كافٍ على علوم اللّغة ، وأمّا إذا لم يكن عندك اطّلاع كافٍ تَأَنَّ واسْتَفِدْ من هذا المتكلّم ، وسآتي إلى نفي التّشبيه في الآية : **"وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى"** ، أبيّنه بالتّفصيل لأنّه جاءت عدّة أسئلة عن كيفيّة الاستدلال بالآية على إثبات مطلوبنا .

التّنبيه الثّامن :

نحن نعتقد أنّ القرآن الكريم الموجود بأيدينا اليوم هو نفس القرآن الّذي كان بيد رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وأنّ الرّسول صلّى الله عليه وآله هو الّذي جمع القرآن ، ففي بعض الرّوايات أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله كان يأمر بوضع هذه الآيات في هذه السّورة أو في تلك السّورة وفي موضع معيّن منها ، وبعض المعاصرين للنّبيّ صلّى الله عليه وآله كان عندهم مصاحف ، كمصحف عبدالله بن مسعود ، وبطريق أولى يكون عند النّبيّ صلّى الله عليه وآله مصحفًا مجموعًا فيه القرآن كاملًا .

إنّ القرآن كان مجموعًا في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله لا أنّه مكتوب على أكتاف الإبل وعلى العظام وأنّه لم يكن مجموعًا كما يُنْقَلُ ، وأنّ جمع القرآن حصل بعد وفاة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ولو قلنا بأنّ القرآن جُمِعَ بجهد بشريّ فلا بدّ أن يكون فيه أخطاء ؛ لأنّ الجهد البشريّ ناقص دائمًا ، وإذا كانوا يكتبون الآية بسبب وجود شاهدين على هذه الآية فمن الممكن أن يأتي شاهدا زور بكلمات ويدّعيا أنّها آية من القرآن ، والجهد البشريّ ناقص دائمًا ، فإذا قلت بأنّ القرآن قد جمعه المعاصرون للنّبيّ صلّى الله عليه وآله فإنّ هذا القرآن يكون فيه نقص وتحريف بلا شكّ ، ولكن اعتقادنا هو أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله قد جمع القرآن بنفسه مباشرة أو بمساعدة بعض الأشخاص المحيطين به وخاصّة وصيّه الإمام عليّ عليه السّلام لأنّه كان عنده جلسات خاصّة مع النّبيّ صلّى الله عليه وآله دائمًا .

إذن هذا القرآن لم يدخل إليه أيّ تحريف أو نقص ، وإنّما هو القرآن الكامل ، نعم القرآن لم يكن مُنَقَّطًا ولا مُشَكَّلًا في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وعمليّة التّنقيط والتّشكيل حصلت بعد ذلك ، ولكن هذا لا يؤثّر على القرآن ، فهو نفس القرآن ، ولكن أدخل عليه التّنقيط والتّشكيل ، والأئمّة عليهم السّلام كانوا موجودين ، ولو كان هناك أيّ تحريف أو نقص لكانوا يتصدّون لذلك ، ولا يتركون الأمر .

وإذا كان القرآن كاملًا غير محرَّف ولا ناقص فكلّ كلمة في القرآن

جاءت في موضعها المناسب ، لذلك آية التّطهير موجودة في محلّها المناسب ، والبعض يقول بأنّ المفروض أن تكون آية التّطهير في سورة الإنسان ، نقول له لا ، فهنا هو الموضع المناسب لهذه الآية ؛ لأنّ اختلاف السّياق يدلّ على أنّ هذه الآية تتحدّث عن أشخاص آخرين ، والبعض يستند إلى السّياق ، فنقول بأنّه لا يوجد سياق واحد بسبب تغيّر الضّمائر ، واختلاف الضّمائر يدلّ على عدم وجود سياق واحد ، فأفضل مكان لآية التّطهير هو في هذا الموضع من السّورة في القرآن .

ونحن نريد أن نعرف أنّ الله لماذا وضع أيّ كلمة من كلمات القرآن في هذا الموضع المعيّن ، ونحن نعتقد أنّ القرآن الكريم من حيث المعاني ومن حيث الألفاظ من الله عزّ وجلّ ، نعم في الرّوايات المعاني والألفاظ من النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ولكنّ القرآن من حيث المعاني والألفاظ من الله ، وبعض الإشكالات تَرِدُ على القرآن بأنّ المعاني من الله والألفاظ من النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، نقول إنّ اعتقادنا هو أنّ المعاني والألفاظ من الله ، لذلك تجد الاختلاف بين الرّوايات وبين القرآن من حيث الصّياغة ، فحينما تسمع ترتيب ألفاظ الآية تجد أنّه يختلف عن ترتيب ألفاظ الرّوايات ، يوجد اختلاف واضح بين صياغة القرآن وصياغة الرّوايات ، وأحيانًا تسمع بعض الألفاظ ويقال لك إنّ هذه آية قرآنيّة ، وبالسّماع تقول إنّها ليست من القرآن ، مثلًا إذا سمعت : (والشّيخ والشّيخة فارجموهما

البتّة) ، تقول : إنّ هذه ليست آية قرآنيّة ؛ لأنّها لا تتناسب مع صياغة القرآن ، وكذلك لو سمعت أيّ كلام آخر ، مثلا : (لو كان لابن آدم واديان من ذهب وفضة لابتغى واديًا ثالثًا) ، ترى أنّ صياغة هذه الألفاظ لا تتناسب مع صياغة القرآن ونسقه وأسلوبه .

إذن نحاول أن نصل إلى معرفة معاني آيات القرآن ، والأمر ليس فيه مجاملة لا للرّجال ولا للنّساء ، ولا فيه دغدغة مشاعر الرّجال أو النّساء ، كما في تعليق وصلني أنني أجامل النّساء حينما أقول بأنّه في الآية : "**وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى**" إنّ الأنثى هي الأصل ، والذّكر هو الفرع ، نحن لا نجامل لا النّساء ولا الرّجال ، نحاول أن نصل إلى معرفة معاني الآيات القرآنيّة ، كان لصالح النّساء أو لصالح الرّجال .

وهذه التّنبيهات وإن كانت تأخذ وقتًا من المحاضرة ، ولكنّها تنبيهات مهمّة ، وهي نتيجة للتّعليقات الّتي تصلني ، فنضطرّ إلى إعطاء هذه التّنبيهات ، وبعض التّنبيهات نكرّرها بسبب وجود حاجة لتكرارها .

نأتي الآن إلى تتمّة المحور التّاسع عن مكانة المرأة في القرآن الكريم .

تابع المحور التّاسع : مكانة المرأة في القرآن :

في هذا المحور نريد أن نردّ على إشكالات المستشكلين بأنّ الإسلام لم يَعْطِ مكانةً للمرأة ، وأنّه جعل المرأة في رتبة ثانية بعد الرّجل ، والدّليل على ذلك هو معاملة الرّجال المسلمين للنّساء باحتقار ، وأنّهم يجعلون النّساء في درجة ثانية بعد الرّجال ، لذلك

فهم يطالبون بالمساواة بين الرّجل والمرأة في جميع الأمور .

الجواب الأوّل :

هو أنّ عمل المسلمين ليس حجّةً ، وليس بالضّرورة أن يكون مُعَبِّرًا عن الإسلام وعن القرآن ، فهناك عادات موجودة بين المسلمين من أيّام الجاهلية لم يقل بها الإسلام ، منها احتقار المرأة واستنقاصها وإهانتها ، واستمرّ الحال حتّى مع ظهور الإسلام ، واستمرّ إلى ما بعد الإسلام ، وإلى يومنا الحاضر ، ويعتبرون النّساء ناقصات عقل ودين ، وهذه الفكرة موجودة حتّى عندنا في زماننا الحاليّ ، تلك المرأة إذا فعلت شيئًا معيّنًا ، فتقول هي امرأة ، كأنّ عنوان المرأة معناه أنّها أقلّ رتبة وناقصة عقل ، ونريد أن نبيّن بأنّ المرأة ليست ناقصة عقل ولا ناقصة دين ، مثلًا المرأة الآن معروفة بأنّها أفضل من الرّجل في علم الرياضيّات ، وأنّ المرأة لها ميزة وهي أنّها تهتمّ بالتّفاصيل الدّقيقة أكثر من الرّجل ، مثلًا إذا كانت هناك رحلة فالرّجل يجهّز بعض الحاجات ، وهو ينظر إلى الكلّيّات والأمور العامّة ، ولكنّ المرأة تهتمّ بالتّفاصيل الدّقيقة ، لنفرض أنّ الولد جُرِحَ أثناء الرّحلة ، يقول الرّجل : لم آتِ بصندوق الإسعافات الأوّليّة ، والمرأة تقول : الصندوق موجود عندي ، وإذا احتاجوا إلى ملقط تجده عندها ، وفي هذه الأمور الدّقيقة المرأة لها ميزة أفضل من الرّجال ، وأنت جَرِّبْ هذا في حياتك الاعتياديّة ، والرّجل المتزوّج يرى هذا الأمر واضحًا في حياته الزوجيّة ، فيرى أنّ المرأة تهتمّ بالتّفاصيل أكثر من الرّجل ، وحينما تريد

الزّوجة أن تجهّز الدّيوانيّة في بيتك فإنّك ترى أنّ مساند الظّهر توضع بطريقة معيّنة ، فتعرف أنّها من وضع النّساء ؛ لأنها تهتمّ بوضع المساند بترتيب معيّن ، والرّجل لا يهتمّ ، فهو يضع المساند بأيّ طريقة حتّى لو لم تكن مرتّبة ، فالتّرتيب موجود عند النّساء أكثر من الرّجال ، وهذه أفضليّة وميزة للنّساء ، وترون هذا في حياتكم مع النّساء ، فعندهنّ اهتمام بالتّفاصيل ، وإذا أراد ضيف أن يأتي إلى بيتك ، تقول : أقدّم له الطّعام ، وعندك ينتهي الأمر عند هذا الحدّ ، وعند المرأة هذا الحدّ لا يكفي ، فهي تهتمّ بالتّفاصيل الدّقيقة ، تقول : نحتاج إلى طعام معيّن ثمّ الشّاي والقهوة والحلويّات ، والرّجل لا يهتمّ بكلّ هذه التّفاصيل ، فالمرأة ليست ناقصة عقل ، بل الرّجال هم ناقصو عقول حينما نرى الحروب في العالم ، نسأل : من الّذي سبّب الحروب في العالم : النّساء أو الرجال ؟

تقول إنّ الرّجال هم سبب الحروب .

إذن فالرّجال ناقصو عقول .

ومن ناحية نقص الدّين يقال بأنّ المرأة تترك الصّلاة في أيام دورتها الشّهريّة ، نسأل : هل تكليفها أن تصلّي أو تترك الصّلاة ؟

الجواب أنّ تكليفها أن لا تصلّي ، فكيف تكون ناقصة دين ؟!

من تكون الصّلاة واجبة عليه ولا يصلّي نقول عنه إنّه ناقص دين ، ولكن إذا كان تكليف المرأة أن تترك الصّلاة أثناء دورتها الشّهريّة ، وهذا هو تكليفها ، فكيف تكون ناقصة دين ؟!

وانظروا عبر التّاريخ من هم ناقصو الدّين : الرّجال أو النّساء ؟

قارن نفسك مع زوجتك ، من المتمسّك بالدّين أكثر ؟

من الّذي يربّي الأولاد إذا كانت المرأة صالحةً ؟

المرأة هي الّتي تهتمّ بتربية الأولاد وليس الرّجل ، الرّجل منشغل خارج البيت ، والمرأة هي الّتي تكمل دين الأولاد ، فالمرأة ليست ناقصة دين ولا ناقصة عقل ، والمشكلة أنّ بعض الرّوايات المنقولة تريد أن تبيّن أنّ المرأة ناقصة ، وقلنا إنّه إذا كانت الرّواية المنقولة خلاف القرآن فهذه الرّواية لا نأخذ بها حتّى لو كانت صحيحة السّند ، ننظر إلى متن الرّواية ومضمونها ، فإذا كان المضمون مخالفًا للقرآن فهذا المضمون لا يُؤْخَذُ به ، فأيّ قول بأنّ المرأة ناقصة عقل ودين هذا القول لا يؤخذ به ، وهناك تأويلات بأنّها ناقصة عقل لأنّنا نحتاج إلى شاهدتين ، وناقصة دين لأنّها لا تصلّي أثناء الحيض ، ويمكن أن نقول إنّ المرأة تترك الصّلاة أثناء الحيض ، وأنّنا نحتاج إلى شاهدتين ، وتنتهي القضيّة ، ولا نحتاج أن نقول إنّها ناقصة عقل ودين .

وقلنا سابقًا في بعض المحاضرات بأنّ أيّ قول فيه احتقار لأيّ إنسان أو إهانته بسبب جنسه أو لونه أو دينه أو طائفته أو قوميّته فإنّ هذا القول يعارض القرآن حيث يقول الله تعالى : "**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**" [1] ، فالكرامة الإنسانيّة من المبادئ العالميّة للإسلام ، والّتي طرحها القرآن الكريم وركّز عليها كمحور من المحاور المهمّة في القرآن ،

---

[1] الإسراء : ٧٠ .

فأيّ رواية منقولة تخالف الكرامة الإنسانيّة فلا تُقْبَلُ لأنّها بلا شكّ رواية موضوعة غير صادرة عن المعصوم عليه السّلام .

مثلا : رواية تقول بأنّ الأكراد صنف من الجنّ فلا تتعاملوا معهم أو لا تنكحوا منهم .

وتوجد روايتان في الكافي ، هما :

عن عليّ بن الحكم عمّن حدّثه عن أبي الرّبيع الشّاميّ قال : سألت أبا عبدالله عليه السّلام فقلت : إنّ عندنا قومًا من الأكراد ، وإنّهم لا يزالون يجيئون بالبيع ، فنخالطهم ونبايعهم ؟ فقال : يا أبا الرّبيع ، لا تخالطوهم ؛ فإنّ الأكراد حيّ من أحياء الجنّ كشف الله عنهم الغطاء فلا تخالطوهم [1] .

وعن الحسين بن خالد عمّن ذكره عن أبي الرّبيع الشّاميّ قال : قال لي أبو عبدالله عليه السّلام : . . . ولا تنكحوا من الأكراد ؛ فإنّهم جنس من الجنّ كُشِفَ عنهم الغطاء [2] .

يقول الشّيخ محمّد عليّ الأنصاريّ : وردت روايتان في النّهي عن مخالطة الأكراد ومناكحتهم ، وحمل الفقهاء النّهي على الكراهة .

وذكر الشّيخ محمّد عليّ الأنصاري الرّوايتين السّابقتين ، ثمّ قال : وهناك بعض النّقاط ينبغي توجيه النّظر إليها ، وهي : أوّلًا : أنّ الرّوايتين ضعيفتان من حيث السّند للإرسال الموجود فيهما ، حيث لم

---

[1] الكافي ج٥ ص١٥٨ ح٢ .

[2] المصدر السّابق ج٥ ص٣٥٢ ح٢ .

يذكر الرّاوي عن أبي الرّبيع مباشرةً في السّند ، ولعدم ورود تصريح بتوثيق أبي الرّبيع نفسه ، فإنّه لم يَرِدْ في حقّه جرح أو توثيق – كما قال السّيّد الخوئيّ [١] – وإن ورد ذكره في روايات عديدة [٢] .

وأضيف إلى ضعف السّند أنّ هاتين الرّوايتين ترفضان من حيث المتن حتّى لو كانتا صحيحتي السّند ؛ لأنّ التّمييز فيهما على أساس القوميّة ، فهذه الرّواية من الرّوايات الموضوعة فترفض ، وبنفس الطّريقة إذا جاءت روايات تستنقص المرأة فإنّها ترفض أيضًا .

إذن :

الجواب الأوّل هو أنّ عمل المسلمين ليس بالضّرورة أن يكون مُعَبِّرًا عن الإسلام والقرآن ، نعم قد يكون هذا العمل بناءً على بعض الرّوايات الّتي تمسّك بها المسلمون ، ودائمًا يذكرون رواية "ناقصة عقل ودين" ، وادخل إلى اليوتيوب وانظر كم من المحاضرات واللّقاءات تحت عنوان "ناقصة عقل ودين" .

الجواب الثاني :

الآيات القرآنيّة الّتي طرحت أنّ المرأة لها ميزة وصفة إضافيّة على الرّجال .

وكان كلامنا عن آية معيّنة ، وهي : **"وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى"** [٣] ،

---

[١] معجم رجال الحديث ج٧ ص٧٠-٧٣ .

[٢] الموسوعة االفقهيّة الميسّرة ج٤ ص٤٢٦-٤٢٧ .

[٣] آل عمران : ٣٦ .

ولم ندخل في آية أخرى عند البحث في هذه الآية ، وبعد هذه الآية طرحنا آيةً ثانيةً ، وهي : **"هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ"** [1] ، وبدأت الآية بأنّ المرأة لباس للرّجل أوّلًا ، وهذه ميزة للمرأة ، يعني أنّ السّتر أوّلًا للرّجال بفضل المرأة ، فالقرآن في بعض الآيات يبيّن أن هناك ميزةً للنّساء على الرّجال .

فهنا نحن نأخذ آية آية ، وبعض المعلّقين لم يلتفتوا إلى منهجنا في البحث ؛ لأنّهم لم يستمعوا إلى المحاضرات السّابقة .

المحاضرة السّابقة :

وما طرحناه في المحاضرة السّابقة هو :

قول الله تعالى في كتابه الكريم :

"إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" [2] .

وكان استدلالنا في فقرة : **"وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى"** ، والبحث هنا بحث لغويّ في البلاغة ، وهو بحث التّشبيه ، ومن يريد أن يناقش لا بدّ من أن يكون عنده اطّلاع على المبحث البلاغيّ ؛ لكي يُشْكِلَ أو يعلّق .

---

[1] البقرة : ١٨٧ .

[2] آل عمران : ٣٥-٣٦ .

وطرحنا أوّلًا مثالًا قبل الدّخول في البحث اللغويّ في الآية ، وأعيد البحث السّابق لأنّي أريد أن أضيف إليه شيئًا ؛ لكي أجيب على الأسئلة الّتي وصلتني .

قلنا في مثال : (زيد كالأسد) ، نسأل : من هو الأصل : زيد أو الأسد ؟

من التّعليقات الّتي وصلت أنّهم فهموا أنّي أقول إنّ معنى الأصل هو الأصل في الخِلْقَةِ ، فتكون النّساء هم أصل الخلقة ، فالنّساء خُلِقْنَ قبل الرّجال ، ولكن نحن لم نتكلّم عن أصل الخلقة ، وسأبيّن معنى الأصل هنا .

وأجبنا عن السّؤال السّابق بأنّ الأصل هو الأسد ، ونريد أن نشبّه زيدًا بالأسد ، فزيد هو المُشَبَّهُ ، والأسد هو المُشَبَّهُ بِهِ ، والمُشَبَّهُ بِهِ هو الأصل في التّشبيه .

إذن معنى الأصل هو الأصل في التّشبيه لا الأصل في الخِلْقَة ، فيكون الأسد هو الأصل ، ونريد أن نقارن زيدًا بالأسد .

وقالت الآية : "**وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى**" ، ولم تَقُلْ : (وَلَيْسَتِ الأُنْثَى كَالذَّكَرِ) ، والأصل هنا هو الأنثى لأنّها المُشَبَّهُ بِهِ ، والقرآن جعل الأنثى هي الأصل ، والفرع في التّشبيه هو الذّكر ، والآية أرادت نفي تشبيه الذّكر بالأنثى ، وسواء عندنا تشبيه أو نفي التّشبيه ، فيوجد ركنان : المشبّه والمشبّه به ، وتارة نريد أن نثبت التّشبيه ، وتارة أخرى نريد أن ننفي التّشبيه ، هذا ما قلناه في المحاضرة السّابقة .

إضافة على المحاضرة السّابقة :

ونضيف على المحاضرة السّابقة ما يلي :

امرأة عمران نذرت حملها لخدمة المعبد ، وفي ذلك الوقت كان مسموحًا للرّجل أن يقوم بالخدمة ، ولا يُسْمَحُ للنّساء بهذا العمل ، وكانت تريد أن يكون حملها ذكرًا لكي يخدم في المعبد ، فلما وَضَعَتِ الحمل كانت أنثى ، وهي مريم عليها السّلام ، والله تعالى قال : "**وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى**" ، "**وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى**" هذا قول الله عزّ وجلّ وليس قول امرأة عمران ، ولو كان قول امرأة عمران لما أمكننا الاستدلال به ، ولكن هذا قول الله تعالى ، فلماذا لم يقل الله تعالى : (وَلَيْسَتِ الأُنْثَى كَالذَّكَرِ) ؟

لا بدّ من وجود نقطة دقيقة في هذا القول ، والكلمات في القرآن الكريم لا تأتي بشكل عشوائي .

بحث بلاغيّ في التّشبيه :

زيد كالأسد ، زيد مُشَبَّهٌ ، والأسد مُشَبَّهٌ بِهِ ، وفي التّشبيه لا بدّ من وجود وَجْهِ الشَّبَهِ ، حينما تشبّه شيئًا بشيء ثاني تريد أن تُثْبِتَ صفة موجودة عند المشبّه به تثبتها للمشبّه ، ففي المشبَّه به توجد ميزة أو صفة إضافيّة نريد أن نثبتها للمشبَّه ، وفي مثل : (زيد كالأسد) ، توجد صفة في الأسد وهذه الصّفة موجودة في زيد بشكل مساوي أو أقلّ أو أنّها غير موجودة فيه ، فنريد أن نثبت هذه الصّفة لزيد ، أو نريد أن ننفي هذه الصّفة عن المشبّه في مثل : (زيد ليس كالأسد) .

فتوجد حالتان : الحالة الأولى هي إثبات ميزة المشبَّه به للمشبَّه ، والحالة الثّانية هي نفي ميزة المشبَّه به عن المشبَّه ، وفي الحالتين توجد ميزة وصفة إضافية عند المشبَّه به ، ونريد إثباتها للمشبَّه أو نفيها عن المشبَّه ، فهنا توجد صفة إضافيّة وميزة عند المشبَّه به وهي صفة الشّجاعة ، ونريد أن نثبت هذه الصّفة لزيد أو ننفيها عنه ، فالأسد في حالتي الإثبات والنفي هو الأصل في التّشبيه ، وزيد هو الفرع في التّشبيه .

وإذا قلنا : (الأسد ليس كزيد) ، توجد ميزة لزيد ، وهذه الميزة ليست موجودةً في الأسد ، فزيد توجد عنده صفة إضافيّة يفتقدها الأسد ، كصفة العقل مثلًا .

نأتي إلى الآية الّتي قالت : "**وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى**" ، والمفروض في سياق الآية أنّها حينما أتت بالحمل وكانت أنثى – أن نقول : (لَيْسَتِ الأُنْثَى كَالذَّكَرِ) ؛ لأنّه توجد ميزة إضافيّة عند الذّكر غير موجودة للأنثى ، وهي صفة الخدمة في المعبد ، فهذه الميزة موجودة للذّكر ، والأنثى تفتقد هذه الميزة ، ففي قولنا : (لَيْسَتِ الأُنْثَى كَالذَّكَرِ) – ننفي صفة خدمة المعبد الثّابتة للرّجل ننفيها عن الأنثى ، فيكون الذّكر هو الأصل في التّشبيه ، والأنثى هي الفرع في التّشبيه ، وهذه هي العبارة الّتي تتناسب مع سياق الآية ؛ لأنّها تنفي صفة خدمة المعبد عن الأنثى ، وهي ميزة للذّكر ، فالمفروض أن تقول الآية الكريمة : (لَيْسَتِ الأُنْثَى كَالذَّكَرِ) ؛ لأنّ الذّكر له ميزة إضافيّة .

ولكنّنا نرى أنّ الله قال : "**وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى**" ، وهذا التّقديم والتّأخير له هدف وغاية ونقطة دقيقة في القرآن ، حيث جعل القرآن الميزة والصّفة الإضافيّة للمرأة ، ونفى هذه الصّفة عن الرّجل ، فتكون المرأة هي الأصل في التّشبيه ، ويكون الذّكر هو الفرع في التّشبيه ، ونريد أن نعرف هذه الميزة والصّفة الإضافيّة الموجودة عند الأنثى ، والّتي يفتقدها الرّجل ، والآية نَفَتِ الميزة الموجودة عند الأنثى عن الرّجل ، فتكون الأنثى هي الأصل ، والرّجل هو الفرع .

هل هذا المقدار واضح ؟ وهل هو مقنع أو غير مقنع ؟

والآن نسأل : ما هي هذه الميزة والصّفة الإضافيّة الموجودة عند الأنثى ولا توجد عند الذّكر ؟ وماذا أراد الله أن ينفي عن الرّجال ؟

ونترك الجواب إلى المحاضرة القادمة إن شاء الله تعالى .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٣٠)

ليس الذّكر كالأنثى [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

كان الكلام عن مكانة المرأة في القرآن الكريم ، وأخذنا الآية عند الحديث عن السّيّدة مريم عليها السّلام ، في قول الله تعالى : "**وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى**" [٢] .

وخلاصة الكلام أنّنا أخذنا مثال : (زيد كالأسد) ، فيوجد المُشَبَّهُ وهو زيد ، والمُشَبَّهُ بِهِ وهو الأسد ، ونريد أن نثبت صفة موجودة عند المشبَّه به للمشبَّه ، فتوجد صفة عند الأسد ونريد أن نثبت هذه الصّفة لزيد ، مثل الشّجاعة ، فزيد كالأسد في الشّجاعة ، وهذه ميزة إضافيّة موجودة عند الأسد ، ويفتقدها زيد ، ونحن بين أمرين : إمّا

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٢٩ ربيع الأوّل ١٤٤٠ هـ الموافق ٢٠١٨/١٢/٧ م .

[٢] آل عمران : ٣٦ .

أن نثبت هذه الصّفة لزيد حينما نقول : (زيد كالأسد) ، وإمّا أن ننفي هذه الصّفة عن زيد حينما نقول : (زيد ليس كالأسد) أو (ليس زيد كالأسد) .

وإذا عكسنا المثال وقلنا : (ليس الأسد كزيد) ، فهنا توجد صفة إضافيّة موجودة في زيد ، وهذه الصّفة مفقودة عند الأسد ، وهذه الصّفة كالعقل ، فليس الأسد كزيد من حيث العقل .

إذن في حالة الإثبات أو في حالة النفي توجد ميزة وصفة إضافيّة في المشبَّه به ، ونريد أن نثبت هذه الصفة في المشبَّه ، أو ننفيها عن المشبَّه .

نأتي إلى قول الله تعالى : "**وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى**" ، توجد ميزة وصفة إضافيّة في الأنثى ، ونريد أن ننفي هذه الصّفة عن الذّكر ، فهذه الميزة ليست موجودةً في الذّكر ، وهذا يعطي جانب أفضليّة في جانب المرأة على الرّجل ، وهذا بيّنّاه في مثال : (زيد كالأسد) ، و(ليس زيد كالأسد) .

إذن :

النّقطة الّتي وصلنا إليها أنّه توجد ميزة وصفة إضافيّة عند الأنثى ، ويفتقدها الرّجل .

فيأتي السّؤال التّالي :

ما هي هذه الصّفة الإضافيّة والميزة الموجودة عند الأنثى ولا توجد عند الذّكر ؟

الجواب :

يوجد جوابان : جواب عامّ ، وجواب خاصّ ، وهما :

الجواب الأوّل :

وهو الجواب العامّ ، فإذا قلنا بأنّ الآية عامّة ، وليست في خصوص المورد ، أي لا تتحدّث عن مريم عليها السّلام ، وإنّما الآية عامّة ، وتطرح قاعدة عالميّة ، وموضوعنا هو عالميّة الإسلام .

"**وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى**" هو قول الله عزّ وجلّ لا قول امرأة عمران ، فالله قال : "**وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى**" ، وهي جملة معترضة ، وبعض المفسّرين يحملون على أنّ "**وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى**" هو قول امرأة عمران ، ولكنّ الصّحيح أنّه قول الله تعالى ؛ لأنّه إذا كان قول امرأة عمران فالمفروض أن تقول : (ليست الأنثى كالذّكر) ، أي في خدمة المعبد .

إذن :

في الجواب العامّ الآية تعطينا قاعدةً عامّةً عالميّةً ، والقاعدة العالميّة هي أنّ (الذّكر ليس كالأنثى) في الصّفات الّتي تتميّز بها المرأة ولا توجد عند الرّجال ، فالآية تطرح مبدأً عالميًّا وهو أفضليّة المرأة على الرّجل في بعض الجوانب .

وقد تأتي آيات أخرى تعطي صفات إضافيّة يتميّز بها الرّجال على النّساء ، فتوجد من الطّرفين ميزة وصفات إضافيّة ، تارةً للرّجال ، وتارةً أخرى للنّساء ، وهناك صفات مشتركة بين الرّجل والمرأة ،

فتكون هذه الآية بصدد تفضيل المرأة على الرّجل في بعض الجوانب ، وهذا مبدأ عالميّ ، وبذلك ننفي أفضليّة الرّجل على المرأة دائمًا ، وَنَرُدُّ على إشكال المستشكلين ، والاتّهام اليوم هو أنّ الإسلام يحتقر المرأة ، فنقول بأنّه توجد آيات قرآنيّة تُكَرِّمُ المرأة .

إذن يوجد مبدأ عالميّ ، وهو تفضيل المرأة على الرّجل في بعض الجوانب ، وبذلك ننفي الأفضليّة الدّائمة للرّجال على النّساء .

والإشكال الّذي يُطْرَحُ على الإسلام أنّه دين ذكوريّ ، والملاحظ أنّ الخطابات القرآنيّة أكثرها وأغلبها خطابات ذكوريّة تُوَجَّهُ للرّجال ، والخطاب الموجّه إلى النّساء قليل في القرآن ، وأكثر خطاب هو "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا**" ، فالخطابات في القرآن خطابات ذكوريّة ، فيأتي إشكال وهو أنّ القرآن والإسلام ذكوريّ ، يعني أنّ المحور هو الذّكر لا الأنثى ، وأنّ الإسلام لا يطرح المساواة بين الذّكر والأنثى ، وأنّ الإسلام يحتقر المرأة ، وهذا هو إشكال الغربيّين على الإسلام ، وتأتي بعض الآيات القرآنيّة مثل ضرب الزّوجة والّتي يأخذونها كدليل ، وسنأتي إلى هذه الآية حينما نأتي إلى المسائل المتعلّقة بالزّواج ، فيشكلون على بعض الآيات القرآنيّة ، وسنتناول آية ضرب النّساء ، ونسأل : هل يمكن أن نفهم معنًى آخر للآية غير المعنى الموجود اليوم بحيث يكون الفهم فهمًا عالميًّا ويتناسب مع عالمية الإسلام ؟

وحينما ننظر بمنظار عالميّة الإسلام إلى الآيات والرّوايات فإنّه يمكن أن نخرج بمعانٍ أخرى غير المعاني المطروحة اليوم ، والقرآن يجري عبر

الزّمان كما تجري الشّمس والقمر أو كما يجري اللّيل والنهار ، فالقرآن في تجدّد دائم ، وإذا كان العلماء السّابقون يفهمون فهمًا معيّنًا ، فمن الممكن أنّه في هذا الزّمان وفي المستقبل يفهم العلماء فهمًا آخر ، ويأتون بمعانٍ جديدة ، فالعلماء السّابقون لم يكونوا ينظرون إلى عالميّة الإسلام وإن كانت الشّعارات تطرح ، وقضيّة "عالمية الإسلام" مطروحة ، ولكنها غير مبحوثة بالتّفصيل ، والإسلام صالح لكلّ زمان ومكان مطروح كشعار ، ولكن لا توجد مواضيع تفصيليّة في أنّه كيف يمكن للإسلام أن يحلّ مشاكل البشريّة ، ومن الممكن أن نفهم الآيات والروايات فهمًا آخر .

والغربيّون يطرحون بأنّ المرأة مُحْتَقَرَةٌ في مجتمعات المسلمين ، فَنَرُدُّ عليهم بأنّ سلوك المسلمين يختلف عن مبادئ الإسلام ، فالمسلمون يحتقرون المرأة لا أنّ الإسلام يحتقر المرأة ؛ لأنّ المسلمين لا يلتزمون بمبادئ الإسلام ، ولا يلتزمون بمبدأ "**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**" [1] ، وبني آدم شامل للذّكور والإناث ، فكما أنّ الرّجل يكون مُكَرَّمًا ، كذلك المرأة تكون مُكَرَّمَةً أيضًا ، وقد تجد البعض يقول بأنّ المقصود من "**بَنِي آدَمَ**" هم الرّجال فقط ، فالآية لم تقل : (بَنِي وَبَنَاتِ آدَمَ) ، بل قالت "**بَنِي آدَمَ**" ، لذلك يشكلون أنّ القرآن ذكوريّ ، ولكن نقول بأنّ "**بَنِي**" تُحْمَلُ على الرّجال والنّساء ، على نحو الحقيقة أو على نحو المجاز ، وهذا البحث نتركه إلى حينه ؛ لكي نبيّن أنّ القرآن هل هو

---

[1] الإسراء : ٧٠ .

ذكـوريّ فعـلًا أو لا ، والقـرآن يأتي بخطـابات عامّـة ، مـثلا **"يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ ءَامَنُوا"** هل هو خطاب للرّجال فقط أو للرّجال والنّساء معا ؟

نقول بأنّ الخطاب شامل للنّساء أيضًا ، على نحو المجاز كما يقولون إنّه من باب التّغليب ، ويقولون إنّ الضّمير "هُمْ" موضوع للرّجال ، ولكن ندخل النّساء من باب التّغليب ، ويمكن أن نقول بأنّ الضّمير "هُمْ" موضوع بشكل عامّ بحيث يكون شاملًا للرّجال والنّساء معًا ، كوضع حقيقيّ في اللّغة ، وهذا البحث سيأتي في محلّه المناسب .

إذن :

القرآن ليس ذكوريًّا ، بل القرآن شامل للذّكر والأنثى ، والخطابات القرآنيّة خطـابات عامّـة شـاملة للرّجـال والنّسـاء ، خطـاب **"يَا أَيُّهَـا النَّاسُ"** خطاب للرّجال والنّساء ، وخطاب **"يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ"** خطاب شامل للذّكور والإناث ، فخطابات القرآن ليست ذكوريّة فقط ، بل شاملة للرّجال والنّساء ، وبذلك نَرُدُّ الإشكال من أصله ، فحينما يقولـون بأنّ الإسـلام والقـرآن ذكـوريّ – نَـرُدُّ بأنّ الخطـابات القرآنيّـة عامّة ، ولا تتحدّث مع الرّجال فقط ، إلّا إذا كانت هناك قرينة في الآيـة تـدلّ على أنّ الآيـة خاصّـة بالرّجـال ، فتكـون الخطـابات عامّـةً للرّجال والنّساء إلّا مع وجود القرينة على أنّ الحديث مع الرّجال .

وهكـذا نلاحـظ أنّ البحـوث في القـرآن الكـريم بحـوث مفتوحـة ، فالعلماء المتقدّمون فهموا فهمًا معيّنًا ، ومن الممكن أنّ هذه الأفهام تتغيّر إلى أفهام أخرى عند العلماء المتأخّرين ، وكذلك عند العلماء في

المستقبل ، وحينما تأتي إشكالات على القرآن ، فالعلماء يبحثون ليجدوا الرّدّ المناسب على الإشكال ، وهذه الإشكالات لم تكن موجودةً سابقًا ؛ لأنّ المجتمعات السّابقة كانت مجتمعات ذكوريّة ، فالذّكور كانوا هم المسيطرين ، والمرأة كان دورها داخل البيت فقط ، فمن الطّبيعي أنّه بهذه النّظرة الاجتماعيّة الّتي يعيشونها يطبّقونها على القرآن ، فيقولون إنّ القرآن ذكوريّ والإسلام ذكوريّ ، ولكن حينما تَرِدُ الإشكالات فإنّنا نحتاج إلى أجوبة ، وهكذا تتطوّر الأفهام ، فعلماء اليوم قد يفهمون فهمًا آخر غير فهم العلماء السّابقين ؛ لأنّ الظّروف الّتي يعيشها العالِم تعطيه نظرة إلى الإسلام وإلى القرآن ، ومن الطّبيعي أنّ الإنسان يتأثّر بالظّروف الّتي يعيشها ، فالإنسان ابن بيئته ، والأفكار المنتشرة في المجتمع تؤثّر على الإنسان حينما يفكّر ، ولا يستطيع أن يفصل نفسه عن الأفكار الموجودة في المجتمع ، وبعض الأمور قد تكون عادات يعتاد عليها ، ويظنّ بأنّ هذه العادات من الإسلام ، فبعض العادات الاجتماعيّة نظنّ بأنّها من الإسلام ، وأقلّ مثال يمكن أن نطرحه هو قضيّة لبس السّواد في العزاء ، وفي بعض الدّول الأفريقيّة إذا كان عندهم عزاء فإنّهم يلبسون الثّوب الأبيض ، وهذا عرف اجتماعيّ ، ولا يمكن أن نقول لهم باستحباب لبس السّواد في أيّام الحزن ، فعندهم استحباب لبس البياض ، وقد لا يكون في لبس الثّوب الأسود استحباب ، وهذا يكون بحسب العرف الاجتماعيّ في كلّ بلد ، فاللّباس الّذي يُلْبَسُ في أيّام الحزن أو أيام

الفرح يكون بحسب المجتمع ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله حينما يلبس اللّباس الأبيض فلأنّه يعيش في بيئة صحراويّة ، فمن الطّبيعيّ أنّه يلبس الثّوب الأبيض ، ولا يلبس ثوبًا غامق اللّون ، ولكن إذا ذهبنا إلى الدّول الباردة وقلنا لهم بأنّه يستحب لكم أن تلبسوا اللّباس الأبيض – فإنّهم يردّون علينا بأنّه لا يمكننا أن نلبس الثّوب الأبيض ؛ لأنّنا نحتاج إلى اللّباس الدّاكن اللّون ، واللّباس الدّاكن يمتصّ أشعّة الشّمس فنشعر بالدّفء .

إذن بعض الأمور الّتي تكون ضمن الأعراف الاجتماعيّة قد لا يكون فيها استحباب ، ولكن ظروف البيئة تجعل الإنسان يفعلها ، مثلًا لو أنّ أحد الأنبياء عليهم السّلام بُعِثَ إلى المجتمعات الّتي تستعمل الطّاولة والكرسيّ أثناء الأكل ، وهذا النّبيّ لو قال لهم بأنّه يستحبّ الجلوس على الأرض أثناء الأكل ، فلا يقبلون منه ؛ لأنّه خلاف العرف الاجتماعيّ الموجود عندهم ، والجلوس على الأرض أثناء الطّعام كان عرفًا اجتماعيًّا في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فنستنتج أن ليس كلّ سلوك يقوم به النّبيّ صلّى الله عليه وآله يكون من باب الاستحباب ، نعم توجد فيه إباحة ، لذلك نقول إنّ فعل المعصوم عليه السّلام نستنبط منه الإباحة على الأقلّ ، إلّا إذا كان الفعل عملًا عباديًّا ، فَيُسْتَنْبَطُ منه الاستحباب أو الوجوب ، وهذا ما يقول به علماء الأصول ، ففعل النّبيّ صلّى الله عليه وآله دالّ على الإباحة على الأقلّ ، نعم إذا كان النّبيّ صلّى الله عليه وآله يصلّي

فالصّلاة واجبة أو مستحبة ، وفي باب سُنَنِ النّبيّ صلّى الله عليه وآله قد تُذْكَرُ بعض المستحبّات ، ولكنّها في الواقع ليست مستحبّات ، مثلًا يقال بأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله يأكل من اللّحم جهة معيّنة من الذّبيحة ، هذا أمر شخصيّ للنّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وهو عمل مباح ، لا أنّه من باب الاستحباب ، فالنّبيّ صلّى الله عليه وآله يرغب ببعض الأمور ، ونحن نعتقد بأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله مثل الآلة ، يتلقّى الوحي ويبلّغ النّاس ، وكأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله لا يفكّر ، إنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله لا يكون بهذه الطّريقة ، فالأنبياء عليهم السّلام يفكّرون أيضًا كما هو حال البشر ، وهم يشتهون ويرغبون ، مثلًا يشرب العسل والماء في أوّل الصّباح لوجود الفوائد الصّحّيّة ، أو يأكل شيئًا معيّنًا من الذّبيحة ، وتوجد قضايا شخصيّة في حياة الأنبياء عليهم السّلام ، مثلًا النّبيّ صلّى الله عليه وآله حينما يشعر بالعطش ، هل يحتاج أن ينزل جبرئيل عليه السّلام بالوحي ويقول له : يا أيّها النّبيّ ، أنت الآن تشعر بالعطش فاشرب الماء ؟

لا يحتاج شرب النّبيّ صلّى الله عليه وآله للماء إلى وحي ، فهذا الأمر قضيّة شخصيّة ولا يحتاج فيها النّبيّ صلّى الله عليه وآله إلى وحي وأمر إلهي ، فليس في كلّ عمل يقوم به النّبيّ صلّى الله عليه وآله يكون عبارة عن وحي ، فالأمور الشّخصيّة الّتي يقوم بها النّبيّ صلّى الله عليه وآله لا تحتاج إلى وحي ، كشرب الماء ، والرّغبة بأكل معيّن ، وجلوس جلسة معيّنة ، ففي القضايا الشّخصيّة لا يحتاج النّبيّ صلّى

الله عليه وآله إلى وحي ، نعم سلوكه وفعله يدلّ على إباحة هذا الفعل ، فنقول إنّ هذا العمل مباح إلّا بشروط معيّنة فيكون مستحبًّا ، وما ذكرناه نافع لمن يقرأ القرآن أو يطّلع على سيرة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وهي من القواعد العامّة في فهم أفعال النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

رجوع إلى موضوعنا :

إذن توجد بعض الصّفات الّتي تميّز النّساء على الرّجال ، وفي القرآن يوجد في بعض الآيات تفضيل من الطّرفين ، ونأتي إليها .

التفضيل من الطرفين :

يقول القرآن الكريم :

"وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا" [1] .

يوجد تفضيل للرّجال على النّساء ، وتفضيل للنّساء على الرّجال ، الرّجال لهم نصيب ، والنّساء لهنّ نصيب ، لا أنّ الرّجل يطمع في نصيب المرأة ، ولا أنّ المرأة تطمع في نصيب الرّجل ، لذلك يقول الله تعالى : **"وَاسْأَلُوا اللهَ مِن فَضْلِهِ"** ، الله يمدّكم بالأشياء ، والمرأة لا تنظر إلى الرّجل ، ولا الرجل ينظر إلى المرأة ، وتلاحظون الآن أنّ الرّجل يتمرّن على كمال الأجسام ، وبعض النّساء يُرِدْنَ أيضًا أن يتمرّنّ على

---

[1] النّساء : ٣٢ .

كمال الأجسام ، وتريد أن تنمّي عضلاتها كالرّجل ، وقد تكون هناك مسابقات لكمال الأجسام للنّساء ؛ لأنّ نظرها إلى الرّجل ، فهناك مميّزات خاصّة للرّجال تريد المرأة أن تحصل عليها ، فتنشأ الدّعوة إلى مساواة المرأة بالرّجل ؛ لأنّ المرأة تعتبر أنّ الرّجل هو المقياس ، وما يفعله الرّجل تقوم بتقليده ، مع أنّ الله تعالى أعطاها مميّزات خاصّة ، وفي هذه الآية يوجد تفضيل من كلا الطّرفين على الطّرف الآخر .

المساواة في أصل الخِلْقَة :

يقول القرآن الكريم :

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا" [1] .

خلقكم الله تعالى من نفس واحدة وخلق من هذه النّفس الواحدة زوجها ، فالرّجل والمرأة كلاهما مخلوقان من نفس واحدة ، والنّفس والرّوح ليست ذكرًا ولا أنثى ؛ لأنّ الرّجل مخلوق من هذه النّفس الواحدة ، والمرأة مخلوقة أيضًا من هذه النّفس أيضًا ، إذن فهذه النّفس الواحدة لا ذكر ولا أنثى ، ولكن هذه الرّوح حينما تتعلّق بجسد الرّجل تتحرّك على أساس الصّفات الموجودة عند الرّجل ، وحينما تتعلّق بجسد المرأة تتحرّك بناءً على الصّفات الموجودة عند المرأة ، فتوجد مساواة في الخلقة ، لا أنّ الرّجل أفضل من ناحية الخلقة ، ولا أنّ المرأة أفضل من ناحية الخلقة .

---

[1] النّساء : ١ .

وهذه الآية تردّ على الرّوايات الّتي تقول بأنّ حوّاء خُلِقَتْ من ضلع آدم ، فهذه الرّوايات تكون مخالفةً للقرآن ، والمقياس هو القرآن ، فالآية تقول بأنّ الرّجل والمرأة مخلوقان من نفس واحدة ، ويأتي قول بأنّ المرأة خُلِقَتْ من ضلع آدم ، فهذا القول خلاف القرآن ، فلا يؤخذ بهذا القول ، وما يعارض القرآن فهو زخرف ، فالآية تقول بأنه توجد مساواة في أصل الخلقة بين الرّجل والمرأة ، والمرأة لم تُخْلَقْ من الرّجل ، فالرّجل والمرأة مخلوقان من نفس واحدة .

المساواة في العمل :

"وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا" [(١)] .

من ناحية العمل توجد مساوة بين الرّجل والمرأة ، فتوجد أعمال مشتركة بينهما ، فالرّجل يصلّي ، والمرأة تصلّي ، ففي العبادات يوجد اشتراك بين الرّجال والنّساء .

"قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ" [(٢)] .

غضّ البصر وحفظ الفرج مطلوبان من الرّجال والنّساء ، وتوجد قرينة ؛ لأنّ المؤمنين هم الرّجال ، والمؤمنات هنّ النّساء ، ولكن لو

---

(١) النّساء : ١٢٤ . النّقير : حفرة صغيرة في ظهر نواة التّمر .

(٢) النّور : ٣٠-٣١ .

كانت الآية بدون ذكر المؤمنات واكتفت بذكر المؤمنين – فنقول بأنّ "المؤمنين" شامل للرّجال والنّساء ، لا أنّ الرّجال فقط مطلوب منهم غضّ البصر وحفظ الفرج ، بل حتّى المرأة مطلوب منها ذلك أيضًا .

صفة إضافيّة للمرأة :

"وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى" [١] .

وهي الآية مورد البحث .

"وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا" [٢] .

توجد في القرآن سورة باسم النّساء ، ولا توجد سورة باسم الرّجال .

إنّ المرأة هي الّتي تستحقّ المهر ، وهذه ميزة لها ، فالتّكليف على الرّجل أن يعطي المهر للمرأة ، وفي بعض المجتمعات المرأة تعطي مهرًا للرّجل ، ، وفي بعض المجتمعات تجهيز البيت من أثاث وغيره على المرأة ، ولو ذهبت إلى هذه المجتمعات وقلت لهم بأنّه يجب على الرّجل أن يدفع المهر أو يجهّز البيت فلا يقبلون منك ؛ لأنّ ما تقوله خلاف أعرافهم الاجتماعيّة ، ولا بد أن نطرح السّؤال التالي :

إذا تغيّرت الأعراف الاجتماعيّة هل من الممكن أن تتغيّر الأحكام الفقهيّة العمليّة أو لا ؟

---

[١] آل عمران : ٣٦ .

[٢] النّساء : ٤ . صدقاتهنّ : مهورهنّ ، نحلة : فريضة أي واجب .

فلو قلت لهم إنّ الرّجل يدفع المهر فلا يقبلون منك ، فإذا جاء إليهم نبيّ وقال بأنّه يجب على الرّجل أن يدفع المهر فإنّهم لا يقبلون هذا الحكم من النّبيّ المرسل إليهم .

وقلنا سنطرح موضوعا عن "محوريّة الأعراف الاجتماعيّة" ، ففي بعض المسائل نرجع إلى العرف الاجتماعيّ ، والحكم يتناسب مع العرف ، وفي المجتمعات الأخرى تتغيّر الأعراف وقد تتغيّر الأحكام ؛ لأنّ نفس المسألة في الرّسالة العمليّة ترجعنا إلى العرف ، وتقول إنّ المقياس هو العرف ، وفي الرّسائل العمليّة هناك كثير من الموارد ترجعنا إلى العرف ، فنرجع إلى العرف لنعرف الحكم ، فالحكم قد يتغيّر بتغيّر الأعراف في المجتمعات المختلفة ، وسيأتي هذا البحث في محلّه المناسب إن شاء الله تعالى .

صفة إضافيّة للرّجل :

"الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ" [1] .

توجد قيمومة للرّجل على المرأة ، ولكن هذه الميزة ميزة تكليف لا ميزة تشريف ، والقيمومة هي إدارة البيت ، فإدارة البيت تكون على الرّجال ، وصرف الأموال يكون عليهم ، فهو الّذي يجب عليه أن يوفّر ما تحتاجه الأسرة حتّى لو كانت المرأة غنيّةً ، ولا تدفع من جيبها شيئًا ، وحتّى لو كان عندها معاش شهريّ ، فليس من حقّ الرّجل أن يأخذ منها شيئًا ، الواجب عليه هو ، وليس عليها شيء ، ولكن في

---

[1] النّساء : ٣٤ .

بعض المجتمعات المرأة تخرج إلى العمل ، والرّجل يبقى في البيت ، وهي الّتي تتكفّل بالإنفاق على البيت ، والرّجل يبقى في البيت يرعى الأطفال وعليه الطّبخ ، في هذه المجتمعات القيمومة للمرأة لا للرّجل ، فهي الّتي عليها إدارة البيت .

إنّ القيمومة لا تعني الدّكتاتوريّة ، كما عند بعض الرّجال الّذين يحسبون أنّ القيمومة تكون على حسب ما يريدون ، فيقول بتعبيرنا "كِيفِي" أي على مزاجي ، أنت عندك عقد زواج ، والعقد يكون من طرفين ، عليك واجبات ولك حقوق ، والمرأة عليها واجبات ولها حقوق ، والمشكلة أنّ أكثر من يُقْدِمُ على الزّواج لا يعرفون الحقوق ولا الواجبات ، تراهما بعد أسبوعين أو شهر أو ثلاثة أشهر وقد وقع الطّلاق بينهما ، فالشّاب يأتي من بيت أبيه وهو شخص مُدَلَّل ، والبنت مدلّلة أيضًا ، فيتزوّجان ، ولكن تبدأ المسئوليّات ، لا الشّابّ متعوّد على تحمّل المسئوليّة ، ولا البنت متعوّدة على تحمّل المسئوليّة ، فبعض الشّباب لو تطلب منهم أن يذهب إلى الجمعيّة التّعاونيّة ليشتري ما تحتاجه الأسرة فلا يعرف ماذا يشتري ؛ لأنّه غير متعوّد على ذلك ، فالأب يوفّر كلّ شيء ، والبنت لا تدخل المطبخ ، ولا تعرف كيف تشعل الغاز ، ولا تعرف طبخ أيّ شيء ، لذلك يشترط أهل البنت في عقد الزّواج توفير خادمة لبنتهم ، ولكن لو أنّ الخادمة هربت فإنّ المرأة لا يمكنها إدارة أمر البيت ، لذلك فأولادنا لا بدّ أن نعوّدهم منذ صغرهم على تحمّل المسئوليّة ، الآباء والأمّهات يحمّلون

أولادهم المسئوليّة ، يكلّفونهم ببعض الأمور داخل البيت ، مثل تنظيف البيت ، البنت مثلًا تتعلّم طبخ بعض الأصناف من الطّعام ، وغسل الأواني ؛ لكي يتعوّد الشّابّ والبنت على تحمّل المسئوليّة حتّى لاتكثر نسبة الطّلاق في المجتمع .

إذن إدارة البيت على الرّجال ، ولكن هذا في مجتمعاتنا ، وفي المجتمعات الأخرى هناك أعراف اجتماعيّة مختلفة ، فلو بُعِثَ إليهم نبيّ وقال لهم نعكس الأمر فلا يقبلون ؛ لأنّهم يعيشون هذه الأعراف منذ آلاف السنوات ، وإذا أراد هذا النّبيّ أن يغيّر بعض الأعراف الاجتماعيّة فإنّه يحتاج إلى وقت طويل ، وأعرافهم هي أنّ المرأة تعمل خارج البيت ، وترى الرّجل واضعًا الطّفل على ظهره وهو يطبخ .

إذن :

الجواب الأول جواب عامّ ، وهو أنّ المرأة لها ميزات وصفات إضافيّة على الرجل ، وبهذا نردّ على إشكال المستشكلين بأنّ الإسلام يحتقر المرأة ، فنقول بأنّ المرأة لها ميزة على الرّجل ، كما أنّه من ناحية أخرى توجد ميزة للرّجل على المرأة ، وهناك بعض الأمور يوجد فيها مساواة بين الرّجل والمرأة ، كما في أصل الخلقة .

ويمكن القيام ببحث في القرآن عن الجوانب الّتي تكون فيها الميزة للنّساء ، والجوانب الّتي فيها الميزة للرّجال ، والجوانب المشتركة بين الرّجال والنّساء ، وهنا ذكرنا بعض الأمثلة فقط .

الجواب الثّاني :

وهـو الجـواب الخـاصّ بنـاء علـى القـول بأنّ هـذه الآيـة خاصّـة بالسّيّدة مريم عليها السّلام ، وأنّها أفضل من الذّكر الّذي كان يمكن أن يكون من خدمة المعبد ، مع أنّ خدمة المعبد ميزة وصفة إضافيّة وفضل للرّجل على المرأة ؛ لأنّ المرأة كان محرّما عليها خدمة المعبد ، ولكن الآية تريد أن تقول بأنّ هذا الرّجل الّذي له ميزة خدمة المعبد ليس كمريم عليها السّلام ، وأنّ لمريم عليها السّلام ميزة وصفة إضافيّة لا توجد لهذا المولود الذّكر الّذي توقّعت امرأة عمران أن تلده ، والميزة هي أنّ مريم عليها السّلام أمّ لنبيّ سيأتي بعد ذلك ، فتكون هذه ميزة للأنثى على الذّكر .

وبهـذا الجـواب الخـاصّ نـردّ أيضًـا علـى إشـكال المستشـكلين بأنّ الإسلام يحتقر المرأة ، فالله جعل ميزة وصفة إضافية لمريم عليها السّلام على الرّجل ، فهي أمّ لنبيّ سيأتي بعد ذلك ، وهي صفة إضافيّة للمرأة على الرّجل .

إذن :

سواء كانت الآية عامّة أم خاصّة فإنّها تردّ على إشكال المستشكل بأنّ الإسـلام يحتقـر النّسـاء ، ويجعلهـنّ في رتبـة ثانيـة بعـد الرّجـال ، فالجواب هو أنّ هناك مساواة بين الرّجال والنّساء في بعض الجوانب ، وهناك أفضليّة للنّساء على الرّجال في بعض الجوانب ، وهناك أفضليّة للرّجال على النّساء في بعض الجوانب ، لا أنّ الإسلام يفضّل الرّجال

على النّساء دائمًا ، كما هو في عرف المسلمين اليوم ، وقلنا بأنّنا نفرّق بين الإسلام والمسلمين ، فهناك أفكار وأفعال عند المسلمين ضمن الأعراف الاجتماعيّة الموجودة عندهم ، ولكنّها لا تعبّر عن القرآن وعن الإسلام .

توزيع المهامّ والمسئوليّات في المجتمع :

يتمّ توزيع المهامّ والمسئوليّات في المجتمع على أساس الصّفات الجسديّة والنّفسيّة لكلّ من الرّجال والنّساء ، فالرّجال لهم مهامّ ، والنّساء لهنّ مهامّ لا تَقِلُّ أهميّةً عن مهامّ الرّجل ، بل قد تكون أهمّ من مهامّ الرّجال ، وتوجد في توزيع المهامّ والمسئوليّات عدالة لا مساواة ، فالمساواة لا تكون في كلّ شيء ، وفي الغرب من ناحية نظريّة يدعون إلى المساواة بين الرّجل والمرأة ، ولكن من ناحية عمليّة لا يطبّقون دعوتهم ، هي شعارات فقط ، ولا يلتزمون بذلك ؛ لأنّ المساواة مستحيلة غير ممكنة .

وأقلّ مثال هو : هل المرأة تقبل أن تعمل في مصنع يتطلّب جهدًا عضليًّا كبيرًا ؟

المرأة لا تقبل ، وفي فترة كانوا يدعون إلى المساواة ، والمرأة عملت في المصانع الّتي تتطلّب عضلات قويّة ، ولكنّ النّساء كنّ يُصَبْنَ بتمزّق في العضلات ، لذلك بدأن بالمطالبة بأن لا يعملن في هذه المصانع ، فالمرأة الّتي تعمل في عمل يتطلّب جهدًا عضليًّا هذه المرأة تفشل في هذا العمل ، ولا يمكن لها أن تستمرّ ؛ لأنّها غير مهيّأة

جسديًّا للأعمال القاسية والجهد العضليّ الكبير ، وعضلات الرّجل تختلف عن عضلات المرأة فسيولوجيًّا ، وهذا اختلاف جسديّ ، ويلزم منه أنّ الأعمال الّتي تُوكَلُ للرّجل تختلف عن الأعمال الّتي تُوكَلُ للمرأة وإن كانت هناك أعمال مشتركة ، وفي العمل المشترك يمكن للرّجل والمرأة أن يعملا فيه .

ويوجد أيضًا اختلاف نفسيّ بين الرّجل والمرأة ، وبالنّسبة للنّاحية النّفسيّة والعاطفيّة فإنّ المرأة تصلح لتربية الأولاد الصّغار والاهتمام بهم ، والرّجل لا يصلح لهذه المهمّة ، والرّجال المتزوّجون يعرفون هذا ، فإذا أحيانًا يتركون عنده الأولاد الصّغار فإنّه لا يستطيع أن يتحمّل ، ولا يستطيع أن يصبر ساعة واحدة على أولاده الصّغار بأن يرعاهم ويطعمهم ويغسلهم حينما تكون الأمّ مشغولةً أو مريضةً ، فالمرأة مهيّأة نفسيًّا لهذا العمل ، لذلك فالأمّ تبقى مع الطّفل منذ أن تلد ، والطّفل معاها في كلّ مكان ، والرّجل لا يمكنه ذلك .

ومن العجيب أنّ الذين يطالبون بخروج المرأة إلى العمل يخرجون امرأة من البيت ويدخلون امرأة أخرى إلى داخل البيت ؛ لأنّهم يدركون أنّ أعمال المنزل لا يستطيع أن يقوم بها إلّا امرأة ، والرّجل لا يستطيع أن يقوم بمهامّ المرأة ، فيدعون إلى خروج المرأة من البيت ، فيخرجون امرأة ويدخلون امرأة أخرى لتأخذ محلّ المرأة الّتي خرجت ، ولكنّ الخادمة أو المربّية لا توجد عندها عاطفة الأمّ تجاه الأولاد ، نعم بعض المربّيات عندهنّ هذه الحالة العاطفيّة ، ودور الخادمة والمربّية هو

الإطعـام وتبـديل الملابـس ، ولكـن لا تسـتطيع أن تعـوّض النّاحيـة النّفسيّة والعاطفيّة للطّفل .

يخرجون امرأة من البيت ويدخلون امرأة أخرى ، ويقولون بأنّ هذه هي حرّيّة المرأة ، فحرّيّة المرأة عندهم أن تخرج من البيت إلى العمل ، ولكنّهم قيّدوا امرأة أخرى ، حُرِّرَتِ امرأة وَقُيِّدَتِ امرأة أخرى ، ولكنّ الأفضـل أنّ الأمّ تبقـى في البيـت ، ومـن الممكـن أنّ الحكومـة تعطـي معاشًـا لـلأمّ الّتي تبقـى في البيـت ؛ لأنّ هـذا أكـبر عمـل وأهـمّ وظيفـة للمـرأة ، فتربيـة الأولاد مسئوليّة كبـيرة جـدًّا ، فيحتـاج مـن الـدّول أن تصرف أموالًا لبقـاء الأمّ في البيت لأجل تربية أولادها تربيةً صالحةً ، وبعض الـدّول الغربيّة تعطي أموالًا للأمّهـات ، وفي الفـترة الأخيرة هنا في بلدنا بدأوا بإعطاء معاش لربّة البيت .

إذن مهمّـة عظيمـة تقـوم بهـا الأمّ ، والمهمّـة ليسـت هيّنـة ، وبعـض النّسـاء يعترضـن علـى إعطـاء الأمّ معاشًـا ، ويـبرّرن ذلـك بأنّ الأمّ لا تقوم بأيّ عمل ، ولكنّ على العكس فإنّ عمل الأمّ يبدأ منذ الصّباح وإلى اللّيل ، أربع وعشرون ساعة وهي تعمل ، وخاصّة حينما تحصل علـى مولـود جديـد فإنّـه لا يمكنهـا أن تنـام نومًـا كافيًـا ، في حـين أنّ الرّجل ينام إلى الصّباح وهو مرتاح ، ولكن الأمّ طوال اللّيل في سهر مع هـذا الطّفـل وخاصّـة إذا كـان يبكـي كثيرًا ، وتشعر بالنّعاس دائمًـا وهـي جالسـة ، والأمّ لا بـدّ أن تُقَـدَّرَ ، فـالأم تقـوم بعمـل جبّـار في البيت ، والرّجل لا يستطيع أن يقوم بعملها .

إنّ بين الرّجل والمرأة علاقة تكامل لا علاقة تنافس ، فكلّ منهما يكمّل الآخر ، ويغطّي ما لا يمكن للآخر أن يفعله ، والنّظام الاجتماعيّ في المجتمعات قائم على أساس الاختلاف بين الرّجل والمرأة ، ومن يريد أن يساوي بين الرّجل والمرأة في كلّ شيء فإنّه يقضي على النّظام الاجتماعيّ الإنسانيّ .

إنّ النّظام الاجتماعيّ الإنسانيّ قائم على أساس وجود الاختلاف بين أفراد المجتمع ، وتصوّر مجتمعًا جميع الأفراد فيه متشابهون من جميع النّواحي ، هذا المجتمع ينقرض ، فلا بدّ من وجود الاختلاف ، فتوجد فروق طبيعيّة في القدرات الجسديّة والنّفسيّة والعقليّة عند الأفراد ، ترى إنسانًا ذكيًّا وإنسانًا آخر أقلّ ذكاءً ، مثلًا لو تصوّرنا مجتمعًا جميع الأفراد فيه أطبّاء إذا طالبنا بالتّساوي بين الأفراد ، فمن يقوم بالأعمال الأخرى إذا كان الجميع أطبّاء ؟

من يأتي لهذا الطّبيب بكوب الشّاي في أوّل الصّباح ؟

نحتاج إلى شخص آخر يقوم بهذا العمل ، والطّبيب لا يتنازل أن يأتي للطّبيب الآخر بكوب الشّاي ، والمجتمع يحتاج إلى ممرّض في المستشفى يقوم بأعمال معيّنة لا يقوم بها الطّبيب ، كالضّماد وغيره ، ويحتاج إلى كاتب يستقبل المرضى ويعطيهم أوراق الدّخول ، وهكذا بقيّة الأعمال .

إذن الاختلاف بين النّاس يؤدّي إلى حفظ النّظام الاجتماعيّ ، فلا بدّ من وجود الاختلاف ، والله تعالى جعل النّاس مختلفين ، وَكُلٌّ

منهم يكمّل الآخر ، والاختلاف بين النّاس يؤدّي أيضًا إلى حفظ النّظام الاقتصاديّ ، فيوجد صانع وتاجر مستورِد ومستهلك ، ويؤدّي أيضًا إلى حفظ النّظام السّياسيّ ، فيوجد حاكم ومحكوم ، وتوجد وزارات ومدراء وموظّفون ، ولكنّ المهمّ هو وضع الرّجل المناسب والمرأة المناسبة في المكان المناسب ؛ لكي يسير المجتمع في جميع أنظمته إلى الكمال ، فنصل إلى المجتمع الكامل والمدينة الفاضلة ، وفي المدينة الفاضلة يوجد تكامل بين الأفراد ، وكلّ شخص يكمّل الشخص الآخر .

وهذه الفروق الطّبيعيّة بين أفراد المجتمع المفروض أن لا تؤدّي إلى التّمييز الاجتماعيّ ، فيصير المجتمع عبارة عن طبقات ، لا بدّ أنّ كلّ طبقة تكمّل الطّبقة الأخرى ، هذا الّذي يصنع الشّاي يكون في خدمة الطّبيب ، ولكن إذا مرض فإنّ الطّبيب يكون في خدمته ، هو الّذي يفحصه ويكتب له الدّواء المناسب ، فهما يكمّلان بعضهما البعض .

وإذا حصل التّمييز الاجتماعيّ فإنّ الظّلم يقع على بعض الأفراد في المجتمع ، سواء كانوا من الرّجال أم من النّساء ، والإسلام لا يقبل بوقوع الظّلم على أيّ فرد من أفراد المجتمع ، ومن أيّ دين كان ، أو من أيّ مذهب كان ، حتّى لو كان ملحدًا ، ليس من حقّ أحد أن يظلم الملحد ، تقول إنّه ملحد وأريد أن أظلمه ، نقول لا ، ليس من حقّك أن تظلمه ، نعم ممارسات المسلمين اليوم فيها ظلم ، يظلمون

ويقبلون وقوع الظلم ، يقبل أنّ المسلم يقتل أخاه المسلم ، والإسلام لا يقبل ذلك ، ولكنّ المسلمين يقبلون .

إنّ ممارسات المسلمين اليوم لا تعبّر عن الإسلام ، والنّظام الاجتماعيّ مثل الجسد الواحد ، والجسد فيه أعضاء وأجهزة مختلفة ، وكلّ عضو يقوم بعمل معيّن ، وكذلك في المجتمع كلّ فرد له عمل معيّن ، فيحصل تكامل الجسد في عمل كلّ عضو ، ويحصل تكامل المجتمع في عمل كل فرد .

"أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ" [(١)] .

"**سُخْرِيًّا**" من التّسخير ، مشتقّ من سَخَّرَ يُسَخِّرُ تَسْخِيرًا ، وهو مُسَخِّرٌ وَمُسَخَّرٌ ، وليس من السُّخْرِيَة والسُّخْرِيَّة أي الاستهزاء ، وهو مشتقّ من سَخِرَ يَسْخَرُ سُخْرِيَةً وسُخْرِيَّةً ، وهو ساخِرٌ وَمَسْخُورٌ بِهِ .

إذن قسّم الله بينهم معيشتهم في الدّنيا ، والأفراد مختلفون في المجتمع ، وتوجد درجات ، درجة الطّبيب تختلف عن درجة الّذي يقدّم الشّاي ، وعند الله قد يكون هذا الّذي يعمل الشّاي أفضل من الطّبيب ، ولكن هذه هي معيشتهم في الدّنيا حيث الاختلاف .

"**لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا**" ، فالّذي يقدّم الشّاي يكون مُسَخَّرًا للطّبيب ، والطّبيب يكون مُسَخَّرًا لمن يقدّم الشّاي .

[(١)] الزّخرف : ٣٢ .

إذن في النّظام الاجتماعيّ يوجد تكامل في أعمال أفراد المجتمع ، مثلًا عامل النّظافة الّذي يجمع القمامة ألا نحتاجه ؟ وهل يمكن أن نستغني عن خدماته ؟

والبعض قد يسخر من عامل النّظافة ، ولكن تصوّر أنّ جميع عمّال النّظافة يضربون عن العمل ، ماذا يحدث في المجتمع ؟

ومن جهة ثانية تصوّر أنّه لا يوجد لاعبو كرة ولا ممثّلون وممثّلات ومطربون ومطربات هل أعمال المجتمع تسير أو تتوقّف ؟

أعمال المجتمع تسير بدونهم ، فمن هو الأهمّ : عامل النّظافة أو لاعب الكرة والممثّل والمطرب ؟!

إنّ عامل النّظافة عمود من أعمدة المجتمع ، فلا بدّ أنّه في كلّ صباح ترفع له التّحيّة ، هو الّذي ينظّف البلد ، ولا نحتاج إلى لاعبي الكرة والممثّلين والمطربين في المجتمع ، ولكنّ التّركيز الآن على لاعب الكرة والممثّل والمطرب ، ويقال إنّ هذا فن ، وهؤلاء مهمّون ، وهم أعمدة المجتمع ، وهم يمثّلون المجتمع ، ارفع هذا الّذي يقال عنه إنّه عمود فالمجتمع لا يتأثّر بشيء ، ولكن بعض الوظائف الّتي يستهزأ بها النّاس هي أعمدة من أعمدة المجتمع واقعًا ، هذا الّذي يقدّم الشّاي للطّبيب عمود داخل المستشفى ، لو أضرب عن العمل فالطّبيب لا يحصل على الشّاي ، ولا يحصل على أحد ينظّف له العيادة ، والآن نظرة المسلمين للأعمال نظرة مختلفة تمامًا عن نظرة الإسلام ، مطرب يغنّي في ملعب كرة قدم ، ترى الملعب يمتلئ بالنّاس ، وأمّا بعض

المهرجانات الثّقافيّة فتلغى ، ويكتبون في الجريدة ألغي المهرجان الثّقافيّ لأنّه لم يحضر أحد ، وخذ المقياس التّالي ، إذا كنت تريد من المجتمع أن يتقدّم فانظر إلى من يفضّلون ويقدّمون ، فإذا كان التّفضيل والتّقديم للاعبي الكرة والممثّلين والممثّلات والمطربين والمطربات فهذا المجتمع يستحيل أن يتقدّم ، ولكن إذا كانت الأهمّيّة للمفكّرين والعلماء والمثقّفين فهذا المجتمع يتقدّم ، وحينما يعطون قيمةً للعالم سواء كان عالم دين أم عالم في العلوم الأخرى فإنّ المجتمع يتقدّم ، وإذا كان يعطى لعالم الطّبيعة قيمة فلا يضطرّ أن يهاجر إلى الخارج لكي ينتج هناك ، وعلى وضع مجتمعاتنا المسلمة اليوم فلا يمكن أن تتقدّم لأنّ مقاييسهم مقاييس خاطئة ، وحينما تتغير المقاييس يمكن لهم أن يتقدّموا ويتطوّروا .

العالم والمفكّر والمثقّف في الغرب تعطى له قيمة ، لذلك تقدّموا ، وتجد للمفكّرين مقابلات في القنوات الفضائيّة ، حتّى لو كانوا من الملحدين ، ولكن يعتبر مفكّرًا ، يعطى له قيمة ، والعالم والمثقّف يعطى لهما قيمة وإن كان عندهم اهتمام بالمطربين ، ولكن في المقابل توجد مجموعة تهتم بالعلم والفكر والثّقافة ، تراه جالسًا على البحر وفي يده كتاب ، وفي القطار وبيده كتاب ، وفي الحديقة وبيده كتاب ، وهناك الكتب تطبع بالملايين ، ويطبعون الكتاب عدّة طبعات بسبب وجود القرّاء الكثيرين الّذين يطلبون الكتاب ، والمشكلة في المجتمعات المسلمة أنّه لا يوجد قرّاء ، حتّى لو يُعْرَضُ

الكتـاب مجّـانًا فـإنّهم لا يأخذونـه ، لا يوجـد اهتمـام بالعلـم والفكـر والثّقافة ، والآن العلم والثّقافة عند المسلمين سماعيّ ، ولكنّ الكتاب لا يُعَوَّضُ ، والكتاب لا بدّ أن يعطى له قيمة ، والقراءة تختلف عن السّـماع ، فنـدعو المسلـمين إلى أن يقـرأوا إذا أرادوا أن يتطـوّروا ويتقدّموا ، ويكون الكتاب له قيمة ، وأطفالنا لا بدّ أن يتعوّدوا على احترام الكتاب ، لا أنّه بمجرّد ما ينتهي من الامتحان في المدرسة يرمي الكتاب ، والبعض يركل الكتاب ، وفي البيت حينما يرى الطّفل أباه وهو يزيح الكتاب بقدمه فهل تتوقّع احترام هذا الطفل للكتاب ؟

والأب حينما يرى طفله لا يحترم كتاب المدرسة فلا بدّ أن يوجّهه لكي يهتمّ بهذا الكتاب ، يقول له إنّ هذا الكتاب فيه علم ، والعلم نـور ، والعلـم يعطـي الإنسـان البصـيرة ، ولكـنّ مقـاييس المسـلمين مقـاييس خاطئة ، وإذا تغيّرت مقاييسهم وقاموا بالعمل على أساس المقـاييس الصّـحيحة فـإنّ مجتمعـات المسـلمين تتقـدّم ، ولكـن علـى الوضع الحاليّ نتوقّع أنّ المجتمعات تسير كما هي ، ولا يمكن أن تتقدم وتتطوّر ، وترون الآن الرّوتين الموجود في مجتمعات المسلمين ، هذا إن لم تنزل المجتمعات إلى الأسفل سنة بعد أخرى بدل أن تتقدّم ، وهذه هي أوضاع مجتمعاتنا الحاليّة .

والحمـد لله ربّ العـالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسـم محمّـد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٣١)

لا إكراه في اعتناق الاعتقادات [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

ما زال الكلام في محاور القرآن الكريم ، وانتهينا من المحور التّاسع وهو مكانة المرأة في القرآن ، وندخل إلى المحور التّالي .

المحور العاشر : لا إكراه في اعتناق الاعتقادات :

هذا المحور توسعة لبحث مرّ سابقا وهو "حرّيّة الاعتقاد" ، وأريد أن أتوسّع هنا قليلًا ، وأضيف إليه بعض النّقاط الّتي لم أذكرها سابقًا بسبب ورود بعض الأسئلة عن هذا الموضوع ، وسيأتي بحث مستقلّ كامل عن "حرّيّة الاعتقاد في القرآن" ، فهل القرآن الكريم يثبت حرّيّة الاعتقاد أو لا يثبت هذه الحرّيّة ؟

وسوف نستقصي جميع الآيات الّتي تدلّ على أنّ الإنسان حرّ في

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٧ ربيع الآخر ١٤٤٠ هـ الموافق ٢٠١٨/١٢/١٤ م .

اعتناق أيّ عقيدة في الدّنيا أو ليس حرًّا ، وسيتبيّن أنّ النّتيجة الّتي نصل إليها هي أنّ حرّيّة العقيدة والاعتقاد مكفولة في القرآن ، وهناك آيات كثيرة – قد تصل إلى أربعين آية – تدلّ على حرّيّة الاعتقاد ، والبعض استقصاها إلى مائة آية .

ونسأل السّؤال التّالي :

هل أنّ الله يحاسب النّاس يوم القيامة وأنّ الإنسان حرّ في الدّنيا بأن يعتقد أيّ اعتقاد يريد وأنّ كلّ شخص يأخذ جزاءه المناسب يوم القيامة والمحاسب هو الله تعالى أو أنّنا نحاسب النّاس في الدّنيا على اعتقاداتهم ؟

نحن – المسلمين – نعتقد أنّ الله يريد من جميع النّاس أن يكونوا مسلمين صالحين مطبّقين لتعاليم الإسلام السّمحة ، وهو الإسلام الّذي يدعو إلى السّلام والتّسامح والإقناع ، وليست من دعوة الإسلام الدّعوة إلى الحرب والإكراه والأخذ بالاعتقاد بدون اقتناع ، كم من المسلمين اليوم مسلمون بالوراثة بدون أن يتفكّروا ويقتنعوا ، فعلى أساس الوراثة صاروا مسلمين ، ولو كانوا مولودين من آباء وأمّهات يهود لصاروا يهودًا ، ولو كانوا مولودين من آباء وأمّهات يقدّسون البقر لقدّسوا البقر ، والإسلام يريد مسلمين مقتنعين بالإسلام عن طريق الأدلّة ، ويؤمنون بوجود إله خالق بالدّليل ، ويمكن أن تستقرئ وتسأل المسلمين :

ما هو الدّليل على وجود الله تعالى ؟

سؤال بسيط عن الاعتقاد الأوّل وهو وجود الله والتّوحيد ، فما هو الدّليل على وجود الله عزّ وجلّ ؟

تتوقّع كم مسلم يمكنه أن يجيبك على هذا السّؤال بأجوبة علميّة ؟

البعض يقول إنّ الدّليل العقليّ يدلّ على وجود الله ، اشرح بالتّفصيل لا أن تعطي عناوين عامّة فقط ، يقول إنّ الفطرة تدلّ على وجود الله ، هذا شعار ، اشرح بالتّفصيل كيف أنّ الفطرة تدلّ على وجود الله .

كم من المسلمين يمكنهم إثبات ذلك ؟

ستجد أنّ العدد قليل جدًّا ، وهم الّذين يتفكّرون في مثل هذه الأمور .

وحتّى الّذين يعتنقون هذا المذهب دون المذهب الآخر اسألهم : ما هي الأدلّة الّتي جعلتك تختار هذا المذهب دون المذهب الآخر ؟

كم شخص يمكنه أن يجيبك جوابًا علميًّا مبنيًّا على البحث في أدلّة المذاهب ؟

ونحتاج إلى جواب تفصيليّ لا أجوبة عامّة ، والكثيرون صاروا من هذا المذهب أو من ذاك المذهب بالوراثة ، نعم أحيانًا يوجد أفراد قليلون ينتقلون من مذهب إلى مذهب آخر ، ولكنّ العدد قليل ، ولا يشكّل ظاهرة ، حتّى لو قلنا مئات الأشخاص ، فالمئات لا يشكّلون ظاهرة كبيرة ، وتلاحظون أنّ الّذين يعتنقون المذهب الآخر يؤلّفون الكتب ، وترى أنّ السّنّيّ الّذي ينتقل إلى التّشيّع يؤلّف كتابًا عن

أسباب انتقاله إلى مذهب التّشيّع ، وقد تكون أدلّته أفضل من الّذين يعتنقون هذا المذهب بالأصل .

وأتذكّر في قم المقدسة أحد الطّلبة كان يتكلّم بحرقة عن أسباب تشيّعه ، والطّلبة الآخرون كانوا شيعةً بالأصل ، فغضب عليهم ، وقال لهم بأنّكم لا تحسّون بما هو موجود عندكم ، وأنا أتكلّم بحرقة لأنّكم شيعة بالأصل ، ولا تعرفون الموجود عندكم ، وأنا باعتباري كنت من مذهب آخر وانتقلت إلى التّشيّع وقرأت كثيرًا فأعرف ما يوجد عند الشّيعة بالتّفصيل .

إذن نسأل المسلمين من جميع المذاهب : لماذا اتّخذت هذا المذهب دون المذهب الآخر ؟

ولا بد أن يكون الجواب جوابًا تفصيليًّا ، ولا يقوم بهذه البحوث إلّا من كان باحثًا مُحَقِّقًا ، والإنسان العادي لا يقوم بهذه البحوث ، نعم يسمع من هنا وهناك ، ولكنّ السّماع لا يدلّ على وجود البحوث ، لا بدّ أن يبحث بنفسه ليصل إلى أيّ مذهب يمكن أن يختاره ، والجواب لا بدّ أن يكون جوابا علميًّا لا عناوين عامّة .

لو أنّ الشّيعيّ نسأله : ما هو الدّليل القرآنيّ على الإمامة ؟

كم شيعي يستطيع أن يجيب ؟

يقول إنّ الإمامة مذكورة في القرآن ، نقول نعم الإمامة مذكورة في القرآن ، ولكن كيف يمكن أن تثبت إمامة أهل البيت عليهم السّلام من خلال القرآن ؟

وقد يعطيك الشّيعيّ عناوين عامّة أيضًا ، يقول مثلًا آية التّطهير ، ولكن كيف يمكن الاستدلال بآية التّطهير استدلالًا تفصيليًّا مع الإجابة على جميع الإشكالات الّتي تَرِدُ على الاستدلال بهذه الآية ؟ كم شيعيّ يستطيع أن يجيب بالتّفصيل ؟

ستجد أنّ العدد قليل ، والبقيّة عندهم عناوين عامّة ، وحفظ العناوين لا يكفي ؛ لأنّه في وقت النّقاش مع من يحفظ العناوين تجده لا يستطيع أن يجيب على الأسئلة والإشكالات ، ومسائل الاعتقاد تحتاج فيها إلى أدلّة يقينيّة لكي تؤمن باعتقاد معيّن ، والأدلّة الظّنّيّة لا تكفي في الاعتقادات .

إذن :

نحتاج إلى بحوث كثيرة ، وكلّ شخص لا بدّ أن يقوم ببحث عن سبب اختياره للإسلام ، وسبب اختياره لمذهب معيّن ، طبعًا حتّى مع وجود المذاهب المختلفة فالمفروض أنّ الأمّة الإسلاميّة أمّة واحدة ، نعم من الممكن أن تأخذ بآراء المذهب ، ولكن بدون الموقف العدائيّ من أتباع المذاهب الأخرى ، أنت عندك اقتناع بهذا المذهب ، وهو عنده اقتناع بذاك المذهب ، تقول إنّ اعتقاداته خاطئة ، هو أيضًا يقول إنّ اعتقاداتك خاطئة ، أنت مسلم ، وهو مسلم أيضًا ، وكلّ تابع لأيّ مذهب هو مسلم ، أنت تعتقد أنّ مذهبك يمثّل الإسلام ، هو أيضًا يعتقد نفس الاعتقاد بمذهبه ، ولكن أهمّ شيء هو عدم اتّخاذ الموقف العدائيّ ، وعدم تكفير الآخر ، وإلّا

فإنّنا سنصل إلى أنّ كلّ طرف يكفّر الطّرف الآخر ، أنت تعتقد بالإمامة ، وهو لا يعتقد بالإمامة ، فإذا تعتقد أنّ مذهبك هو المذهب الحقّ والباقي على باطل ، فمعنى ذلك أنّك ستكفّره ، كن ضمن مذهب معيّن ، ولكن حافظ على الأمّة الواحدة ، والقرآن الكريم يدعو إلى الأمّة الواحدة .

"وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ" [1] .

إنّ المحافظة على هويّة الأمّة الواحدة ضروريّة من جميع المسلمين ، حتّى لو كنت تتّبع مذهبًا معيّنًا وتأخذ بآراء هذا المذهب ، ولكن بدون أن تطعن بالآخرين .

ونحتاج اليوم إلى فتح باب النّقاش والحوار بين جميع الأديان وجميع المذاهب لمعرفة أدلّة كلّ فريق ونقاش هذه الأدلّة نقاشًا علميًّا ، بدون افتراءات وكذب على الطّرف الآخر ، وفي القنوات الفضائيّة يقابلون شخصا ويكتبون على الشّاشة "الباحث الإسلاميّ فلان الفلانيّ" ، ولكن حينما يطرح الأدلّة يفتري ، ويقول بأنّه يوجد كذا في كتب المذهب الآخر ، ولكن في الواقع ما يقوله غير موجود في كتبهم ، أو يستقطع جزءًا من الرّواية المذكورة في كتبهم .

فنحتاج إلى الحوار بين الأديان ليطّلع كلّ فريق على آراء الآخرين ، ولكن لا بدّ أن تكون أدلّتنا أدلّةً قويّةً مُقْنِعَةً ، وأحيانا عندنا أدلّة

---

[1] المؤمنون : ٥٢-٥٣ .

ضعيفة غير مُقْنِعَةٍ ونريد من الآخرين أن يدخلوا إلى الإسلام ، ولكن أدلّتنا ضعيفة ، ولا تصمد أمام الإشكالات ، والطّرف الآخر حتّى لو كان ملحدًا يُشْكِلُ على أدلّتك ببعض الإشكالات ، وبعض الإشكالات تحتاج إلى أجوبة ، وتوجد بعض القنوات يُشْكِلُونَ على الإسلام وعلى القرآن ، ولا توجد عند المسلمين متابعات لهذه القنوات ، قنوات فضائيّة أو قنوات على اليوتيوب ، فنحتاج إلى متابعة هذه الإشكالات الّتي تُطْرَحُ على الإسلام ، وكذلك متابعة الإشكالات الّتي تُطْرَحُ على المذهب الّذي تعتقد به ، ولا بدّ أن تَرُدَّ على الإشكالات ، والحجّة على الآخرين لا بدّ أن تكون بالأدلّة القويّة المقنعة ، وهذه الأدلة لا بدّ أن تتطوّر مع الزّمن ، لا أن نظلّ على أدلّة السابقين ونريد أن نقنع بها النّاس في زماننا الحاليّ ، فبعض الأدلّة القديمة الّتي ذُكِرَتْ في كتب العلماء السّابقين لا يمكن الاستناد إليها ، الآن تريد أن تتكلّم عن الإلحاد ، وظاهرة الإلحاد لم تكن موجودةً سابقًا بهذه القوّة ، تجد شخصًا أو شخصين أو ثلاثة أشخاص يتكلّم المعصوم عليه السّلام معهم ويذكر بعض الأدلّة ، فيمكن لنا أن نأخذ الدّليل ونرى بأنّ هذا الدّليل يتناسب مع الملحدين في زماننا لكي نطرح نفس الدّليل ، أو لا يتناسب فنبحث عن دليل آخر ، والقرآن مملوء بنقاشات مع الكفّار ، وهذه النّقاشات نحاول أن نستفيد منها في زماننا ، وبعض الأدلّة قد لا يمكنك أن تقنع بها الآخرين ، وبعض الأدلّة أدلّة قويّة يمكنك طرحها .

والأدلة تتطوّر مع الزمن ، ونأتي بأدلّة جديدة ، وليس بالضّرورة أن نظلّ على أدلّة السّابقين ، والنّقاش لا بدّ أن يكون قائمًا على أساس الدّليل القويّ المقنع ، وأمّا التّهديد بالقتل فلا ينفع في زماننا ، يقول بأنّه إذا لا تعتقد باعتقادي فأنا أقتلك ، فأنت كافر يجب قتلك ، وعلى العكس فإنّ ذلك ينفّر الآخرين من دخول الإسلام ، بالإضافة إلى أنّه ينفّر أيضًا بعض المسلمين ، وكثير من المسلمين سيدخلون في الإلحاد إذا قلنا بأنّ الإسلام يقتل كلّ من ليس مسلمًا .

وظاهرة الإلحاد حينما تنتشر يكون بسبب الإرهابيّين ، وهذا ما يصرّح به بعض المسلمين الّذين دخلوا الإلحاد ، ويعتبرون الله إله القتل والحرب ، والإسلام دين الإرهاب ، كما هي الصّورة الموجودة اليوم عند غير المسلمين بل عند بعض المسلمين أيضًا ، وهؤلاء الإرهابيّون يستندون إلى آيات قرآنيّة وإلى روايات وإلى أقوال بعض العلماء الّذين هم يعتقدون بهم .

وإذا قلنا بأنّ الإسلام يدعو إلى قتل كلّ إنسان غير مسلم فيقولون بأنّ الله سبحانه إله القتل والإرهاب ، ويقرأون في كتب المسائل الشّرعيّة أو يسمعون في القنوات أنّ الكافر يُعْرَضُ عليه الإسلام فإمّا أن يقبل وإمّا أن يُقْتَلَ ، وهذه مسألة مطروحة ، وهذه المسألة لا يمكن أن تُقْبَلَ ، لا فقط من غير المسلمين ، بل حتّى من بعض المسلمين ، ويعتبرون أنّ الإسلام دين الحرب ، وتوجد عندنا شعارات فقط ، فنقول إنّ الإسلام دين السّلام ، وفي نفس الوقت يدعو

المسلمون إلى قتل الكفّار والمشركين ، وإذا كان الإسلام دين السّلام فلا بدّ أن ندعو إلى نشر السّلام ، سلام مع جميع الأديان ، نعم ينفتح باب النقاش ، وهذا هو المطلوب في زماننا ، زماننا زمان الحوار ، وعصر المعلومات ، وجميع المذاهب تدعو إلى الحوار بين الأديان ، ولكنّهم لا يدعون إلى الحوار بين المذاهب ، بل يظلّ التكفير الموجود بين المذاهب .

إذن هذا المحور توسعة للبحث الّذي طرحناه سابقًا تحت عنوان "حرّيّة الفكر والاعتقاد" ، ووردت بعض الاعتراضات ، والبعض أرسل لي عشر صفحات أو أكثر نقلها من كتاب معيّن ، وأنا قد قرأت ما أرسله لي .

مثلًا البعض يرسل لي صفحات من تفسير الميزان للعلّامة الطّباطبائيّ رضوان الله عليه ، وأنا قبل أن أكتب أيّ موضوع أراجع ما يقوله المفسّرون في كلّ آية ، طبعًا الآراء مختلفة في التّفاسير ، ولكن أهمّ شيء حينما أقرأ أيّ كتاب هو البحث عن الدّليل ، مثلًا شخص يقول بالتّعامل مع غير المسلم بطريقة معيّنة ، أبحث في كلامه عن الدّليل على قوله ، وكثير من الآراء الشّخصيّة الموجودة في الكتب تُطْرَحُ بعنوان أنّها أحكام من الدّين ، ولكن لا دليل عليها ، والكاتب لا يذكر الدّليل على رأيه ، ولو كان يوجد عنده دليل فالمفروض أن يذكر هذا الدّليل ، وخاصّة إذا كان تفسيرًا للقرآن ، فلا بدّ أن توجد عنده آيات قرآنية تدلّ على رأيه ، فكثير من الأقوال عبارة عن آراء

شخصيّة لا دليل عليها ، لذلك يوجد اختلاف في التّفاسير .

وقبل أن أكتب أيّ موضوع أراجع تفسير الميزان لأرى رأي العلّامة الطّباطبائيّ رضوان الله عليه ، وأراجع بعض التّفاسير الأخرى لأرى آراء المفسّرين في الآية ، وما أقتنع به مع الدّليل آخذ به وأكتبه في موضوعي ، وقد يأتي رأي جديد غير موجود في الكتب .

والبعض يقول إنّني طرحت رأيًا لا يقول به العلماء ، وقلنا إنّ باب البحث مفتوح ، وحينما نأتي بالآيات القرآنيّة فهذه الآية نفهم منها شيئًا ، ونربطها بالآية الأخرى فنفهم منهما فهمًا معيّنًا ، والبعض يقول بأنّه لا توجد في القرآن حرّيّة الاعتقاد ، فنقول له : آتِنَا بالآيات الّتي تدلّ على عدم حرّيّة الاعتقاد ، واثبت أنّ القرآن الكريم لا يؤيّد حرّيّة الاعتقاد ، لنرى أنّ هذه الآيات هل هي فعلًا تدلّ على رأيك أو لا .

قلنا إنّ البحث توسعة لبحث سابق باعتبار بعض الأسئلة الّتي وَرَدَتْ ، وإلّا فنيّتنا في المواضيع أن نطرح عنوانًا ونبحثه ، ثمّ ننتقل إلى عنوان آخر ، والتّوسعة تأتي فيما بعد أو أنّ أحد الباحثين الّذين يقتنعون بهذه الأفكار يوسّعون هذه البحوث ، والنّقاط كثيرة في موضوع "عالميّة الإسلام" ، ولا أستطيع أن أتناول كلّ بحث بالتّفصيل ؛ لأنّ التّفصيل يأخذ أسابيع كثيرة .

والآن سنأتي إلى ذكر بعض الآيات القرآنية الّتي تدلّ على حرّيّة الاعتقاد :

"وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنَتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ" [1] .

"وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا" ، فيأتي السّؤال والإشكال : إذن لماذا خلق الله المشركين ؟

وبعض القنوات يطرحون مثل هذا الإشكال ، أنتم تقولون إنّ الله لم يترك لنا حرّيّة الاعتقاد ، فلماذ يخلق الله المشركين ؟ ولو لم يُرِدِ الله أن يشركوا لجعلهم مؤمنين ؟

ومعنى ذلك أنّ الله جعل حرّيّة الاعتقاد ، والنّاس لهم الحرّيّة فيما يعتقدون ، والله ترك للنّاس الحرّيّة في اعتناق أيّ دين ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله ليس عليهم بحفيظ ولا بوكيل ، والحساب يوم القيامة ، فالإنسان في الدّنيا حرّ في أعماله وما يتبنّاه من عقائد ، فإذا أراد أن يشرب الخمر فهو حرّ في ذلك ، ولكن ليجهّز نفسه للحساب يوم القيامة ، وإذا أراد أن يعتنق أيّ اعتقاد فله ذلك ، ولكن يوجد حساب يوم القيامة ، وحينما نقول إنّ الإنسان حرّ في اعتناق أيّ دين فهذا ليس معناه تصحيح العمل بأيّ اعتقاد وأيّ دين ، فنحن نعتقد أنّ الإسلام هو الدّين المطلوب من الله الإله الخالق ، وكلّ إنسان له الحرّيّة في أن يعتقد بأيّ دين ، ولكن يجهّز نفسه للحساب ، والّذين يقولون بعدم حرّيّة الاعتقاد يستدلّون بالآية الكريمة :

---

[1] الأنعام : ١٠٧ .

"إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ" [1] .

نعم الدّين المطلوب من الله هو الإسلام ، ولا يوجد اعتراض على هذا ، ولكن هذه الآية لا تدلّ على أنّه يجب إجبار النّاس على اعتناق الإسلام وتهديدهم بالقتل ، وإذا لم يعتنق الإسلام فمصيره القتل ، نعم الله تعالى يريد الإسلام ، ولكن يريده من النّاس مع الاقتناع ، وعلى المسلمين أن يدعوا النّاس إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة كما يقول الله تعالى :

"ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ" [2] .

لم تقل الآية الكريمة : (ادْعُ إلى سبيل الله بالتّهديد والقتل وسفك الدّماء ؛ لكي يدخل النّاس إلى الإسلام مُجْبَرِينَ مُكْرَهِينَ) .

الله تعالى يأمر بالدّعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالّتي هي أحسن ، ولا تدعوهم بالموعظة السّيّئة ، وجادلهم لا بالحسن ، وإنّما الجدال بالأحسن ، أي بأفضل الطّرق ، وهذه الدّعوة تتحقّق بفتح باب الحوار والنّقاش معهم .

"إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ" ، وعليكم أيّها المهتدون أن تدعوا إلى هذا الدّين بالحكمة والموعظة

---

[1] آل عمران : ١٩ .

[2] النّحل : ١٢٥ .

الحسنة والجدال بالّتي هي أحسن ، ولا تقول الآية بالدعوة عن طريق التّهديد بالقتل وسفك الدّماء ، وإمّا أن تُسْلِمَ وإمّا أن تُقْتَلَ ، ولا توجد مثل هذه الدّعوة بإمّا أن تسلم وإمّا أن تقتل ، وإلّا يتحوّل الإسلام إلى دين القتل والإرهاب ، وهذه هي الصّورة العالميّة عن الإسلام اليوم .

وأيضًا يستدلّ من يقول بعدم حرّيّة الاعتقاد بآية أخرى ، وهي :

"وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ" [1] .

الآية الكريمة تقول إنّ الّذي لا يكون مسلمًا لا تكون أعماله مقبولة ، والآية جعلت العقاب أخرويًّا ، ولم تجعل العقاب دنيويًّا بأنّه إذا لم يدخل الإسلام فإنّك تقتله في الدّنيا ، فقالت: **"وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ"** ، فلو كانت هناك دعوة إلى القتل لقالت الآية : (وهو في الدّنيا يُقْتَلُ وهو في الآخرة من الخاسرين) ، ولم تقل الآية : (أَجْبِرْهُ ، وإذا لم يَقْبَلِ اقْتُلْهُ واسْفِكْ دَمَهُ) ، وهذا مقام بيان هذا الحكم ، فإذا كان المقام مقام بيان الحكم فالمفروض أنّ القرآن يبيّن هذا الحكم ، والآية لم تقل : (إذا لم يبتغ غير الإسلام فعليك أن تجبره وتكرهه على دخول الإسلام ، وإذا لم يقبل اقتله) .

إذن ليس من حقّ أحد أن يحاسب النّاس على ما يعتقدون ؛ لأنّ الاعتقاد أمر قلبيّ ، ولا تستطيع إجبار أيّ إنسان على اعتقاد معيّن .

---

[1] آل عمران : ٨٥ .

وفي الرّواية المنقولة عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال لأسامة بن زيد : "أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ" [١] .

إنّ الحساب يوم القيامة على الله ، هو تعالى يحاسب ، وفي الدّنيا كلّ إنسان حرّ فيما يقوم به من أعمال ، هو حرّ في أن يذهب إلى طريق الخير فالطّريق مفتوح ، أو يريد أن يذهب إلى طريق السّوء والفحشاء والمنكر فالطّريق مفتوح ، ولكن ليجهّز نفسه للحساب يوم القيامة ، وحينما تريد أن تقوم بأيّ عمل فقبل القيام بالعمل تصوّر أنّك في القبر وتُسْأَلُ : لماذا قمت بهذا العمل ؟

المفروض أن يكون الجواب جاهزًا عندك من الآن ، لو أنّ الإنسان يفكّر أنّ هناك حسابًا فإنّه يضبط أعماله ، ولكنّ المسلمين بشكل عامّ من الغافلين ، والمنكرات منتشرة في المجتمعات المسلمة ، فنسأل : لماذا تنتشر ؟

لو كانوا يعتقدون بوجود حساب وعقاب يوم القيامة فلا يرتكبون هذه المعاصي ، بل يوجد متجاهرون بالفسق والمعاصي في المواقع والإنستغرام ، وتجد امرأةً تفتخر بالمعصية ، ورجلًا يتفاخر بالفسق .

إذن الإنسان حرّ فيما يقتنع به من عقائد ، ولو قلنا بعدم حرّيّة الاعتقاد فمعنى ذلك أنّ كلّ مذهب من مذاهب المسلمين سيجبر أتباع المذاهب الأخرى على اعتناق عقائده ؛ لأنّ كلّ مذهب يعتبر

---

[١] صحيح مسلم كتاب الإيمان باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال : لا إله إلّا الله ، ح١٦٩ .

نفسه أنّه الحقّ وأنّ المذاهب الأخرى على باطل ، فمن لا يعتقد بالإمامة يجبر من يعتقد بالإمامة على ترك هذه العقيدة ، وإذا لم يقبل يقتله ، وكذلك بالعكس ، فنتيجة القول بعدم حرّيّة الاعتقاد لا تقتصر على الأديان غير الإسلامية ، بل تشمل حتّى مذاهب المسلمين ، وهذا سيؤدّي إلى الحروب المستمرّة بين الأديان ، وسفك الدّماء بين المذاهب والمدارس والاتّجاهات ضمن الدّين الواحد .

وكما يعتبر المسلمون الإسلام هو الحق ، وأنّ باقي الأديان على باطل ، وضمن الإسلام كلّ مذهب يعتبر نفسه الحقّ ، وباقي المذاهب على باطل ، والقاعدة العامّة عندهم هي الإجبار على الاعتقاد – فلا يقتصر الإجبار على الأديان ، بل يشمل حتّى مذاهب المسلمين ، وهذا هو نتيجة القول بعدم حرّيّة الاعتقاد ، فالقاعدة هي أنّ ديني هو الحقّ ، وباقي الأديان على باطل ، وأنّ مذهبي هو الحقّ ، وباقي المذاهب على باطل ، ولا ينظرون إلى أنّ جميع المذاهب ضمن الإسلام ، وأنّ هذه آراء مختلفة وقراءات وأفهام متعدّدة ضمن الإسلام ، فكما أنّه في المذهب الواحد يوجد تعدّد آراء ، كذلك يوجد تعدّد آراء واختلاف وجهة النظر من مذهب إلى آخر ، والمفروض أنّ كلّ مذهب لا ينظر إلى علماء المذهب الآخر أنّهم من المغرضين الّذين يريدون أن يشوّهوا الإسلام ويحرفوا الإسلام ، نقول إنّ كلّ عالم يعطي رأيًا معيّنًا لأنّ هذا هو مقدار فهمه ، أنت تقول إنّ فهمي صحيح وفهم الآخر خاطئ ، هو أيضًا يقول إنّ

فهمي صحيح وفهم الآخر خاطئ ، ولا يجوز أن يتّهم كلّ مذهب علماء المذاهب الأخرى بأنّهم مغرضون يريدون تشويه الدّين ، كلّ عالم هذه قناعاته ، أنت توجد عندك قناعات معيّنة ، هو أيضًا عنده قناعات أخرى ، هذه تعتبر قراءة للدّين ، وتلك قراءة أخرى للدّين ، أنت تعتقد أنّ قراءتك لهذا النّصّ الدّينيّ صحيحة وأنّ قراءته خاطئة ، وهو يعتقد أيضًا أنّ قراءته صحيحة وقراءتك خاطئة ، وكلّ شخص يعمل بما يعتقد ويقتنع به ، والحساب على الله ، وأنت قاصر أو مُقَصِّرٌ ، وهو قاصر أو مقصّر ، ولا يمكنك أن تحدّد أنّه قاصر أو مقصر ، ولا هو يمكنه أن يحدّد أنّك أنت قاصر أو مقصّر ، فيوجد تعدّد في الآراء ، وتعدّد القراءات والأفهام في النّص الدّينيّ الواحد ، وتعدّد القراءات والأفهام موجود ضمن المذهب الواحد ، وضمن المذاهب المختلفة ، فكما أنّ العلماء في المذهب الواحد يختلفون في الآراء ، كذلك يختلف العلماء في الآراء في المذاهب المختلفة ، تعطي آية قرآنيّة واحدة لعدّة علماء ، وكلّ عالم منهم يفسّر الآية تفسيرًا مختلفًا عن العالم الآخر ، وهذا الاختلاف في تفسير الآية يقع ضمن المذهب الواحد ، ويقع أيضًا ضمن المذاهب المختلفة ، فإذا قلنا بعدم حرّيّة الاعتقاد فنتيجة ذلك سفك الدّماء بين الأديان بعضها مع بعض ، وبين المذاهب بعضها مع بعض ؛ لأنّ كلّ دين يعتبر نفسه هو الحقّ وباقي الأديان على باطل ، فإمّا أن تُسْلِمَ وإمّا أن تُقْتَلَ ، وكذلك كلّ مذهب يعتبر نفسه هو الحقّ وباقي المذاهب على باطل ،

فإمّا أن تَقْبَلَ مذهبي أو تُقْتَل ، والمسيحيّ كذلك يمكنه أن يقول إنّ المسيحيّة دين الحقّ وباقي الأديان على باطل ، والكفّار من غير المسيحيّين تُعْرَضُ عليهم المسيحيّة فإمّا أن يتحوّلوا إلى المسيحيّة وإما أن يُقْتَلُوا ، وكذلك اليهوديّ يقول إنّ اليهوديّة دين الحقّ وباقي الأديان على باطل ، وكذلك يقول البوذيّ ، وكذلك غيرهم من الأديان ، وكلّ تابع لدين يعتبر أنّ دينه هو الحقّ كما تعتقد أنت أنّ دينك هو الحقّ ، ولو لم يعتقد بأنّ دينه هو الحقّ لما اعتنقه ، والّذي يعبد بقرة أو يقدّسها يعتقد أنّ دينه هو الحقّ ، ويتمنّى أنّ دينه ينتشر في العالم ، وأنّ جميع النّاس يعبدون البقر أو يقدّسونها ، فكلّ إنسان له قناعة بأنّ دينه هو الحقّ ، لذلك ندعو إلى فتح باب الحوار بين الأديان المختلفة ، وبين المذاهب المختلفة .

ونحن لا نعرف أنّه لماذا هذا الإنسان يعبد بقرة أو يقدّسها ؟ ما هي اعتقاداته ؟ وما هي قناعاته ؟

تقول إنّ العقل لا يقبل أنّ الإنسان يعبد مخلوقًا مثله ، هو عنده فلسفة معيّنة ، ونحن لا يوجد عندنا اطّلاع على فلسفته ، لا بدّ أن نعرف أدلّته لكي يمكننا أن نردّ عليه ، ترى أستاذًا في الجامعة يعبد بقرة أو يقدّسها ، ما هي فلسفته في دينه لنردّ عليه بالدّليل ، وحينما تقول بأنّه خالف بديهة عقليّة هو لا يرى ذلك لأنّ عنده دليله الّذي اقتنع به ، فلا بدّ أن نطّلع على أدلّة جميع الأديان حتّى يمكن أن نقنعهم بالإسلام ، لا أن نقول إنّ الجنّة للمسلمين فقط ، وباقي

النّاس جميعًا في نار جهنم ، وأنّ جميع النّاس من الكفّار ، وسوف نأتي إلى موضوع مستقلّ بعنوان "من هو الكافر في القرآن ؟" .

ومن الآيات الّتي تدلّ على حرّيّة الاعتقاد أيضا :

"إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" [1] .

الّذين آمنوا هم المسلمون ، والّذين هادوا هم اليهود ، والصّابئون يتّبعون دينًا سماويًّا في السّابق ، والنّصارى هم المسيحيّون ، والمجوسيّة تعتبر من الأديان السّابقة ، لذلك يدخلونها ضمن الأديان السّماويّة ، والبعض يقول إنّ بوذا كان نبيًّا من الأنبياء ، ولكن بعد ذلك حصل التّحريف للدّين الّذي يدعو إليه بوذا ، وحينما تقرأ تعاليم بوذا تجد أنّ بعضها متطابقة مع تعاليم الإسلام ، حتّى أنّه في موقع من مواقع الإنترنت كتبوا "بوذا عليه السّلام" ، وكتبوا أيضًا "زرادشت عليه السّلام" ، وهو نبيّ المجوس ، ولكن حصل التّحريف بعد ذلك ، وصار عندهم إله النّور وإله الظّلمة ، فكان دينًا سماويًّا ، لذلك تجد في الرّسالة العمليّة أنّهم يدخلون المجوس مع أهل الكتاب ، والشّرك ليس دينًا سماويًّا .

ثمّ يقول القرآن : **"إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"** ، أنت لا تفصل بين النّاس وتحاسبهم على عقائدهم

---

[1] الحجّ : ١٧ .

في الدّنيا ، الله يحاسبهم ويفصل بينهم يوم القيامة ؛ لأنّ الله على كلّ شيء شهيد ، يعرف تفاصيل حياة كلّ إنسان ، يعرف لماذا هذا الشّخص اعتنق هذا الدّين وما هو دليله ، والدّليل هو المهم ، فالله يوم القيامة يحاسب الإنسان من أيّ دين كان ، هذا مسلم ، يسأله : ما هو دليلك الّذي جعلك تعتنق الإسلام فمن الممكن أنّ دينًا آخر يكون هو الحقّ ؟

ولا بدّ أن يكون عنده الجواب ، ولا يكون جوابه أنّ أبويّ مسلمان فصرت مسلمًا ، هذا ليس جوابًا مقنعًا ، وذاك يقول إنّ أبويّ مسيحيّان فصرت مسيحيًّا ، وله نفس الحجّة ، فلا بدّ أن يأتي الإنسان بالأجوبة المقنعة ، وكلّ مسلم لا بدّ أن يسأل نفسه : لماذا صِرْتُ مسلمًا ؟

لا بدّ أن يكون عنده الجواب التّفصيليّ ، لكي يُقْنِعَ نفسه بالإسلام .

كم شخص من المسلمين قام ببحوث عن الأديان حتّى بعد ذلك يقول : أنا اخترت الإسلام ؟

المسلمون لم يقوموا بمثل هذه البحوث .

من منّا بحث في الأديان ؟

من درس التّوراة تفصيلًا والإنجيل تفصيلًا والقرآن تفصيلًا وبعد ذلك اختار الإسلام عن قناعة بواسطة الأدلّة واستطاع الرّدّ على أدلّة اليهود والمسيحيّين ؟

لا توجد عندنا بحوث تفصيليّة في المؤسّسات الدّينيّة للمسلمين عن التّوراة والإنجيل .

إذا كنت تريد أن تقتنع بدين فلا بدّ أن تبحث في هذا الدّين وفي الأديان الأخرى .

كم عدد الأديان في العالم ؟

في حدود ألفي دين إن لم يكن أكثر ، وسمعت من قبل كم يوم في إحدى اللّقاءات أو المحاضرات على اليوتيوب أنّ المسيحيّة منقسمة إلى ثمانين مذهبًا تقريبًا ، فالآراء مختلفة حتّى عند المسيحيّين .

ويقول القرآن الكريم :

"إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" [(١)] .

إن الله هو الّذي يفصل بين النّاس ويحاسبهم في يوم القيامة ، وليس من حقّ أحد أن يحاسب الآخرين ، نعم أنت تستطيع أن تناقشهم ، ولكن ليس من حقّك أن ترفع عليه السّيف وتقول له : (يجب أن تدخل الإسلام وإلّا أقتلك) ، نحن الآن في عصر الحوار .

ويقول الله تعالى :

"وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ" [(٢)] .

"أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ" ، الخطاب مُوَجَّهٌ للنّبيّ صلّى

---

(١) السّجدة : ٢٥ .

(٢) يونس : ٩٩ .

الله عليه وآله ، الإسلام لم ينتشر بالإكراه ، والآية تقول للرّسول صلّى الله عليه وآله على صيغة سؤال : أفأنت تكره النّاس حتّى يكونوا مؤمنين ؟

والسّؤال ليس سؤالًا حقيقيًّا ، بل هو استفهام استنكاريّ أو إنكاريّ ، والمعنى : لا تُكْرِهِ النّاس حتّى يكونوا مؤمنين ، فلا إكراه ولا إجبار من النّبيّ صلّى الله عليه وآله في اعتناق النّاس الإسلام ، فإذا جاء قول بأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله يريد أن يكره النّاس على دخول الإسلام ، وإذا لم يدخلوا الإسلام فإنّه يقاتلهم – فإن هذا القول يخالف القرآن ، فالقرآن يقول : "**أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**" ، وما خالف القرآن فهو مرفوض ، ولا يمكنك تأويل القول المخالف للقرآن مخالفة صريحة ، فكيف تقول : أريد أن أجبر النّاس على دخول الإسلام ؟! وكيف تقول بأنّه يوجد أمر بقتال النّاس حتّى يقولوا لا إله إلّا الله ؟!

ومن عنده ردّ فليردّ على هذه الآيات القرآنيّة .

ومن الآيات الدّالّة على حرّيّة الاعتقاد :

"**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ**" [1] .

"**إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ**" ، فدور النّبيّ صلّى الله عليه وآله هو التّذكير فقط ، وهذا يفهم من صيغة الحصر ، فيدعو النّاس إلى الإسلام ، ولا توجد عنده سيطرة عليهم في دخول الدّين .

---

[1] الغاشية : ٢١–٢٢ .

"فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ للهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلَاغُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ" [١] .

قال القرآن : **"وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلَاغُ"** ، فدور النّبيّ صلّى الله عليه وآله هو إبلاغ الدّين ، ولم يَقُلِ القرآن : (وَإِن تَوَلَّوْا فَاقْتُلْهُمْ) .

"وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلَاغُ وَعَلَيْنَا الحِسَابُ" [٢] .

على الرّسول البلاغ ، وعلى الله الحساب ، وهذه آية صريحة في أنّ دور الرّسول صلّى الله عليه وآله هو البلاغ والبيان ، فإذا اقتنع الشّخص بالإسلام فإنّه يدخل فيه ، وإذا لم يقتنع فلا يدخل فيه ، وأنت أيّها المسلم حاول أن تقنعه عن طريق الأدلّة القويّة ؛ لكي يدخل الإسلام عن قناعة ، والإنسان لا يحاسب الإنسان الآخر في الدّنيا ، فالحساب على الله يوم القيامة .

"فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلَاغُ المُبِينُ" [٣] .

"وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ" [٤] .

---

[١] آل عمران : ٢٠ .

[٢] الرّعد : ٤٠ .

[٣] النّحل : ٨٢ .

[٤] الرّعد : ٧ .

"**إِنَّمَا أنتَ مُنذِرٌ**" : الصّيغة صيغة حصر ، والمعنى هو أنّ دور النّبيّ صلّى الله عليه وآله هو الإنذار فقط ، وليس عليه الحساب ، فإذا أنذره ولم يدخل الإسلام فالحساب على الله يوم القيامة .

"**وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**" [1] .

نعم نحن نعتقد بالحقّ الّذي جاء من الله تعالى ، ونعتقد أنّ الإسلام هو دين الحقّ ، ولكن من شاء فليؤمن باختياره ، ومن شاء أن يكفر باختياره ، فالإنسان حرّ في اختيار الإيمان أو الكفر ، هو حرّ في أن يتّخذ أيّ دين يريد ، هو حرّ في اعتناق أيّ عقيدة يريد ، وحساب جميع النّاس يكون في يوم القيامة ، ومن يحاسب النّاس هو الله عزّ وجلّ .

إنّ دور المسلمين هو أن يبيّنوا الحقّ للعالم ، فعليهم البلاغ والإنذار ، وهذا هو الّذي يتناسب مع عالميّة الإسلام ، والنّاس في الدّنيا لهم الحرّيّة الكاملة في سلوك طريق الإيمان أو طريق عدم الإيمان ، فلهم الحقّ في أن يقتنعوا حتّى يعتنقوا ، أو أنّهم لا يقتنعون فلا يعتنقون ، وإذا لم يقتنعوا فقد تكون أدلّتك الّتي طرحتها أدلّة ضعيفة ، فأنت لم تبيّن الحقّ الّذي تعتقد به بأدلّة قويّة بحيث يقتنع الآخرون ، ولم تبلّغ البلاغ المبين .

ولا بدّ أن نسمع إشكالات الآخرين ونردّ عليها ، وأن نسمع أدلّة الّذين لا يؤمنون بالله ؛ لكي نردّ عليها ، ولا بدّ أن نرى أدلّة كلّ

---

[1] الكهف : ٢٩ .

فريق ، وبعض الملحدين يؤلّفون الكتب ، فلا بدّ أن نقرأ كتبهم لنرى ما هي أدلّتهم ، ونردّ على هذه الأدلّة ، لا بمجرّد أن تقول : (أنت ملحد ، فإمّا أن تسلم وإمّا أنّه يجب قتلك) ، هذا لا يقنع أيّ إنسان ، بل على العكس فإنّه ينفّر النّاس من الإسلام ، فكتب الملحدين لا بدّ أن نطّلع عليها لنرى ما يقولون وما هي أدلّتهم ، وقد يكون من الرّبوبيّين الّذين يعتقدون بوجود خالق للكون ، ولكنّهم يقولون بأنّ هذا الخالق الآن لا يدير الكون ، والقوانين هي الّتي تدير الكون ، هذا استدلال من استدلالاتهم الّتي يطرحونها ، تفضل أيّها المسلم ورد على هذا الاستدلال ، وما هو دليلك على أنّ الكون يحتاج إلى هذا الخالق دائمًا ؟

وتوجد من الفرق المسلمة من يقول بأنّ الله خلق الكون ثمّ رفع يده عن إدارة الكون ، وهذا ليس رأيًا جديدًا بأنّ الله لا يدير الكون ، وإنّما جعل قوانين في الكون ، وهذه القوانين تدير الكون ، مثل السّاعة تضع فيها البطّاريّة وهي تعمل عدّة سنوات ، أو السّاعة القديمة الّتي تدير زرًّا صغيرًا فيها فتعمل عدّة أيام ، هم يعتبرون الكون مثل هذا ، فتوجد قوانين تحكم الكون ، ولا نحتاج إلى الخالق في استمرار وجود الكون ، نعم يخلق الكون في البداية ، ولكن دوره ينتهي في خلق الكون ، وهو يجعل القوانين في الكون ، وهذه القوانين هي الّتي تدير الكون ، فنسأل :

ما هو جواب المسلمين على هذا القول ؟

وكيف يثبتون أنّ الحاجة إلى الخالق تكون في بداية الكون وفي استمرار الكون ؟ فما هو الدّليل ؟

وهم يأتون بأدلّة لإثبات قولهم ، فيقولون لو كان هذا الخالق يدير الكون ، فلماذا تقع بعض الأخطاء في الكون ؟ ولماذا تتكوّن الزّلازل والبراكين ؟

ويقولون بأنّ من المفروض أن يكون هذا الخالق رحيمًا ، فلماذا يقتل النّاس بالزّلازل والبراكين وغيرهما ؟

هذا إشكال يحتاج إلى جواب ، ومسألة الشّرور في العالم كثيرًا ما يطرحونها ، وبعض الّذين يلحدون يكون بسبب هذا الإشكال ، وهو وجود الشّرور في العالم ، أنت تحتاج إلى تبرير ، لماذا الشّرور موجودة في العالم ؟

والعلماء يطرحون عدّة أجوبة ، منها أنّ الشّرّ أمر عدميّ ، وهو عدم الخير ، فيردّون على ذلك ويقولون : كيف يكون الشّرّ أمرًا عدميًّا وقد قتل الآلاف من النّاس ؟

ويشكلون حتّى على الأجوبة ، وسنأتي إلى مسألة الشّرور إن شاء الله تعالى ؛ لنرى أنّه هل يمكن إضافة جواب آخر مقنع غير الأجوبة الموجودة ؟

"إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا" [1] .

---

[1] النّساء : ١٣٧ .

"**ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا**" ، أي ارتدّوا ، ثمّ دخلوا في الإسلام وارتدّوا مرّة ثانية ، ولم يأمر القرآن بقتلهم مع أنّهم ارتدّوا أكثر من مرّة ، واكتفى القرآن بقوله : "**لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا**" .

وسيأتي بحث مستقلّ عن حكم المرتدّ ، وكيف يمكن أن نوفّق بين القرآن الكريم الّذي لم يذكر حدّا للمرتدّ وبين الرّوايات الّتي ذكرت حكم قتل المرتدّ ، وقتل المرتدّ غير مذكور في القرآن ، ومذكور في الرّوايات فقط ، والآن لو طرحنا قضيّة قتل المرتدّ على العالم فلا يقبلون الإسلام ، فكيف يمكن أن نوجّه الرّوايات الّتي فيها قتل المرتدّ الفِطْرِيّ والمرتدّ المِلّيّ ؟

المرتدّ الفطريّ هو الّذي يكون مسلمًا بالأصل ثمّ يترك الإسلام ، وحكمه هو أنّه يجب قتله مباشرةً بدون استتابة ، والمرتدّ الملّيّ هو الّذي يكون غير مسلم ثمّ أسلم ثمّ ترك الإسلام ، وحكمه هو الاستتابة ، فإذا لم يَتُبْ يُقْتَلُ ، وهذه المسألة معروفة ، وموجودة في الرّسائل العمليّة ، مع أنّكم ترون أنّ هذا الحكم غير مُطَبَّقٍ ، حاله حال بعض الأحكام الأخرى ، كقطع أصابع السّارق ورجم الزّاني ، ولو نسأل : لماذا لا تُطَبَّقُ هذه الأحكام مع أنّها موجودة في الكتب ؟

يجيبون بأنّ الزّمان غير مناسب لتطبيق هذه الأحكام ، وأنّ تطبيق هذه الأحكام يؤدّي إلى تشويه صورة الإسلام ، ومعنى ذلك أنّهم أخذوا بنظريّة دخالة الزّمان في الأحكام ، مع أنّ الّذين يجيبون بهذا الجواب لا يتبنّون هذه النّظريّة ، إذن هم يأخذون بنظريّة دخالة الزّمان

والمكان في الأحكام من ناحية عمليّة ، ولكنّهم من ناحية نظريّة لا يتبنّون هذه النّظريّة ، وسنأتي إلى تفاصيل هذه النّظريّة مع الأدلّة القرآنيّة والروائيّة لإثبات صحّة نظريّة دخالة الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة في الأحكام .

وتلاحظون أنّه توجد مواضيع كثيرة تحتاج إلى بحث ، وسنبحثها على حسب اتّساع الوقت ، ونحاول أن نغطّي جميع المواضيع ولو بشكل مختصر .

يقول القرآن الكريم :

"إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ" [(١)] .

"إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ" [(٢)] .

ذكرت الآيتان المسلمين واليهود والنّصارى والصّابئين ، والصابئون كانو أصحاب دين سابق ، واقتصرت الآيتان على الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصّالح ، ولم تطرح الإيمان بالنّبوّة ، فمن تكون فيه صفة الإيمان بالله واليوم الآخر ويعمل صالحًا فإنّه يحصل يوم القيامة على مقام عالٍ في الجنّة ، وهو مقام "لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" ،

---

(١) البقرة : ٦٢ .

(٢) المائدة : ٦٩ .

فالمسلم واليهوديّ والمسيحيّ والصّابئ إذا آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربّهم ، ويصلون إلى مقام عالٍ في الجنّة .

وعندنا آية : **"وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ"** [1] .

فيوجد تعارض ابتدائيّ بين الآيتين ، من جهة يقول القرآن بأنّ اليهوديّ والمسيحيّ والصّابئ الّذين يكونون بتلك الصفات يدخلون الجنّة ، ومن جهة أخرى يقول القرآن بأنّ غير المسلم لا يُقْبَلُ منه ، فاليهوديّ والمسيحيّ والصّابئ لا يدخلون الجنّة ، فنسأل :

كيف يمكن رفع التّعارض بين الآيتين ؟

الجواب :

لا بدّ أن نفرّق بين الجاهل المقصّر والجاهل القاصر ، هل يمكن أن اليهوديّ والمسيحيّ يدخلان الجنّة ؟

نقول نعم إذا كان قاصرًا لا مقصّرًا ، إذن فالعنوان العامّ هو أنّ القاصر يدخل الجنّة ، ونحن لا نستطيع أن نعرف القاصر والمقصّر ، والحساب على الله ، وهذا هو طرح الإسلام ، ولكنّ الإرهابيّين يشوّهون الإسلام .

سؤال : من هو الجاهل القاصر ؟

الجواب :

---

[1] آل عمران : ٨٥ .

القاصر هو الّذي لا يخطر في ذهنه ولا يحتمل أنّ الحقّ موجود عند طرف آخر ، أو الّذي لم تَقُمْ عليه الحجّة والبرهان والدّليل على أحقّيّة الطّرف الآخر ، أو لم يسمع بوجود دين آخر ، ولو احتمل أنّ الطّرف الآخر على حقّ فيجب عليه أن يبحث ليصل إلى معرفة الحقّ ، مثلًا المسلم لا يحتمل أنّ اليهوديّة أو المسيحيّة أو البوذيّة أو أيّ دين آخر على حقّ ، لذلك لا يبحث في هذه الأديان ، وأتباع كلّ دين يعتبرون أنفسهم على حقّ ، وإلّا لما اعتنقوا هذا الدّين ، وبالمقابل فاليهوديّ أو المسيحيّ أو البوذيّ لا يحتمل أنّ الإسلام دين الحقّ .

تقول نحن نطرح الأدلّة على صحّة الدّين الإسلاميّ ، نقول نعم أنت تطرح الأدلّة ، ولكن هذه الأدلّة لا يقتنع بها بسبب ممارسات المسلمين ، ويقولون بأنّ الإسلام دين الإرهاب والقتل ، والإرهابيّون يستدلّون بآيات قرآنيّة وروايات منسوبة إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ويشوّهون الإسلام بالتّفسير الخاطئ لآيات القتل والقتال والجهاد ، ولأنّه يرى أنّ بقعة المشاكل الآن في العالم هي دول المسلمين ، فيظنّ بأنّ المشكلة موجودة في الإسلام ما دام أنّ المسلمين لا يتّحدون ويقتل بعضهم بعضًا ويكفّر بعضهم بعضًا ، فلا يحتمل أنّ الإسلام دين الحقّ ، ولا يخطر في ذهنه أنّ الحقّ في الإسلام .

لذلك لا يبحث في الإسلام ، فيكون جاهلًا قاصرًا لا مقصّرًا ، فالمسيحيّ القاصر الّذي يؤمن بالله ويؤمن باليوم الآخر ويعمل صالحًا

بناءً على دينه ، مثل هذا الإنسان يدخل الجنّة ، أو يكونون مُرْجَوْنَ لأمر الله ، وإذا كان إنسانًا قاصرا فإنّه يعتبر مُسْتَضْعَفًا .

يقول القرآن الكريم :

"وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالـمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِـمِ الغَيْبِ وَالشَّـهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِـمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" [(١)] .

هناك أناس مُرْجَوْنَ لأمر الله يفعل بهم ما يشاء ، إمّا أن يعذّبهم وإمّا أن يتوب عليهم ، وهذا يشمل الإنسان القاصر ، وهو من المرجون لأمر الله تعالى .

"إِنَّ الّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الـمَلائِكَةُ ظَالِـمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَـمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الـمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا" [(٢)] .

الإنسان القاصر يُعْتَبَرُ من المستضعفين ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ، والقاصرون لا يحتملون وجود الحقّ في مكان آخر ، فيعتبرون من المستضعفين ، وهم من الجاهلين القاصرين ، وحساب الجاهل القاصر يختلف عن حساب الجاهل المقصّر الّذي يحتمل وجود

[(١)] التّوبة : ١٠٥-١٠٦ .

[(٢)] النّساء : ٩٧-٩٩ .

الحقّ في محلّ آخر ، ولكنّه لا يبحث ، فهو مقصّر ، ونسألك : أنت لماذا صِرْتَ مسلمًا ؟

أغلب المسلمين لا يبحثون ، ولكنّهم لأنّهم وُلِدُوا من آباء مسلمين فصاروا مسلمين بالوراثة لا بالبحث ، ولكن مع ذلك لا يحتمل أنّ الحقّ في دين آخر ، والمطلوب من الإنسان حينما يريد أن يعتقد بشيء معيّن أن يبحث ليعتقد ويعتنق عن قناعة ، لذلك نقول إنّه في أصول الدّين لا يوجد تقليد ، فلا بدّ أن تبحث بنفسك في أصول الدّين ، فنسأل : كم من المسلمين بحثوا بأنفسهم في أصول الدّين ؟

نقول إنّ النّسبة قليلة جدًّا ، هل يفكّرون في الله وفي العدل وفي النّبوّة وفي المعاد ؟ وما هو الدّليل على التّوحيد ؟ وما هو الدّليل على النّبوّة ؟ وما هو الدّليل على الإمامة ؟ وما هو الدّليل على المعاد ؟

قليل من المسلمين يفكّرون في هذه الأمور ، فأغلب المسلمين عندهم دين بالوراثة لا بالبحث والتّحقيق ، واعتقاداتهم اعتقادات موروثة .

إذن الإنسان الجاهل القاصر من أيّ دين كان هو الّذي لا يحتمل وجود الحقّ عند طرف آخر ، أنت كمسلم لا تحتمل أنّ الحقّ يكون في دين آخر ، والمسيحيّ لا يحتمل أيضًا ، ولا يخطر في ذهنه أنّ الحقّ موجود في الإسلام ، والمسلم لا يبحث في الأديان الأخرى لأنّه لا يحتمل أنّ الحقّ موجود في هذه الأديان ؛ لأنّه يعتقد أنّ الإسلام هو الحقّ ، والمسيحيّ لا يبحث ، وكذلك اليهوديّ لا يبحث لنفس

السّبب الموجود عند المسلم ، وهو أنّه لا يحتمل وجود الحقّ في الأديان الأخرى .

إنّ القاصر هو الّذي لا يحتمل وجود الحقّ عند الطرف الآخر أو الّذي لم تَقُمْ عليه الحجّة على أحقّيّة الطّرف الآخر ، هو سمع عن الإسلام ، ولكن لم تَقُمْ عليه الحجّة ، والمسلمون مقصّرون في إبلاغ الدّين إلى العالم ، مثلًا لا نترجم كتب المسلمين إلى اللّغات الأخرى في العالم ، نعم يترجمون إلى اللّغة الإنجليزيّة أو الفرنسيّة أو الألمانيّة ، ولكن عدد اللّغات في العالم يبلغ المئات .

إذن :

كما أنّ المسلم لا يحتمل أنّ الحقّ في أيّ دين آخر ، لذلك لا يبحث في الأديان ، وأتباع كلّ دين يعتبرون دينهم هو الحقّ ، لذلك لا يبحث أيضًا ، ولو لم يعتقد أنّ دينه هو الحقّ لما اعتنق هذا الدّين .

والمثال الأوضح للقاصر هو المعاق ، مثلًا مسيحيّ معاق ذهنيًّا ، هو قاصر لأنّ ذهنه لا يساعده على التّفكير ، يقلّد أبويه فيصير مسيحيًّا ، ويمارس ممارسات المسيحيّين ، فيذهب إلى الكنيسة ، وهذا المسيحيّ المعاق يحاسبه الله على مقدار عقله ومساحة تفكيره ، والمسلمون يقولون إنّ كلّ مسيحيّ يدخل إلى نار جهنّم ، وهذا شخص معاق ، وهو لا يستطيع أن يفكّر ، فهل نقول له : فَكِّرْ في الاختلافات الموجودة بين الأديان ثمّ اخْتَرِ الدّين الصّحيح الّذي توجد عليه أدلّة مقنعة ؟!

هل مثل هذا الشخص المعاق يدخله الله إلى نار جهنّم وقد خلقه معاقًا ؟!

والمثال الآخر هو الشّخص الّذي لم تصل إليه رسالة الإسلام ، والمثال الثّالث هو الّذي وصلت إليه رسالة الإسلام مُشَوَّهَةً ، وهؤلاء يعتبرون قاصرين لا مقصّرين .

نعم من يحتمل أنّ الحقّ موجود في الإسلام ويمكن له أن يبحث ويحقّق ولا يبحث فهو من المقصّرين ، قد يكون عالمًا من علماء دينه ، كعالم يهوديّ أو عالم مسيحيّ ، ولكنّه لا يحتمل أنّ الحقّ موجود في الإسلام ، لذلك لا يبحث في الإسلام ، فحتّى لو كان عالِمًا فهو قاصر ، والمسلمون شوّهوا الإسلام ، نحن لم نبيّن عالميّة الإسلام ، وبعض الأحكام الّتي نطرحها تتنافى مع عالميّة الإسلام ، فالتّقصير من المسلمين الّذين لم يوصلوا رسالة الإسلام الحقيقيّة إلى العالم ، فهل الله يحاسب المسلمين أو يحاسب الآخرين ؟!

المسلمون هم المقصّرون ، وهم الّذين شوّهوا الإسلام ، فالمسلمون هو المحاسَبون ، وحينما نوصل الإسلام بصورته الصّحيحة إلى العالم – حينذاك يمكن أن نطلب منهم أن يصيروا مسلمين عن طريق الإقناع بالدّليل .

وكلّ فرقة يمكن أن نطرح لهم أدلّة مختلفة ، فتأتي إلى المسيحيّين من خلال الإنجيل ، واليهوديّة من خلال التّوراة ، والبوذيّة من خلال كتبهم ، ومن يعبد البقر أو يقدّسها من خلال كتبهم ، والزّرادشتيّين

من خلال كتبهم ، فمن خلال كتبهم نستطيع أن ندخل إليهم بالأدلّة المقنعة ، ولكن إذا لم يوجد عند المسلمين اطّلاع على كتب الآخرين فالمسلمون هم المقصّرون .

وهذا المقدار في اعتناق الاعتقادات يكون كافيًا ، وبحث المرتدّ يكون في محلّه حينما نأتي إلى أحكام الفقه العملي ، ونتناول الرّسالة العمليّة من البداية إلى النّهاية ؛ لكي نرى ما هي الأحكام الّتي تتناسب مع عالميّة الإسلام .

وقبل هذا البحث لا بدّ أن نطرح موضوعًا عن "فلسفة الدّين" ، وموضوعا عن "فلسفة الفقه العمليّ" ، وبعد ذلك ندخل إلى الأحكام العمليّة ، ونبيّن الأحكام بناءً على نظريّة عدم دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، وبناءً على نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، والأمر موكول إلى المستمع والقارئ ليرى أيّ النّظريّتين تتناسب مع عالميّة الإسلام .

ودوري أن أطرح الآراء المختلفة ، وقلنا إنّ بحوثنا بحوث نظريّة لا بحوث فتوائيّة ، فلا نعطي فتاوى ، وإنّما نبحث بحثًا نظريًّا دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، وننظر إلى الأحكام الدّينيّة بمنظار "عالميّة الإسلام" ، ونصل إلى بعض النتائج ، ولا نعطي فتاوى ، فنطرح الرّأي والرّأي المقابل ؛ لكي نبيّن أنّ الإسلام في أحكامه يسير مع حركة العالَم لا أن نظلّ على بعض الأحكام المذكورة في الرّسالة العمليّة والّتي لا تتناسب مع عالميّة الإسلام ، كما في الزّكاة فنظلّ على

الزّبيب والتّمر والقمح والشّعير ، فهل هذه المواد الأربعة تتناسب مع عالميّة الإسلام أو لا تتناسب ؟

وحينما يشرّع الله حكم الزّكاة كيف يمكن أن ننظر إلى الزّكاة كحكم عالميّ لحلّ مشكلة الفقر في العالم لا أن ننظر إلى الحكم على نطاق ضيّق لحلّ مشكلة الفقر عند المسلمين فقط بل هو حلّ عالمي لمشكلة الفقر في العالم ؟

وسنأتي إلى البحوث الّتي تبيّن أنّ الأحكام الإسلاميّة أحكام عالميّة ، ولكنّنا جعلناه في نطاق ضيّق ، وكأنّ الإسلام دين محلّيّ لا دين عالميّ .

إنّ جميع الأحكام أحكام عالميّة ، والقرآن طرح هذه الأحكام على أنّها أحكام عالميّة ، وسنأتي من خلال القرآن إلى إثبات أنّ هذه الأحكام أحكام عالميّة ، وأن الله تعالى لم يُرِدْ أن تكون الأحكام في نطاق المسلمين فقط بل أرادها في نطاق كلّ العالَم .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٣٢)

من هو الكافر في القرآن ؟ [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

ذكرنا عدّة محاور في القرآن الكريم ، ونأتي إلى المحور التّالي .

المحور الحادي عشر : من هو الكافر في القرآن ؟

التّعريف المعروف هو أنّ الكافر هو غير المسلم ، فالكفّار هم غير المسلمين ، فاليهوديّ يعتبر كافرًا ، والمسيحيّ يعتبر كافرًا ، والبوذيّ يعتبر كافرًا ، فكلّ من لا يعتقد بالإسلام فهو كافر ، وهذا هو التّعريف المشهور ، والمشهور أيضًا أنّ كلّ كافر لا يدخل الجنّة ، وأنّ الجنّة للمسلمين فقط ، ويذكرون بعض الآيات القرآنيّة لإثبات ذلك .

وإذا كان المسلمون فقط هم الوحيدين الّذين يدخلون الجنّة فمعنى ذلك أنّ من يدخل إلى الجنّة هم قلّة من النّاس ، وعدد المسلمين اليوم

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ١٤ ربيع الآخر ١٤٤٠ هـ الموافق ٢٠١٨/١٢/٢١ م .

تقريبا مليار ، وعدد سكّان العالم تقريبًا سبعة مليارات ، فأكثر النّاس يدخلون إلى جهنّم لأنّهم كفار ، فستّة مليارات إنسان يدخلون إلى نار جهنّم ، ويبقى مليار واحد فقط .

ونأتي إلى المليار من المسلمين فنرى أنّهم منقسمون إلى مذاهب وفرق ، وكلّ فرقة تعتبر نفسها الفرقة النّاجية ، فتكفّر الفرق الأخرى ، فيصير جميع النّاس كفّارًا ، ويكون الدّاخلون إلى الجنّة عددًا قليلًا جدًّا من المسلمين ، وكلّ فرقة تقول بأنّها هي فقط تدخل إلى الجنّة ، وباقي النّاس كلّهم في النّار بما فيهم المسلمون من الفرق الأخرى .

إنّ دخول أكثر النّاس في النّار يتنافى مع رحمة الله الواسعة الّتي سبقت غضبه ، ورحمته تعالى تستلزم دخول أكثر النّاس إلى الجنّة ، وقلّة من النّاس تدخل إلى النّار ، والقلّة القليلة جدًّا من النّاس هم من الخالدين في النّار ، فرحمة الله تسع كلّ شيء ، وتسبق غضبه .

وفي بعض الرّوايات أنّ الرّحمة الموزّعة بين النّاس هي ١% من رحمة الله ، وأنّ الرّحمة الكاملة هي رحمة الله عزّ وجلّ .

عن عليّ أمير المؤمنين عليه السّلام : الله رحيم بعباده ، ومن رحمته أنّه خلق مائة رحمة ، جعل منها رحمة واحدة في الخلق كلّهم ، فبها يتراحم النّاس ، وترحم الوالدة ولدها ، وتحنو الأمّهات من الحيوانات على أولادها ، فإذا كان يوم القيامة أضاف هذه الرّحمة الواحدة إلى تسع وتسعين رحمة ، فيرحم بها أمّة محمّد . . . [١] .

---

[١] بحار الأنوار ج٨ ص٤٤ ح٤٤ .

ونجد أنّ الأم ترحم طفلها بهذه الرّحمة ، والله عنده الرّحمة الكاملة أضعاف رحمة الأم بولدها ، ونرى بعض الحيوانات في الأفلام الوثائقيّة كاللّبوة تقتل قردة ، والقردة عندها جنين ، فنرى أنّ هذه اللّبوة ترعى القرد الصغير ، أو أسدًا يرعى غزالًا صغيرًا ، وفجأة تنزل الرّحمة على هذا الحيوان ، ورحمة الله واسعة تسع كلّ شيء ، والآن كيف يُقَدِّمُ المسلمون اللهَ للعالَم ؟ هل على أساس الرّحمة أو على أساس العذاب والعقاب ؟

ترى الصّورة الّتي ينقلها المسلمون للعالم أنّ الله شديد العقاب والعذاب ، ولا يقدّمون الله على أساس أنّه رحيم ، فالله كتب على نفسه الرّحمة ، والأصل هو الرّحمة ، فإذا كان الأصل هو الرّحمة فلا بدّ أن نبيّن للعالم أنّ الله رحيم .

الآن في أحاديثنا وخطبنا أكثر ما نتكلم عنه هو عذاب القبر ، فإذا تكلّمنا عن القبر فنأتي بروايات العذاب ، وأنّ هناك حيات وعقارب بحجم الجبال ، وعن يوم القيامة نتكلّم عن العذاب ، والمفروض أن نتكلّم عن رحمة الله في القبر ، ونتكلّم عن رحمة الله يوم القيامة حتّى أنّ إبليس يطمع في رحمة الله ، والمفروض أن نقدّم الله للعالم على أساس الرّحمة لا على أساس العذاب ، ونقدم النّبيّ صلّى الله عليه وآله على أساس أنّه رحمة للعالمين لا على أساس "جئناكم بالذّبح" ، فالنّبيّ صلّى الله عليه وآله من رحمته القصّة المعروفة "اذهبوا فأنتم الطّلقاء" ، ولو كان النّبيّ صلّى الله عليه وآله يتحرّك على أساس القسوة لقتل

هـؤلاء المشـركين ، فالصّـورة الّـتي يقـدّمها المسـلمون للرّسـول صـلّى الله عليه وآله صورة مشوّهة على أساس أنّه قاسي ، وجاء بالذّبح ، وأنّه قتّـال ، وأفعـال بعـض مـن يـدّعون الإسـلام مـن خـلال أدلّـتهم مـن الآيات والرّوايات يقـدّمون الإسلام على أسـاس إسلام يقتـل وإسـلام يـذبح وإسـلام إرهـابيّ ، وهـذه هـي الصّـورة الـمنتشرة عـن الإسـلام في العـالم ، وطبعًـا وسـائل الإعـلام تركّـز على هـذا الجانـب لأنّهـا تريـد أن تشـوّه الإسـلام ، فمـن الطّبيعـيّ أن تنشـر ذلـك ، وذاك الّـذي يـذبح شخصًـا ويفـتح صـدره ويخـرج قلبـه ويمضـغه ويرتفـع صـوته بالتّكبـير – صورته تنتشر في العالم ، ويتمّ التّركيز عليهـا ، فالصّورة الموجودة اليوم عن الإسلام أنّه إسلام الإرهاب ، وممارسات المسلمين هي الّتي تشوّه الإسلام وتشوه صورة الله سبحانه وتشوّه صورة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ولا نتوقّع مع هذه الصّورة المشوّهة أنّ يدخل النّاس الإسلام ، بـل علـى العكـس ، نـرى اليـوم انتشـار ظـاهرة الإلحـاد بـين شـباب المسلمين ، ويقدّر عددهم بالملايين ، فلماذا يلحد الشّباب المسلم ؟

لأنّ المسـلمين لم يقـدّموا الإسـلام بصـورة طيّبـة صـحيحة ، وإنّمـا قدّمـوه بصـورة مشوّهـة ، قـدّموا النّـبيّ صـلّى الله عليـه وآلـه بصـورة مشوّهة ، والرّوايات مملوءة بتشويه صورة النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

وخذ هذه القاعدة : أيّ رواية أو أيّ قول يشوّه صورة النّبيّ صلّى الله عليه وآله من ناحية الخُلُق أو من ناحية الخَلْق هذه الرّواية وهذا القـول مرفوضـان ، فـأيّ رواية تأتي بتشـويه صـورة النّبيّ صلّى الله عليـه

وآله اعلم أنّها من الرّوايات الموضوعة ، وَوُضِعَتْ عمدًا لتشويه صورة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، واجعل هذه القاعدة بيدك حينما تقرأ كتب الرّوايات والتّاريخ والسّيرة .

إذن كيف نقدّم الله عزّ وجلّ للعالم ؟ وكيف نقدّم النّبيّ صلّى الله عليه وآله للعالم ؟ وكيف نقدّم مفاهيم الإسلام للعالم ؟

وحينما نصل إلى مواضيع "تجديد الفكر الدّينيّ" و"تجديد الخطاب الدّينيّ" سنطرح بعض النّقاط عن هذين الموضوعين .

إذن الأصل هو الرّحمة : الرّحمة الإلهيّة ، والرّحمة النّبويّة .

وصلنا إلى أنّ التعريف المشهور للكافر هو غير المسلم بشكل عامّ ، فنسأل : هل يصحّ تعريف الكافر بأنّه غير المسلم أو أنّ الكافر له تعريف آخر في القرآن ؟

ونرجع إلى القرآن لنرى أنّ هذا التعريف هل هو صحيح أو لا ؟ وما هو تعريف الكافر في القرآن ؟

ومن المهمّ أن نحدّد الإجابة بدقّة ؛ لأنّه تترتّب على التعريف آثار كثيرة من ناحية الفقه العقائديّ وناحية الفقه الأخلاقيّ وناحية الفقه العمليّ .

وإذا ثبت أنّ هذا الإنسان كافر فمن ناحية الفقه العمليّ يقولون بنجاسته الظّاهريّة ، مع أنّنا قلنا إنّه بناءً على آية : **"وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ"** [1] ، المفروض أن نقول بالطّهارة الظّاهريّة لكلّ إنسان .

---

[1] الإسراء : ٧٠ .

وأيضًا من ناحية الفقه العمليّ هذا الإنسان الكافر بحسب هذا التّعريف يُعْرَضُ عليه الإسلام فإمّا أن يَقْبَلَ وإمّا أن يُقْتَلَ ، وهناك تقسيمات تأتي بناءً على هذا التّعريف ، منها تقسيم البلدان إلى دار الإسلام ودار الكفر ، والتّقسيم إلى الكافر الكتابيّ والكافر غير الكتابيّ ، فتأتي عدّة مسائل في الفقه العمليّ ، وهذه المسائل تترتّب على التعريف المشهور للكافر .

لنرجع إلى القرآن لنرى الآثار المترتّبة على الكفر بحسب التّعريف المشهور ، فإذا قلنا بكفر ستّة مليارات إنسان فمعنى ذلك أنّهم جميعًا يكونون من أهل النّار في يوم القيامة :

"وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالكَافِرِينَ" [(١)] .

إذن كلّ إنسان كافر بحسب التعريف المشهور يكون من أهل جهنّم .

"إِنَّ اللهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا" [(٢)] .

إذن الكافرون أعدّ الله لهم سعيرًا خالدين فيها أبدًا ، ولا يخرجون من نار جهنّم إلى الأبد .

[(١)] التّوبة : ٤٩ .

[(٢)] الأحزاب : ٦٤-٦٦ .

"وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الكَافِرِينَ" [١] .

"فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ" [٢] .

"إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا العَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا" [٣] .

"وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ المَصِيرُ" [٤] .

"إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ البَرِيَّةِ" [٥] .

"إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ" [٦] .

"إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُم وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ" [٧] .

---

[١] الحاقّة : ٥٠ .

[٢] المدّثّر : ٩-١٠ .

[٣] النّساء : ٥٦ .

[٤] التّغابن : ١٠ .

[٥] البيّنة : ٦ .

[٦] البقرة : ١٦١-١٦٢ .

[٧] آل عمران : ١٠ .

ويمكن أن نجمع جميع الآيات الّتي تتحدّث عن الكافرين في يوم القيامة .

إذن مصير كلّ غير مسلم على أساس التّعريف المشهور أنّه من أهل النّار ، ويكون خالدًا في نار جهنّم .

وسوف نأتي إلى بعض الآيات القرآنيّة لنرى من هو الكافر في القرآن الكريم ، وقبل هذا نأتي إلى بحث لغويّ مهمّ جدًّا .

بحث لغويّ مهمّ : مُتَعَلَّق الإيمان والكفر :

نزل القرآن بلسان عربيّ مبين ، وتحدّث بلسان العرب ، فنحتاج إلى البحوث اللّغويّة في اللّغة العربيّة لنفهم معاني القرآن الكريم ، ومن لا يكون عنده اطّلاع كافٍ على البحوث اللّغويّة فلا يمكنه أن يفهم القرآن بدقّة .

وقد استعملنا في المحاضرات السّابقة عدّة بحوث لغويّة لفهم الآيات الكريمة ، لذلك من شروط الاجتهاد أن يكون المجتهد ملمًّا باللّغة العربيّة لا من حيث المعاني الحقيقيّة فقط ، وإنّما من حيث المعاني المجازيّة أيضًا ، ومعرفة الكناية والاستعارة وبقيّة البحوث اللّغويّة ، وإذا لم يكن عنده اطّلاع كافٍ على هذه البحوث فلا يمكن أن يفهم القرآن بدقّة ، ولا يكون مجتهدًا .

وفي المحاضرات السّابقة مرّت عدّة بحوث لغويّة لكي نفهم الآيات الكريمة ، منها بحث إرجاع الضّمائر وأسماء الإشارة إذا كان يوجد في الجملة مذكّر ومؤنّث وورد ضمير المذكّر أو اسم الإشارة للمذكّر فيرجع

إلى المذكّر ولا يرجع إلى المؤنّث ، كما في آيات الاختلاف الّتي مرّت سابقًا :

"وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ" [(١)] .

"وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ" ، **"وَلِذَلِكَ"** يرجع إلى الاختلاف ، والمعنى : (وَلِذَلِكَ الاخْتِلافِ خَلَقَهُمْ) ، ولا يرجع اسم الإشارة إلى الرّحمة ، فلا يصحّ أن يقال : (وَلِذَلِكَ الرَّحْمَةِ خَلَقَهُمْ) ، بل الصّحيح أن يقال : (وَلِتِلْكَ خَلَقَهُمْ) ، أي (وَلِتِلْكَ الرَّحْمَةِ خَلَقَهُمْ) .

وأخذنا أيضًا بحث التّشبيه في آية **"وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى"** [(٢)] ، احتجنا إلى هذا البحث اللّغويّ ؛ لكي نبيّن الأفضليّة من أيّ جهة ، ومن هو الأصل ومن هو الفرع في التّشبيه .

والآن نأتي أيضًا إلى بحث لغويّ ، حينما نقول : هذا الإنسان آمن بالله ، ألا يشترط أنّ هذا الإنسان يعرف الله أوّلًا لكي يؤمن به ؟

المفروض أن يعرف الله أوّلًا ، وبعد ذلك يؤمن به ، والإنسان لا يؤمن بشيء مجهول ، لا بدّ أن يعرف الله حتّى يؤمن به ، فنقول إنه آمن بالله ، وما يأتي بعد حرف الجرّ نطلق عليه "المتعلَّق" ، فمن يؤمن بشيء لا بدّ أن يعرف المتعلَّق أوّلًا حتّى يؤمن به ، أنت تقول : أنا أؤمن بالله ، فلو سألتك : هل تعرف الله عزّ وجلّ ؟

---

(١) هود : ١١٨-١١٩ .

(٢) آل عمران : ٣٦ .

تقول : نعم .

أقول : لذلك تؤمن به عز وجل .

ولو كان الله مجهولًا عند شخص ، وهو لم يسمع بالله أبدًا – فلا يستطيع أن يقول : أنا أؤمن بالله ؛ لأنّ الله مجهول بالنّسبة له .

كذلك حينما نقول إنّ هذا الإنسان لا يؤمن بالله ، ألا يشترط أن يعرف الله أوّلًا ثمّ لا يؤمن به أي يكفر به ؟

فنقول إنّ هذا الإنسان لا يؤمن بالله ، فلا بدّ أن يعرف المتعلَّق حتّى يؤمن به أو لا يؤمن به ، فمن يقول إنّه يؤمن بالله فلا بدّ أن يعرف الله أوّلًا ، ومن يقول إنّه لا يؤمن بالله أو ينكر الله أو يكفر بالله فلا بدّ أن يعرف الله أوّلًا .

إذن قبل الإيمان بشيء أو الكفر بشيء لا بدّ من معرفة المتعلَّق ؛ لكي يكون مؤمنًا بالله حقيقةً أو كافرًا بالله حقيقةً ، ولا يصحّ أن نقول إنّه مؤمن أو إنّه كافر بدون ذكر المتعلَّق ، وإذا قال الشّخص : أنا أؤمن ، فلا بدّ من أن نسأله : بم تؤمن ؟

والّذي يقول : أنا كافر ، فلا بدّ من نسأله : بم تكفر ؟

فلا يصحّ أن نقول مؤمن أو كافر بدون ذكر المتعلَّق .

مثلًا من يؤمن بوجود الإله ، ولكنّه لا يعتقد بالأنبياء عليهم السّلام بشرط إقامة الحجّة عليه ، فهو مؤمن بالإله لأنّه يعرف بوجود الإله الخالق للكون ، وكافر بالأنبياء عليهم السّلام بعد معرفته بهم ، فهو مؤمن من جهة ، وكافر من جهة أخرى ، ولا نستطيع أن نقول

عنه إنّه مؤمن مطلقًا بدون ذكر المتعلَّق ، أو إنّه كافر مطلقًا بدون ذكر المتعلَّق ، والآن عند المسيحيّين يعتبر المسلم كافرًا بالمسيحيّة ، وعند اليهود يعتبر المسلم كافرًا باليهوديّة ، وعند البوذيّ يعتبر المسلم كافرًا بالبوذيّة .

إذن الكافر ليس من جهة المسلم فقط ، بل من جهة الأديان الأخرى أيضًا حيث يطلقون لقب الكافر على الشّخص الّذي لا يعتقد بدينهم .

إنّ ذكر المتعلَّق ومعرفة المتعلَّق شرط في الإيمان والكفر ، ولا نستطيع أن نقول إنّ هذا مؤمن بدون ذكر المتعلَّق ، ولا أن نقول إنّ هذا كافر بدون ذكر المتعلَّق ، ولا بدّ أن نبيّن أنّه بم يؤمن أو بم يكفر .

وهناك فرقة يطلق عليها "الرّبوبيّون" ، هم يعتقدون بوجود خالق للكون ، ولكن لا يعتقدون بالأديان ، فهم يؤمنون بوجود الإله بعد معرفة الإله ، ولكن ينكرون وجود الأديان ، ويقولون إنّ هذه الأديان أديان بشريّة ، من صنع البشر ، فهو من جهة مؤمن ، يعتقد بوجود إله خالق للكون ، فلا نستطيع أن نقول عنه إنّه كافر مطلقًا ، فهو مؤمن بالإله ، وغير مؤمن بالأديان .

إذن :

إنّ ذكر المتعلَّق مهمّ جدًّا عندما يقال إنّ هذا الإنسان مؤمن أو كافر .

المعنى اللّغويّ للكفر :

الكُفْر مشتقّ من كَفَرَ الشّيء أي ستره وغَطَّاه ، والكفر هو الجحود ، كَفَرَ أي جَحَدَ ، وكفّر الله الذّنب أي غفره ومحاه ، والزّارع يسمّى كافرًا لأنّه يغطّي البذور تحت الأرض ، وكَفَرَ الزّارع البذر بالتّراب أي غطاه بالتّراب ، وكَفَرَ اللّيلُ الحقولَ أي غطّاها بظلمته وسواده ، وكَفَرَ الجهلُ على علمه أي غَطَّاهُ ، وكَفَرَ بالنّعمة أي جحدها ولم يشكرها ، وهنا المتعلَّق هو النّعمة ، والكفر بالله جحوده وإنكاره .

يقول القرآن الكريم :

"كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ" [1] .

حينما تقرأ هذه الآية تسأل : كما أنّ الكافر يعجب بالنّبات ، كذلك المؤمن يعجب بالنبات أيضًا ، فما علاقة الكافر بالنّبات ؟

الجواب هو أنّ الكفّار هنا بمعنى الزُّرَّاع ، والمعنى أعجب النّباتُ الزُّرَّاعَ ، فالزّارع يسمّى كافرًا ؛ لأنّه يستر البذر تحت الأرض ، ويغطّي البذر بالتّراب .

إذن :

بالمعنى اللّغوي الكفر بالله هو إنكار الله وجحوده ، ويجحد الإنسان الشيء بعد معرفته ، ومن يكفر بالله فلا بدّ أن يعرف متعلَّق الكفر ، فيعرف الله أوّلًا ثمّ ينكره ثانيًا .

---

[1] الحديد : ٢٠ .

ويقول القرآن الكريم :

"إِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ" [١] .

"لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ" ، لا يؤمنون بالآخرة مع الإنكار القلبيّ ، بالإضافة إلى الاستكبار .

فالمعنى اللّغوي للكفر هو الجحود والإنكار ، وتقول لا نريد المعنى اللّغويّ ، فنأتي إلى هذه الآية الّتي تقول إنّ الّذي لا يؤمن بالآخرة يكون قلبه منكرًا وهو مستكبر ، فالكافر بالآخرة ينكر الآخرة ، ويجحد الآخرة ، وهو مستكبر .

"إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ" [٢] .

إبليس استكبر وكان من الكافرين ، فمن صفات الكافر الاستكبار .

إذن لا بدّ أن يدخل الإنكار والجحود والاستكبار في تعريف الكافر .

"بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الكَافِرِينَ" [٣] .

الكافر لا يؤمن بالآخرة مع الإنكار القلبيّ والتّكذيب والاستكبار ،

---

[١] النّحل : ٢٢ .

[٢] ص : ٧٤ .

[٣] الزُّمَر : ٥٩ .

مع إقامة الدّليل والبرهان والحجّة عليه .

إذن :

الإيمان بالله أو الإيمان بالآخرة فيه إذعان ، والكفر بالله والكفر بالنّبيّ والكفر بالآخرة فيه إنكار وجحود مع التكذيب والاستكبار ، ونرى أنّ دائرة تعريف "الكافر" تضيق ، لا أنّ كلّ غير مسلم يعتبر كافرًا .

وما يتناسب مع رحمة الله هو أن يكون عدد الكفّار قليلًا ، لا أنّ أكثر النّاس يكون كفّارًا ، والّذي ينكر هو من تُقَامُ عليه الحجّة ، شخص لم يسمع بالإسلام لا تقول عنه إنّه كافر بالإسلام ، شخص لم يسمع بالله لا تقول عنه إنّه كافر بالله ؛ لأنّه يُشْتَرط معرفة المتعلَّق ، شخص لم يسمع بالنّبيّ صلّى الله عليه وآله ، أو سمع بالنّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ولكن قدّم المسلمون له صلّى الله عليه وآله صورة مشوّهة ، هذا لا نقول عنه إنّه كافر بالنّبيّ صلى الله عليه وآله ، فلا بدّ أن تقام عليه الحجّة من خلال الأدلّة المقنعة ، وبعد ذلك إذا أنكر تقول عنه إنّه كافر .

وأحيانًا الأدلّة عند المسلمين ضعيفة ، فلا يمكنهم إثبات وجود الله تعالى ، تقول عرضنا عليه الأدلّة ، نقول أنت عرضت عليه أدلّة ضعيفة لا تقنعه ، فلا تستطيع أن تطلق عليه أنّه كافر ، وإذا كان عندك دليل قويّ – كدليل عقليّ قويّ أو دليل فطريّ قويّ – ويرفضه نقول نعم بعد إقامة الحجّة عليه يكون كافرا ، ولكن أدلّة المسلمين

أدلّة ضعيفة أو يطرحون بعض الأدلّة أو بعض المسائل الشّرعيّة بحيث ينفّر الطرف الآخر ، فلا يصحّ أن تطلق عليه لقب "الكافر" .

يقول القرآن الكريم :

"والَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَئَابِ" [1] .

"وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ" معناه أنّه يعرف كلّه فينكر بعضه ويؤمن ببعضه ، فإنكار البعض لازمه الإيمان بالبعض الآخر ، فالإنكار يكون بعد المعرفة ، يعرف الكلّ فينكر البعض ، ولا يكون الإنكار بدون معرفة ، فينكر وجود الله بعد معرفة الله ، وينكر النّبيّ بعد معرفة النّبيّ ، كما كان حال الكفّار في مكة ، كانوا يعرفون النّبيّ صلّى الله عليه وآله بأنّه الصادق الأمين ، ومع ذلك أنكروا نبوّته .

"يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الكَافِرُونَ" [2] .

الكفر هو الإنكار بعد المعرفة .

"وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الكَافِرِينَ" [3] .

---

[1] الرّعد : ٣٦ .

[2] النّحل : ٨٣ .

[3] البقرة : ٨٩ .

"**فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ**" ، فالكفر يأتي بعد المعرفة .

"**كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**" [1] .

"**كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ**" لازمه معرفتهم بالله تعالى .

"**وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ**" ، فكانوا يعرفون الرّسول .

"**وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ**" أي قامت الحجّة عليهم .

إذن الكفر يكون بعد معرفة الله ومعرفة الرّسول مع قيام الأدلّة والبرهان والحجّة عليهم .

"**وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**" [2] .

"**وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** ، لا بدّ أن يعرف المتعلَّق ثمّ ينكره ، فيعرف الله ثمّ ينكره ، والكفر يكون بعد المعرفة ، فيكفر بالله بعد معرفة الله ، ويكفر بالكتب بعد معرفتها ، ويكفر بالرّسل بعد معرفتهم ، ويكفر باليوم الآخر بعد معرفته ، وفي الجميع لا بدّ أن تقوم الحجّة عليه ، وهذا كما نقول آمن بالله فلا بدّ أن يعرف الله قبل أن يؤمن به ، ونقول كفر بالله فلا بدّ أن يعرف الله قبل أن يكفر به ، فمعرفة متعلَّق الإيمان ومتعلَّق الكفر أمر مهمّ ، فلا بدّ أن يعرف الله وَتُقَامُ عليه الأدلّة الحجّة قبل أن يكفر بالله ، وهذه

---

[1] آل عمران : ٨٦ .

[2] النّساء : ١٣٦.

الأدلّة لا بدّ أن تكون أدلّةً قويّةً بحيث إنّه حينما ينكر تكون الحجّة قد قامت عليه .

"ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكفرون بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ" [1] .

"يَكفرون بِآيَاتِ اللهِ" ، يعرف المتعلَّق فيكفر به ، يكفر بآيات الله بعد معرفتها وإقامة الحجّة عليه .

"إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا" [2] .

"وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ . . . أُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقًّا" ، يعرفون الكلّ فيؤمنون بالبعض ويكفرون بالبعض الآخر ، فالكفر يكون بعد المعرفة ، وهؤلاء هم الكافرون حقًّا ، وهم الّذين يكفرون بشيء بعد معرفة هذا الشّيء ، فيعرف المتعلَّق وينكره .

هذه آيات قرآنيّة ، وليست روايات حتّى يقال إنّها ضعيفة وليست صحيحة ، استدلالاتنا بالقرآن ؛ لأنّ البعض حينما نذكر الرّوايات يقول الرّواية ضعيفة ، ويمكن أنّ هذا الراوي لم يفهم ، فنقل فهمه الخاطئ ، لذلك استدلالاتنا في المواضيع بالقرآن ؛ لأنّ القرآن متّفق عليه بين المسلمين ، بالإضافة إلى أنّنا نريد أن نقدّم الإسلام للعالم ،

---

[1] البقرة : ٦١ .

[2] النّساء : ١٥٠-١٥١ .

فإذا ذكرنا رواية فيقال إنّها رواية شيعيّة أو رواية سنّيّة ، فنقدم ما اتّفق عليه المسلمون ، وهو القرآن الكريم ، نعم إذا تكلّمت مع شيعيّ تذكر له رواية شيعيّة ، أو مع سنّيّ فتذكر له رواية سنّيّة .

وفي بعض البحوث سنذكر الرّوايات ، فنحن لا نتبنّى "حسبنا كتاب الله" ، فعندنا القرآن الكريم والنّبيّ صلّى الله عليه وآله وعترته الطّاهرة ، كما قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "إنّي مُسْتَخْلِفٌ فيكم خليفتين : كتاب الله وعترتي ، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي ، وإنّهما لن يفترقا حتى يَرِدَا عليّ الحوض" [1] .

وقال صلّى الله عليه وآله :"إنّي تارك فيكم الثّقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وإنّهما لن يفترقا حتى يَرِدَا عليّ الحوض ، ما إن تمسّكتم بهما لم تضلّوا" [2] .

وعن زيد بن أرقم قال : لمّا رجع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن حجّة الوداع ونزل غدير خمّ أمر بدوحات فقممن ثم قال : "كأنّي دُعِيتُ فَأَجَبْتُ ، إنّي قد تركت فيكم الثّقلين ، أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ؛ فإنّهما لن يتفرّقا حتّى يَرِدَا عليّ الحوض . . ." [3] .

فنحتاج إلى القرآن الكريم والنّبيّ صلّى الله عليه وآله وعترته الطّاهرة ،

---

[1] بحار الأنوار ج٢ ص٢٢٦ .

[2] المصدر السّابق .

[3] السّنن الكبرى للنّسائي ج٥ ص٤٥ ح٨١٤٨ .

فكما نحتاج إلى القرآن نحتاج إلى الرّوايات أيضًا ، وكلّ رواية تحتاج إلى بحث لمعرفة أنّها صادرة من المعصوم أو موضوعة على المعصوم ، وطبعًا العلماء يقومون بهذه البحوث ، فيبحثون في أنّ هذه الرّواية صحيحة أو غير صحيحة ، وهذه البحوث حول صحّة الرواية وضعفها موجودة في جميع مدارس ومذاهب المسلمين .

نعم قد يقع اختلاف بين علماء المذاهب في الرّوايات بأنّ هذه الرّواية صحيحة أو غير صحيحة ، ولكن في كلّ مدرسة ومذهب يقوم العلماء بتنقيح الرّوايات عندهم ، وعلماء مدرسة أهل البيت عليهم السّلام على مرّ التاريخ يقومون بعمليّة التّنقيح ، ويستمرّون في تنقيح الرّوايات ، فعملية التنقيح مستمرّة إلى الآن ، فيقولون إنّ هذه الرّواية صحيحة ، وتلك الرّواية ضعيفة ، وهذه الرّواية موضوعة ، وهكذا ، طبعًا اختلاف العلماء في الرّوايات موجود ، تجد رواية صحيحة عند أحد العلماء ، ونفس الرواية تكون ضعيفة عند عالم آخر ، وهذا أمر واقع بين العلماء ، والبحث والتّحقيق في الروايات لا يقف ، وقد تجد عالِمًا يستند إلى رواية في الفقه العمليّ ، وعالِم آخر لا يعتمد على هذه الرّواية ، لذلك تجد اختلاف العلماء في أحكام الفقه العمليّ ، عالم يقول إنّ هذا العمل واجب ، والعالم الآخر يقول عن نفس العمل إنّه مستحب ، والعالم الثّالث يقول بالاحتياط الوجوبيّ ، والعالم الرّابع يقول بالاحتياط الاستحبابيّ ، وحينما نقرأ الكتب الاستدلاليّة لهؤلاء العلماء نجد أنّ الرّوايات واحدة ، ولكنّ

فهم الرّوايات يختلف من عالم إلى آخر .

إنّ أفهام العلماء تختلف في الآية الواحدة وفي الرّواية الواحدة ، وهذا موجود ضمن المذهب الواحد ، وضمن المذاهب المختلفة ، وأقول إنّها مذاهب مسلمة أو مذاهب المسلمين ولا أقول إنّها مذاهب إسلاميّة ، وبيّنت الفرق بينهما ، وهو أنّ الإسلام يتمثّل في القرآن وفي الرّوايات الواقعيّة الصّادرة عن المعصومين عليهم السّلام ، فمصادر استنباط الأحكام الدينيّة هي القرآن الكريم والنّبيّ صلّى الله عليه وآله وعترته الطّاهرة ، بالإضافة إلى العقل ، وأمّا ما نقله المسلمون من الرّوايات ففيه الصّحيح والضّعيف ، فهذه كتب المسلمين لا كتب الإسلام ، والمذاهب هي مذاهب المسلمين لا مذاهب الإسلام ؛ لأنّه في الإسلام لا توجد مذهبيّة ، فالإسلام واحد نزل من الله الواحد .

إذن :

نصل إلى التّعريف التّالي للكفر ، وهو الإنكار والجحود بعد المعرفة ، وكانت استدلالاتنا من خلال الآيات القرآنيّة ، ووصلنا إلى تعريف الكفر والكافر في القرآن ، ودائرة الكفر ضيّقة ، لا أنّها واسعة شاملة لكلّ غير مسلم .

وفي المحاضرة القادمة نكمل بقيّة الشّروط ، ثمّ نصنّف النّاس إلى ثلاثة أقسام ، ونذكر في آخر الموضوع ملاحظة هامّة جدًّا .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٣٣)

الكفر في القرآن [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

ما زال الكلام عن معنى الكافر في القرآن ، وخلاصة ما طرحته في الأسبوع الماضي هي أنّ التعريف المشهور للكافر هو غير المسلم ، فكل إنسان غير المسلم يعتبر كافرًا ، وقرأنا بعض الآيات القرآنيّة عن عذاب الكافرين ، ومن هذه الآيات :

"وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالكَافِرِينَ" [٢] .

"إِنَّ اللهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا" [٣] .

الكافر يخلد في النّار ، وشدّة العقوبة لا بدّ أن تتناسب مع شدّة الجريمة ، وبمجرّد أنّه لم يؤمن بالإسلام فحسب التّعريف المشهور يكون

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٢١ ربيع الآخر ١٤٤٠ هـ الموافق ٢٠١٨/١٢/٢٨ م .

[٢] التّوبة : ٤٩ .

[٣] الأحزاب : ٦٤-٦٦ .

كافرًا حتّى لو لم يسمع بالإسلام أصلًا ، وما دام أنّه كافر فإنّه يكون خالدًا في نار جهنّم مع أنّه لم يسمع بالإسلام .

إنّ الخلود في نار جهنّم يتطلّب أن يكون هذا الشّخص ضمن مواصفات معيّنة ، فليس كلّ كافر يكون خالدًا في النّار ، ولكن بناءً على التّعريف المشهور فإنّ كلّ من لم يؤمن بالإسلام يكون كافرًا حتّى لو لم يعرف الإسلام ولم يسمع به ، أو شخص سمع بالإسلام ولكن لم تقم الحجّة عليه ، أو وصل إليه الإسلام مُشَوَّهًا ، كما هو في وضعنا الحاليّ ، فهل مثل هذا الإنسان يكون خالدًا في نار جهنّم ؟!

إنّ شدّة العقاب تتناسب مع شدّة الجريمة ، وهذا موجود أيضًا في نظام العقوبات في الدّنيا ، وحينما نصل إلى نظام العقوبات والجزاء في الإسلام لا بدّ أن يكون هناك تناسب بين شدّة العقاب وشدّة الجريمة ، وهذا معروف حتّى في القوانين الوضعيّة .

إذن :

من يكون خالدًا في النّار لا بدّ أن تكون له مواصفات خاصّة .

ثمّ أتينا إلى البحث اللّغويّ في معنى "كَفَرَ" بمعنى سَتَرَ ، فلا بدّ أن يكون هناك شيء يستره الإنسان الكافر ، كما أنّ الزّارع يضع البذرة في الأرض فيغطّيها ويسترها بالتّراب ، فالزّارع يسمّى كافرًا .

ثمّ قلنا بأنّه حينما نقول إنّ شخصا يؤمن بشيء فلا بدّ أن يعرف هذا الشّيء ، وهذا الشّيء هو مُتُعُلَّقُ الإيمان ، فيعرفه ثمّ يؤمن به ، والإنسان لا يؤمن بشيء مجهول عنده ، وكذلك من يكفر بشيء فلا

بدّ أن يعرف هذا الشّيء ، وهذا الشّيء هو مُتَعَلَّقُ الكفر ، فيعرفه ثمّ يكفر به ، والإنسان لا يكفر بشيء مجهول عنده ، فمن لم يسمع بالإسلام فلا نقول عنه إنّه كفر بالإسلام ؛ لأنّه لا يعرف المتعلَّق .

وأيضًا من معاني الكفر الجحود ، فمن يجحد يكون كافرًا ، وهذا من المعاني اللّغويّة .

ثم ذكرنا بعض الآيات القرآنيّة ، منها :

"إِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ" [١] .

إذا كان القلب منكرًا فلا بدّ أن يعرف هذا الشّيء حتّى ينكره ، والإنسان لا ينكر شيئًا مجهولا ، مثلًا أنت تسمع بخبر معيّن فتقول : (أنا أصدّق هذا الخبر) ، فلا بدّ أن تعرف الخبر ، وإذا قال شخص : (أنا لا أصدّق هذا الخبر) ، فتسأله عن المتعلَّق : ما هو هذا الخبر الّذي لا تصدّقه ؟

إذن القلوب منكرة ، فلا بدّ أن يكون ضمن مواصفات الإنسان الكافر أنّه ينكر ما يعرفه .

ومن الآيات الكريمة :

"إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ" [٢] .

استكبر عن قبول الحقّ لأنّه عرف الحقّ ، فكان كافرًا .

---

[١] النّحل : ٢٢ .

[٢] ص : ٧٤ .

وقرأنا أيضًا بعض الآيات الّتي يظهر منها أنّ الكفر هو الإنكار بعد المعرفة ، فلا بدّ أن يعرف الشّيء حتّى ينكره .

هذه خلاصة المحاضرة السابقة ، وندخل في محاضرة هذه اللّيلة ، ونبدأ بقراءة بعض الآيات الأخرى :

"وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ ءَايَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ" [(١)] .

"فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا" ، جاءت الآيات مبصرةً واضحةً ، وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ، يوجد عندهم يقين بسبب هذه الآيات الواضحة ، ولكن مع ذلك يجحدون وينكرون .

"وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ" [(٢)] .

"أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى" ، جاءهم الرّسل بالآيات من الله تعالى ، وقالوا

[(١)] النّمل : ١٢-١٤.

[(٢)] الزّمر : ٧١ .

بلى ، ولكنّهم جحدوا هذه الآيات ، فهم من الكافرين .

"فَلَمَّا جَاءَهُم بِالحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ" [١] .

"جَاءَهُم بِالحَقِّ مِنْ عِندِنَا" ، ثم ذكرت الآية كيد الكافرين ، والجحد يكون بعد اليقين ومعرفة الحقّ ، والإنكار يكون بعد قيام البيّنة والحجّة والآيات عليه ، ولكي يكفر بالشّيء لا بدّ أن يعرف هذا الشّيء ، فهم جاءهم الحقّ من الله ، ولكنّهم أنكروا وجحدوا ، فكانوا من الكافرين .

"وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ" [٢] .

إنّ من صفات الكافر عدم التّعقّل ، ولماذا هم لا يعقلون ؟

لأنّ الأدلّة القطعيّة تُعْرَضَ عليه ولا يقبلها ، فهو غير عاقل ، فتقام عليه الحجّة والبرهان ، ولكنّه لا يقبل .

"وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ" [٣] .

"لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا" ، يودّون أنّ هؤلاء المؤمنين يصيرون كفّارًا ، فيكون الكفر بعد الإيمان ، والإيمان بعد المعرفة ،

---

[١] غافر : ٢٥ .

[٢] البقرة : ١٧١ .

[٣] السّورة السّابقة : ١٠٩ .

فيكون الكفر بعد المعرفة .

"**مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ**" ، تبيّن الحقّ لكثير من أهل الكتاب ، ويكونون كفّارًا لأنّهم تبيّن لهم الحقّ وعرفوا الحقّ ، والّذين كفروا من أهل الكتاب هم من أقيمت عليهم الحجّة لمعرفتهم الحقّ .

"**الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**" [١] .

فريق من أهل الكتاب يكتمون الحقّ وهم يعرفون الحقّ ، فهؤلاء من الكفّار الكتابيّين ، وأهل الكتاب ينقسمون إلى قسمين : كفّار بالنّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وغير كفّار به صلّى الله عليه وآله .

"**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ البَيِّنَةُ رَسُولٌ مِّنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً**" [٢] .

من أهل الكتاب كفروا بعد إتيانهم البيّنة وإقامة الحجّة عليهم .

"**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ البَرِيَّةِ**" [٣] .

هم خالدون في نار جهنّم ؛ لأنّهم يعرفون الحقّ ويجحدونه ، لذلك أطلق عليهم القرآن لقب "الكفّار" ، يعلمون أنّه رسول مبعوث من الله تعالى وينكرونه ، وهذا يتناسب مع كون الإنسان خالدًا في النّار ؛

---

[١] البقرة : ١٤٦ .

[٢] البيّنة : ١-٢ .

[٣] البيّنة : ٦ .

لأنّه يعرف الحقّ ولا يؤمن به ، طبعًا أهل الكتاب مصداق من مصاديق "الكفّار" ، وكذلك الإنسان المسلم الّذي يعرف الحقّ ويجحده ، فهو اسمه مسلم بحسب الظاهر ، ولكن في واقعه لا يعتقد ولا يؤمن ، وهم المنافقون ، والمنافق هو الّذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر .

إنّ خطّ النّفاق مستمرّ من زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله إلى زماننا وإلى المستقبل ، والقرآن ركّز كثيرًا على خطّ النّفاق ، وتوجد سورة باسم المنافقين ، وهذا التّركيز ليس عبثًا ، فمعنى ذلك أنّ هذا الخطّ مستمرّ ، والقرآن يريد أن يقول أيّها المسلمون انتبهوا من المنافقين ، فالخط مستمرّ ، وهم يعملون في الأمّة .

نعم ظاهرهم الإسلام ، ونحكم بإسلامهم الظّاهريّ ، ولكن في واقعهم ليسوا مسلمين ؛ لأنّهم يعملون ضدّ الإسلام ، ويتعاونون مع العدوّ ضدّ الإسلام والمسلمين .

ونحتاج إلى بحث مستقلّ عن موضوع "أهل الكتاب في القرآن" ، نأتي إلى مواصفات أهل الكتاب لكي نرى أنّ القرآن يقسّمهم إلى قسمين : قسم منهم من الكفّار ، وقسم آخر منهم من المؤمنين .

وعن أهل الكتاب الصّالحين ، يقول القرآن الكريم :

"لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ

وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالـمُتَّقِينَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُـهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدَونَ" [(١)] .

آيات تمدح بعض أهل الكتاب ، وهم يتلون آيات الله ، هل يتلون القرآن أو يتلون كتابهم ؟

يتلون كتابهم ، يعني التّوراة والإنجيل ، فاليهود يتلون التّوراة ، والمسيحيّون يتلون الإنجيل ، قد نستنتج من هذه الآية أنّ التّوراة والإنجيل في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله غير مُحَرَّفَيْنِ ، والتّحريف وقع بعد ذلك .

ومن صفاتهم الإيمان بالله واليوم الآخر والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر والمسارعة في الخيرات ، فيكونون من الصّالحين ، وهذا مدح من القرآن للصّالحين من أهل الكتاب .

"**وَاللهُ عَلِيمٌ بِالـمُتَّقِينَ**" ، معنى ذلك أنّه يوجد متّقون من أهل الكتاب .

"**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُـهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدَونَ**" ، الّذين كفروا من أهل الكتاب يعلمون الحقّ فينكرونه فيستحقّون الخلود في نار جهنّم .

إذن بعض أهل الكتاب يكونون من الممدوحين ؛ لأنّهم التزموا بالأعمال الصّالحة ، وهم إمّا أنّ الإسلام لم يصل إليهم وإمّا أنّ

[(١)] آل عمران : ١١٣-١١٦ .

الإسلام وصل إليهم مُشَوَّهًا ، فلم تَقُمْ عليهم الحجّة ، وأمّا من أقيمت عليهم الحجّة فجحدوا وأنكروا – فيكونون من الكفّار ، فأهل الكتاب قسمان : قسم من المؤمنين الصّالحين القاصرين الّذين لم تقم عليهم الحجّة أو وصلهم الإسلام مشوّها ، وقسم آخر من الكفّار الّذين جحدوا الحقّ بعد المعرفة .

"إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا" [(١)] .

"الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ" ، هؤلاء الكفّار الّذين قامت عليهم الحجّة ويعلمون الحقّ ويجحدونه ، وتوجد أيضًا مواصفات إضافيّة لهم ، وهي أنّهم يصدّون عن سبيل الله ، يعني يتّخذون موقفًا عدائيًّا من المؤمنين .

"إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا" ، قامت عليهم البيّنة وأنكروا وكفروا ، بالإضافة إلى ذلك بدأوا يصدّون عن سبيل الله بعد معرفة الحقّ ، وبدأوا يظلمون أيضًا .

"إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ" [(٢)] .

[(١)] النّساء : ١٦٧-١٦٩ .

[(٢)] الأنفال : ٣٦ .

بدلالة الآيات الأخرى قامت عليهم الحجّة وكفروا ، هم يعرفون الحقّ ، وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ، وهنا نربط الآيات بعضها ببعض ، ويصدّون عن سبيل الله ، وينفقون أموالهم في هذا الطّريق .

يقول القرآن الكريم :

"وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا" [1] .

هل الآية تقصد الرّسول فقط أو أنّ الرّسول مصداق ؟

إنّ الحجّة عبارة عن الرّسول ، والرّسول عليه السّلام مصداق من مصاديق الحجّة ، والإمام عليه السّلام مصداق ثانٍ ، والعالِم مصداق ثالث ، والمؤمن مصداق رابع ، وهذا المؤمن قد لا يكون عالِمًا ، ولكنّه يطرح الحقّ ويبيّنه ، فهنا الرّسول مثال ومصداق من مصاديق الحجّة ، والمعنى : وما كنّا معذّبين حتّى نقيم الحجّة على الشّخص ، فإذا لم تَقُمِ الحجّة عليه فلا نعذّبه ، ومن لم تَقُمِ الحجّة عليه يعتبر قاصرًا غير مقصّر ، والله لا يعذّب أحدًا إلّا بعد إقامة البرهان والدّليل والحجّة عليه ، والرّسول في الآية مثال ومصداق من مصاديق الحجّة .

إذن بعض الكفّار يستحقّون الخلود في النّار لقيامهم ببعض الأعمال السيّئة بالإضافة إلى معرفتهم للحقّ وجحودهم .

"إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" [2] .

---

[1] الإسراء : ١٥ .

[2] آل عمران : ٢١ .

هنـاك أعمـال إضـافيّة يقـوم بهـا الكفّـار الّـذين يعلمـون الحـقّ ويجحـدون ، فيسـتحقّون العـذاب الأليم ، ويسـتحقّون الخلـود في نار جهنّم ، فقامت الحجّة عليهم إمّا عن طريق الرّسول وإمّا الإمام وإمّا العلماء وإمّا غير العلماء وإمّا عن طريق الدّليل العقليّ وإما الدّليل الفطريّ وإمّا عن أيّ طريق آخر ، فالمهمّ هو أنّ الحجّة قامت عليهم ، والإنسان عنده أدلّة عقليّة وفطريّة ، فنسأل :

هل يمكن الوصول إلى وجود الله عن طريق العقل أو لا يمكن ؟

الجواب :

نعم يمكن .

هل يمكن الوصول إلى وجود الله عن طريق الفطرة ؟

الجواب :

نعم يمكن .

وحينما نصل إلى الدّليل العقليّ والدّليل الفطريّ على وجود الإله سنبيّن أنّ كلّ إنسان لديه هذا الدّليل العقليّ وهذا الدّليل الفطريّ الدّالّان على وجود الإله ، ولكنه يجحد هذين الدّليلين .

النّتيجة :

يمكن تقسيم الأشخاص إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأوّل :

من لم تصله الرّسالة الإسلاميّة ، ولم تَقُمِ عليه الحجّة ، ولم تُعْرَضْ عليه الأدلّة ، فهذا لا يعتبر كافرًا لأنّه لا يعرف المتعلَّق ، فهو لا يعرف

الإسلام ، والآن هل الإسلام وصل إلى كلّ أنحاء العالم ؟

نقول : لا ، قد يكون بعض النّاس في بعض الأماكن لم يسمعوا بالإسلام ، وهؤلاء يعتبرون جهلاء قاصرون ، ويمكن أن نطلق عليهم لقب "المستضعفون" .

القسم الثّاني :

من وصلته الرّسالة الإسلاميّة محرَّفة مشوَّهة ، مثلًا الصّورة الموجودة اليوم في العالَم أنّه دين الإرهاب ، وصورة النّبيّ صلّى الله عليه وآله والّتي تنتقل عبر وسائل الإعلام أنّه قتّال وأنّه جاء بالذّبح ، بالإضافة إلى صفات أخرى تشوّه صورة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وهذا الّذي وصله الإسلام محرَّفا مشوَّها لا يعتبر كافرًا ؛ لأنّ صورة الإسلام مشوَّهة ، والمتعلَّق محرَّف مشوَّه ، هو لا يعتقد بدين الإرهاب لا بالإسلام الواقعيّ ، نعم لو أنّ الإسلام وصل إليه على حقيقته لآمن به ، وهو ينكر الدّين المشوَّه لا الدّين الحقيقيّ ، وهذا لا يعتبر كافرًا ، وهم من المستضعفين أيضًا .

القسم الثّالث :

من أُقِيمَتْ عليه الحجّة وعرف الحقّ ، ولكنّه أنكر وجحد ، فهذا هو "الكافر" ، والكافر في القرآن هو الّذي ظهر له الحقّ فأنكر وجحد .

وأمّا من لم يصله الإسلام أو وصل إليه الإسلام محرَّفا مشوَّها فهذا ليس كافرًا لأنّه لا يعرف المتعلَّق .

والكفّار الّذين يجحدون الحقّ وينكرونه بعد معرفته – بالإضافة إلى مواصفات أخرى كالظّلم والصّدّ عن سبيل الله واتّخاذ المواقف العدائيّة ضدّ المؤمنين – يستحقّون الخلود في نار جهنّم .

سؤال : هل الكفّار على أقسام أو على قسم واحد ؟

الجواب :

الكفّار على أقسام ، وليس مصيرهم واحدًا ، كما يقال في المنطق الكفر مفهوم مُشَكِّك ، فكما أنّ الإيمان على درجات ، كذلك في مقابله فإنّ الكفر على درجات ، فكلّ درجة من الإيمان يقابلها درجة من الكفر ، وكما أنّ في الجنّة درجات ، كذلك فإنّ في النّار دركات ، لذلك نرى أنّ العذاب في القرآن فيه اختلاف من آية إلى أخرى ، فالبعض يخلدون في نار جهنّم ، والبعض لا يخلدون .

"إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ" [1] .

ولا نسمّيها درجة في النّار ، وإنّما هو درك في النّار ، في الجنّة درجات ، وفي النّار دركات .

ومعظم النّاس في العالم إمّا من القسم الأوّل وإمّا من القسم الثّاني ، فأغلب النّاس إمّا أنّهم لم يسمعوا بالإسلام وإمّا أنّهم سمعوا بالإسلام المشوَّه ؛ لأنّ وسائل الإعلام تركّز على الإسلام المشوَّه ، بالإضافة إلى أنّ المسلمين يقومون بأعمال تشوّه الإسلام ، والآن لا يوجد مجتمع إسلاميّ يطرح مثالًا للإسلام ، المثال الكامل ، والمجتمعات المسلمة

---

[1] النّساء : ١٤٥ .

اليوم تشوّه الإسلام ، فمن صفات المسلمين عدم الالتزام بالأخلاق ، الآن منطقة المشاكل في العالم هي بلدان المسلمين ، ترى أنّ بلدان العالم مستقرّة إلّا بلدان المسلمين ، ولو أنّ شخصًا من الخارج يسمع بأنّ بلدان المسلمين فيها قتل وإرهاب ، فهل يقبل أن يصير مسلمًا ؟!

مثلًا لو سمعت أنّ البوذيّين يقتلون المسلمين فهل يمكن أن تدخل إلى البوذيّة وتقبلها كدين لك ؟!

ونفس الشّيء بالنّسبة لمن يكون من الخارج ، انظر بنظرته ، حينما يسمع بأنّ المسلم يقتل أخاه المسلم فإنّه يقول بأنّ العيب موجود في الإسلام ، ولو كان الإسلام دينًا صحيحًا فالمفروض أنّ هذا الدّين يؤلّف بين القلوب ، فيجعل جميع المشاكل الموجودة بين المسلمين على حساب الإسلام ، والواقع هو أنّ المسلمين اليوم لا يعكسون الإسلام ، ولا يوجد عندنا مجتمع مثاليّ يعكس صورة الإسلام الحقيقيّ ، بحيث نقول انظروا إلى هذا المجتمع وسترون بأنّ الإسلام مُطَبَّقٌ فيه كاملًا ، وهل تريدون مقياسًا لنعرف أنّ هذا المجتمع مجتمع إسلاميّ أو مجتمع مسلمين ؟

المقياس هو أنّ المجتمع الإسلاميّ لا يوجد فيه فقير ، ليكن هذا مقياسًا بيدك ، فإذا رأيت مجتمعًا فيه فقراء فاعلم بأنّ هذا المجتمع لا يطبّق الإسلام تمامًا ، فالدّولة الإسلاميّة الّتي تطبّق الإسلام تمامًا لا يوجد فيها فقير ، وهذا هو مقياس العدالة ، وهذا المجتمع يكون

مجتمعًا عادلًا ، فلا يوجد فقير لأنّ كلّ إنسان يسعى في قضاء حاجات المحتاجين ، هناك من يملك المليارات ، وهناك فقراء مُعْدَمِينَ ، ماذا يفعل بهذه المليارات مع أنّه يعرف وجود الفقراء ؟

يرمون القمح في المحيط ويقتلون الأبقار لأجل أن يحافظوا على الأسعار ، مع أنّهم يستطيعون أن ينقلوا هذه المواد الغذائيّة إلى الدّول الفقيرة ، تجد دولةً فيها أنهار وأراضي صالحة للزّراعة ، ومع ذلك يوجد فيها فقراء ، ولو كانوا يزرعون هذه الأراضي لكانت الدّول المسلمة مكتفيةً بالمواد الغذائيّة اكتفاءً ذاتيًّا ، ولكن يَشْكُونَ الفقر ، والدّول المسلمة الفقيرة تعرفونها ، فتستغرب أنّه كيف يمكن أن يوجد فقراء في دولة فيها أنهار وأراضي صالحة للزّراعة ، فلو كانت هذه الأراضي تُزْرَعُ لكان الإنتاج كافيًا لجميع الدّول المسلمة .

إنّ قليلًا من النّاس يكونون من القسم الثّالث ، فالكفّار في العالم قليلون ، وأكثر النّاس من الّذين لم يصل إليهم الإسلام أو وصل إليهم مشوَّها ، والتّشويه حصل من المسلمين أنفسهم ، فأكثر النّاس يكونون من المستضعفين ، لذلك هؤلاء الكفّار القلّة هم الّذين يكونون خالدين في نار جهنّم ، وما يتناسب مع رحمة الله هو أنّ أكثر النّاس يدخلون إلى الجنّة ، والقلّة يدخلون إلى النّار .

إذن :

من أُقِيمَتْ عليه الحجّة وأنكر وجحد الحقّ يكون كافرًا ، وهذا الّذي يدخل إلى نار جهنّم ، وعددهم يكون قليلًا .

والمثال العرفيّ لذلك هو أنّه في المدرسة نرى أنّ الامتياز قليل ، وأكثر الطّلبة معدّلاتهم متوسّطة ، والقلّة القليلة يكونون راسبين ، وهذا مثال عرفيّ لبيان من يدخل الجنّة ومن يدخل النّار ، فقلّة يكونون في الدّرجات العليا من الجنّة ، وأكثر النّاس في الوسط ، وقلّة قليلة يدخلون النّار .

والأستاذ في المدرسة إذا كان أستاذًا رحيمًا بطلبته حينما يرى ورقة الامتحان يحاول أن يبحث للطّالب عن درجات ، ذكر كلمةً هنا فيعطيه درجة ، وذكر كلمة هناك فيعطيه درجة ، هذا هو الأستاذ الرّحيم بطلبته ، فما بالك بربّ العالمين الّذي هو قمّة الرّحمة ؟

حتمًا سوف يبحث لك ولفلان ولفلان عن درجة هنا ودرجة هناك ، من يعمل عملًا خيّرًا بسيطًا يعطيه الله درجةً بل درجاتٍ .

روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال : دخل عبد الجنّة بغصن من شوك كان على طريق المسلمين [1] .

تقول : ما هي قيمة إزالة غصن شوك عن الطّريق ؟!

عمل بسيط ، ولكن الله يقدّر صاحب هذا العمل البسيط ، والإنسان قد يقوم بأعمال بسيطة ، ولكنّه يستهين بها ، لا تَسْتَهِنْ بالأعمال حتّى الصّغيرة جدًّا ، تساعد شخصًا وتعطيه دينارًا مثلًا ، تقول إنّ هذا العمل بسيط ، اعلم أنّ هذا الدّينار له قيمة كبيرة عند الله تعالى .

---

[1] الخصال للشّيخ الصّدوق ص٣٢ .

رُوِيَ عن الإمام جعفر الصّادق عليه السّلام : . . . ولا تَسْتَقِلْ ما يُتَقَرَّبُ به إلى الله عزّ وجلّ ولو شقّ تمرة [1] .

وعنه عليه السّلام : إنّ الله تبارك وتعالى يقول : ما من شيء إلّا وقد وَكَلْتُ به من يَقْبِضُهُ غيري إلّا الصّدقة ، فإنّي أَتَلَقَّفُهَا بيدي تَلَقُّفًا ، حتّى أنّ الرّجل ليتصدّق بالتّمرة أو بشقّ تمرة فَأُرْبِيهَا له كما يُرْبِي الرّجل فَلْوَهُ وَفَصِيلَهُ ، فيأتي يوم القيامة وهو مثل أُحُد وأعظم من أُحُد [2] .

الله تعالى يُنَمِّي الصّدقات عبر الزّمان ، فلا نستهين بالأعمال الصّغيرة ، تقول إنّ هذا العمل البسيط ليس له قيمة ، ولكن هذا العمل البسيط له قيمة كبيرة عند الله .

قد يأتي إليك شخص متضايق عنده مشكلة ، تجلس معه وتتحدّث فيشعر بالرّاحة ، هذا العمل كبير عند الله ؛ لأنّك أرحت هذا الشّخص حتّى لو لم يكن مسلمًا ، إنسان بوذيّ متضايق وأنت تفرّج كربته ، هذا العمل له قيمة عند الله ، هذا البوذيّ ينظر إليك كمسلم ، يقول إنّ مسلمًا ساعدني ، بسبب هذه الكلمة منه من

---

[1] الكافي ج٢ ص١٤٢ ح٥ ، لا تَسْتَقِلْ : لا تعتبره قليلًا .

[2] المصدر السّابق ج٤ ص٤٧ ح٦ . وَكَلْتُ : جعلت وَكِيلًا . أَتَلَقَّفُ : أَلْتَقِطُ بسرعة . شقّ تمرة : نصفها . أُرْبِيهَا : أُنَمِّيهَا ، الفَلْو : المهر يُفْصَلُ عن أمّه ، وجمعه أَفْلَاء ، والمُهْر ولد الفرس . الفَصِيل : ولد النّاقة بعد فطامه وفصله عن أمّه . أُحُد : جبل أُحُد .

الممكن أنّ بعض البوذيّين يدخلون إلى الإسلام ويحسن إسلامهم ، وفي بعض الأحيان شخص يقوم بعمل بسيط ، ولكن لهذا العمل نتائج كبيرة .

إذن :

الكفّار في العالم يكونون من القلّة القليلة ، وأكثر النّاس يكونون من الّذين لم يصل إليهم الإسلام أو وصل إليهم الإسلام مشوَّهًا .

ونحتاج إلى بحث مستقلّ عن موضوع "الكافر في القرآن" باستقصاء جميع الآيات الّتي جاء فيها ذكر الكفر ومشتقّات الكفر ؛ ليكون عندنا بحث كامل عن هذا الموضوع ، والمقدار الّذي ذكرناه كافٍ إلى هذا الحدّ .

ونطرح عناوين ، ونبحث بحثًا صغيرًا عن هذا العنوان خلال محاضرة أو محاضرتين أو ثلاث ؛ لكي نفتح الأبواب للبحوث ، ويمكن أن يأتي باحث وَيُوَسِّع هذه البحوث بشكل أكبر ضمن العناوين السّابقة الّتي طرحناها .

ونحتاج أيضًا إلى بحث عن "الاستضعاف الفكريّ" ، وهذا النّوع من الاستضعاف موجود الآن في العالم ، ووسائل الإعلام تقوم بدور كبير في استضعاف الشّعوب فكريًّا .

ملاحظة هامّة جدًّا : نظر الله إلى القلوب لا الألقاب :

إنّ الله عزّ وجلّ وقت الحساب لا ينظر إلى الألقاب ، هذا لقبه مسلم ، وذاك لقبه كافر ، وهذا لقبه مسيحيّ ، وذاك لقبه يهوديّ ،

وهذا لقبه بوذيّ ، وذاك لقبه هندوسيّ ، فالله لا ينظر إلى الألقاب والأسماء ، ويقال بأنّ جميع المسلمين في الجنّة ، وجميع غير المسلمين في النّار ، وهذا القول غير صحيح ؛ لأنّ نظر الله سبحانه لا يكون إلى الأسماء ، وكأنّ الله يوم القيامة يقول اعطني هويّتك ، فإذا مكتوب فيها مسلم ، فيقال له تفضّل إلى الجنّة ، الحساب لا يكون بهذه الطّريقة ، فالله لا ينظر إلى الألقاب ، وإنّما ينظر إلى واقع الشّخص وحقيقته القلبيّة ، هل هو مؤمن حقيقةً أو لا ، هل هو كافر حقيقةً أو لا ، قد يكون لقبه مسيحيًّا ، ولكنّه في الواقع يعتقد بالله ، قد يكون لقبه مسلمًا ، ولكنّه في الواقع لا يعتقد بالله ، كالمنافق ، وبعض النّاس في الدّنيا يعتبرون من المؤمنين ، ولكنّهم يحشرون كفّارًا ؛ لأنّ هذا هو واقعه .

نعم في الدّنيا يكون التّعامل على أساس الظّاهر ، فإذا قال الشّخص عن نفسه إنّه مسيحيّ – فنتعامل معه على أساس ظاهره وقوله عن نفسه بأنّه مسيحي ، ولا يوجد عندنا اطّلاع على القلوب وواقع النّاس ، والله ينظر إلى حقيقة الشّخص ، هل هو مؤمن أو لا ، هل هو كافر أو لا ، وما هي اعتقاداته الحقيقيّة .

إنّ الله يحاسب كلّ إنسان على أساس واقعه وحقيقته القلبيّة ، وما يوجد في قلبه من عقائد حقّة وباطلة ، ومن صفات قلبيّة حسنة وسيّئة ، ومن أعمال باطنيّة من تكامل أو تسافل ، وما يترتّب على ذلك من أعمال خارجيّة صالحة أو طالحة ، فحساب الإنسان يكون

على أساس عقائده الواقعيّة وصفاته القلبيّة وأعماله الباطنيّة وأعماله الخارجيّة ، ولا يكون الحساب على أساس الأعمال الخارجيّة فقط ، لا فقط أنّ هذا الإنسان أتى بعمل خارجيّ مثل الصّلاة ، وإنّما النّظر يكون إلى أنّ عمله الخارجيّ مقبول من الله أو لا ، فهذه الصّلاة مقبولة أو غير مقبولة من الله ، وقبول الأعمال من الله هو المهمّ ، وهل حصل على التّكامل أو لم يحصل عليه ، هل رسّخ عقائده أو لم يرسّخها ، هذه الأمور هي المهمّة .

إنّ عقائد الإنسان مهمّة ، لا فقط كما هو الجاري الآن وهو التّركيز على الفقه العمليّ ، ونحن غافلون عن الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ ، والتّركيز لا بد أن يكون أوّلًا على الفقه العقائديّ ، وثانيًا على الفقه الأخلاقيّ ، وثالثًا على الفقه العمليّ .

ونحن الآن نبدأ بالفقه العمليّ ونركّز عليه أكثر من العقائد والأخلاق ، والفقه العمليّ عبارة عن أدنى المراتب من الدّين لأنّه يتناول العمل الخارجيّ الظّاهريّ ، لا بدّ أن يهتمّ الإنسان بتأثّره القلبيّ بالعمل الخارجيّ ، فيحصل على التّكامل ويرسّخ عقائده ، ويرسّخ عقيدة التّوحيد ، ويرسّخ اعتقاده بالنّبوّة والإمامة والمعاد ، ونسأل :

هل الإنسان الآن يتحرّك على أساس اعتقاده بالآخرة ؟

الجواب :

إنّ أكثر النّاس غافلون عن الآخرة ، ولا يعملون على أساس هذا الاعتقاد ، نعم عندهم اعتقاد نظريّ ، ولكنّهم لا يفعّلون هذه العقائد

النظريّة بحيث يحوّلونها إلى عمل ، فترى أنّ الّذي يعتقد بالله والّذي لا يعتقد بالله أعمالهما متطابقة وحركتهما واحدة ، فما تستفيده من العمل الخارجيّ مهمّ أيضًا لا فقط أن تأتي بالعمل الخارجيّ ، لا فقط أصلّي ، بل أُقِيمُ الصّلاة بحيث تكون صلاتي مقبولةً عند الله ، فلا بدّ من توفير شروط قبول الأعمال ، وهذا يحتاج إلى بحث مستقلّ عن موضوع "شروط قبول الأعمال" ، لا فقط يأتي بالعمل الخارجيّ ، يقول : الحمدلله صار لي خمسين سنة أصلّي .

نسأله : من هذه الخمسين سنة كم نسبة الصّلوات المقبولة عند الله تعالى ؟

يقول بأنّه خمسين سنة يصوم ، ويذهب إلى الحجّ ، وإذا رجعنا إليه عندما كان عمره عشرين سنة نرى أنّه الآن لم يتغيّر بشيء ، فأفعاله نفس الأفعال ، وكلامه نفس الكلام ، وتوجّهاته نفس التّوجّهات ، لا يظهر عليه أيّ تغير ، مع أنّه يقوم بأعمال خارجيّة كثيرة ، ولكنّه لا يستفيد منها قلبيًّا ، ونحتاج إلى بحث مستقلّ عن موضوع "كيفيّة الاستفادة من الأعمال" ، مثلًا كيف يمكن لنا أن نستفيد من الصّلاة ؟

لا فقط نصلّي ونصوم ونحجّ ونتصدّق ، وإنّما المهمّ كيف يمكن لنا أن نستفيد من الأعمال العباديّة وغير العباديّة ؟

ويمكن أن نبحث عن ذلك تحت عنوان "فلسفة الأعمال" و"فلسفة العبادات" و"فلسفة الوضوء" أو "أسرار الوضوء" و"فلسفة

الصّلاة" أو "أسرار الصّلاة" و"فلسفة الصّيام" ، وغيرها من الأعمال العبادية ، وكلّها تحتاج إلى بحوث مستقلّة .

إذن :

لا بدّ أن يراجع الإنسان عقائده ، والعقائد إذا لم تكن راسخةً في نفس الإنسان فإنّه حينما ينتقل إلى عالم البرزخ وينزل إلى قبره الرّوحي فإنّه يفقد العقائد ويتركها خارج قبره ؛ لأنّها ليست راسخة ثابتة ، وأعماله الخارجيّة لا تقوم على أساس العقائد ، ويقوم بالأعمال الخارجيّة بدون النّظر إلى عقائده ، ولا يلتفت إلى الاعتقاد بالله أو الاعتقاد بالنّبوّة أو الإمامة أو المعاد .

ولو كان الإنسان يعتقد بالمعاد ويرسّخ هذه العقيدة وتكون أعماله قائمةً على أساس المعاد فإنّ أعماله تختلف عن أعمال الّذي لا يعتقد بالمعاد ، فيقول عندي يوم حساب ، وحينما أقوم بأيّ عمل فإنّ الله سيحاسبني ، فلا بدّ أن يجهّز أجوبة الأسئلة من الآن ، لماذ قمت بهذا العمل وذاك العمل ؟

لا بدّ أن يكون عنده الجواب المقنع ؛ لأنّ الله علّام الغيوب ، وهو مطّلع على قلبك ، ولا يستطيع الإنسان أن يكذب أمام الله ، والرّوح عندما تنتقل إلى عالم البرزخ فإنّ الرّوح ليس لها لسان ، فالرّوح بنفسها تنطق ، ولا تستطيع الكذب ؛ لأنّ الكذب يكون مع اللّسان الّذي يُدْفَنُ في قبر الجسد ، وينتهي الجسد ، وتنتقل الرّوح إلى عالم البرزخ والحساب ، فالرّوح هي الّتي تنطق ، فهذا الحساب وأسئلة من ربّك

ومن نبيّك ومن إمامك وإن كان مُعَبَّرًا عنها بألفاظ ، ولكن في عالم البرزخ لا توجد ألفاظ ، وهذا عبارة عن أمر رمزيّ ، تحويل عمليّة الحساب إلى ألفاظ ، فهناك لا توجد ألفاظ ، والرّوح والنّفس تكون مكشوفةً أمام الله ، فلا يوجد حساب عن طريق الألفاظ ، وهذا عبارة عن رمز لكيفيّة الحساب ؛ لكي تلتفت ، وترسّخ العقائد ، وتنتقل إلى عالم البرزخ وقلبك ينبض بالتّوحيد ، وتكون هذه هي حقيقتك وواقعك ، لا أنّ العقائد تكون غير راسخة عند الإنسان ، فالحساب سيكون على أساس العقائد ، وعلى أساس الصّفات القلبيّة ، وعلى أساس الأعمال الخارجيّة .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٣٤)

قَاتِلُوا الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

محاضرة اللّيلة عن القتال والجهاد في القرآن الكريم ، وهو المحور التّالي من محاور القرآن الكريم .

المحور الثّاني عشر : القتال والجهاد في القرآن :

نبدأ ببحث لغويّ .

بحث لغويّ :

القرآن نزل بلسان عربيّ مبين ، ونزل بلسان قوم النّبيّ صلى الله عليه وآله ، فقواعد اللّغة العربيّة موجودة في القرآن ، وهي القواعد الّتي كان يستعملها العرب ، وهذه القواعد موجودة في القرآن ، والقرآن نزل على أساس هذه القواعد ، سواء القواعد النّحويّة أم البلاغيّة أم

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٢٨ ربيع الآخر ١٤٤٠ هـ ، الموافق ٢٠١٩/١/٤ م .

الصّرفيّة .

يقول القرآن الكريم :

"نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ" [١] .

"وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ" [٢] .

بحث لغويّ : ألف المفاعلة في "قَاتَلَ" :

مرّت علينا عدّة بحوث لغويّة سابقًا ، واستفدنا من القواعد اللّغويّة في المحاضرات السّابقة في عدّة موارد ، وأيضا هنا نطرح قاعدة لغويّة قبل الدّخول في الموضوع ، فنبدأ بالبحث اللغوي .

بدل أن نأخذ كلمة "قِتَال وَقَاتَلَ" نبدأ بكلمة أخرى ، وبعد أن نأخذ الكلمة الأخرى نرجع إلى كلمة "قَاتَلَ وَجَاهَدَ" ، نبدأ بكلمة "صَارَعَ وَصِرَاع وَمُصَارَعَة" ، ثمّ ننتقل إلى كلمة "قَاتَلَ وَقِتَال وَمُقَاتَلَة" و"جَاهَدَ وَجِهَاد وَمُجَاهَدَة" ، وهي على وزن "فَاعَلَ وفِعَال ومُفَاعَلَة" ، ويطلق على الألف فيها كلّها "ألف المفاعلة" كما في مصارعة ومقاتلة ومجاهدة ، وستأتي فائدة هذه الألف بعد قليل ، فنسأل :

حينما نقول "صَارَعَ" هل يوجد طرف واحد أو طرفان ؟

الجواب :

إذا قلنا يوجد طرف واحد فالشّخص الواحد لا يصارع نفسه ،

---

[١] الشّعراء : ١٩٣-١٩٥ .

[٢] إبراهيم : ٤ .

وفي المصارعة يوجد طرفان يتصارعان ، وأحدهما يصارع الآخر ، والطّرفان قد يكونان شخصين أو أشخاص متعدّدين ، كما في حلبة المصارعة .

إذن :

ما يكون على وزن "فاعَلَ" يحتاج إلى طرفين .

والآن نأتي إلى "قاتَلَ" ، نسأل :

هل يمكن للشّخص أن يُقَاتِلَ نفسه ؟

الجواب :

لا ، فإنّه يستحيل أن يقاتل الشّخص نفسه ، وإنّما يقاتل طرفًا آخر حتّى لو كان الطّرف الآخر طرفًا افتراضيًّا ، كما في التّدريبات والمناورات العسكريّة ، فيفترضون عدوًّا ، فيكون الطّرف الآخر طرفًا افتراضيًّا .

النّتيجة :

نصل إلى نتيجة وهي أنّ القتال يحتاج إلى طرفين ، فتنشأ عندنا قاعدة وهي أنّه في أيّ آية قرآنيّة إذا قرأنا كلمة "قِتَال وَقَاتَلَ" و"جِهَاد وَجَاهَدَ" فلا بدّ أن يوجد طرفان يتقاتلان ، والجهاد يكون ضدّ طرف آخر معتدي ، فأيّ آية فيها قتال وجهاد فمعناها أنّه يوجد طرف آخر يقاتل أيضًا ، فلا يوجد قتال إلّا مع المقاتلين ، مع الطّرف الآخر المقاتل ، بالإضافة إلى ذلك فالقتال يقع في ساحة القتال والحرب .

والقرآن الكريم بيّن أنّ القتال يحتاج إلى طرفين ، وبيّن أيضًا قواعد القتال وقوانين الحرب وآدابها في ساحة المعركة ، وسنأتي إلى قواعد الحرب وآدابها بعد ذلك .

إذن من حيث القواعد اللّغوية في "قَاتَلَ" و"جَاهَدَ" يوجد طرفان ، فطرف يقاتل الطّرف الآخر ، وطرف يجاهد الطّرف الآخر ، هذا بالمعنى اللّغويّ .

تقول إنّ المعنى اللّغويّ قد لا يُطَبَّقُ في القرآن ، فنقول نأتي إلى بعض الآيات الّتي تُثْبِتُ هذا المعنى .

"وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ المُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ" [(١)] .

"**يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعَانِ**" أي التقى الطّرفان ، والقرآن يثبت أنّ القتال يكون بين طرفين .

"**تَعَالَوْا قَاتِلُوا**" نداء لأحد الطّرفين ليأتي للقتال ، أي تعالوا قاتلوا في حالة التقاء الجمعين ، فالقتال يكون بين طرفين .

"وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ" [(٢)] .

[(١)] آل عمران : ١٦٦-١٦٧ .

[(٢)] الحجرات : ٩ .

"**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الـمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا**" ، فتوجد طائفتان تتقاتلان ، والطّرفان في القتال قد يكونان من المسلمين مع المسلمين أو من المسلمين مع غير المسلمين ، وفي الآية القتال واقع بين طائفتين من المسلمين .

"**فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي**" ، أي قاتلوا الطّرف الآخر الّذي كان باغيًا معتديًا ، فالقتال يكون بين طرفين .

"**وَقَاتِلُوا الـمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الـمُتَّقِينَ**" [(١)] .

"**وَقَاتِلُوا الـمُشْرِكِينَ . . . كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ**" ، فيوجد طرفان ، الطّرف الأوّل من المسلمين ، والطّرف الآخر من المشركين .

"**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالـمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ**" [(٢)] .

"**جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالـمُنَافِقِينَ**" ، أي الّذين يقاتلون المسلمين ، فالجهاد يحتاج إلى طرف آخر ، ففي الجهاد يوجد طرفان أيضًا .

"**فَرِحَ الـمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ**" [(٣)] .

"**وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ**" ، الجهاد بالأموال والأنفس

[(١)] التّوبة : ٣٦ .

[(٢)] السّورة السّابقة : ٧٣ .

[(٣)] السّورة السّابقة : ٨١ .

يكون في ساحة المعركة ، والجهاد يحتاج إلى طرفين ، والدّليل هو قولهم : "**لَا تَنفِرُوا**" ، أي لا تذهبوا إلى الحرب ، فيوجد طرف آخر في ساحة المعركة ، والجهاد مرتبط بالحرب والقتال ، فيوجد في الجهاد طرف آخر يقاتل .

"**وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ القَاعِدِينَ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ**" [١] .

"**وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ**" ، و"**جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ**" ، والجهاد يكون مع من يقاتل المسلمين ، والدّليل على أنّه يوجد طرف آخر هو قولهم : "**ذَرْنَا نَكُن مَّعَ القَاعِدِينَ**" ، أي القاعدين عن قتال العدوّ الّذي يقاتل المسلمين ، فيوجد أناس قاعدون عن الحرب ، وأناس يذهبون إلى الحرب ، فيوجد في الجهاد طرف آخر يقاتل .

إذن :

في "قَاتَلَ" و"جَاهَدَ" في أيّ موضع في القرآن معناه أنّه يوجد طرفان يتقاتلان ، طرف يقاتل ويجاهد الطّرف الآخر .

آيات القتال :

نأتي إلى آيات القتال :

---

[١] التّوبة : ٨٦-٨٨ .

"وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الـمُعْتَدِينَ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الـمَسْجِدِ الـحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ الشَّهْرُ الـحَرَامُ بِالشَّهْرِ الـحَرَامِ وَالـحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الـمُتَّقِينَ" [(١)] .

قوانين القتال وقواعد الحرب وآداب الجهاد في القرآن :

نحاول من هذه الآيات أن نستخرج قوانين القتال وقواعد الحرب في القرآن ، القوانين والقواعد الإسلاميّة للحرب :

القانون الأوّل :

"وَقَاتِلُوا . . . الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ" ، القتال يحتاج إلى طرفين ، فلا بدّ من وجود طرف آخر يقاتل المسلمين فيقاتلهم المسلمون .

إذن :

القانون الأوّل من قوانين الحرب وقواعد المعركة أنّ المسلمين لا يقاتلون إلّا من قاتلهم .

القانون الثّاني :

من الطّبيعي في ساحة المعركة أنّ كلّ طرف يحاول أن يقتل الطّرف

[(١)] البقرة : ١٩٠-١٩٤ .

الآخر ، والقرآن لم يأت هنا بشيء جديد ، لذلك يقول : "**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ**" ، أي اقتلوا الّذين يقاتلونكم فقط لا مطلق النّاس ، فالقتل يكون للطّرف الآخر المقاتل لا مطلق النّاس ، فالفعل "قَاتَلَ" مثل "صَارَعَ" يحتاج إلى طرفين ، والصّراع والقتال والمصارعة والمقاتلة بحاجة إلى طرفين ، ولا قتال للمسلمين إلّا مع المقاتلين ، وأمّا غير المقاتلين فلا قتال معهم ، فأيّ آية فيها قتال معناها أنّه يوجد طرف آخر يقاتل أيضًا ، فلا قتال إلّا مع المقاتلين .

"**فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا . . . فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا**" [1] .

إذا اعتزلوا ولم يقاتلوا وأرادوا السّلام فلا يوجد للمسلمين عليهم سبيل ، أي لا يقاتلونهم ولا يقتلونهم ، فإن لم يعتزلوكم وقاتلوكم ولا يريدون السّلام ولم يكفّوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وهذا القتل يكون للمقاتلين فقط ، ولا يشمل غير المقاتلين ؛ لأنّه من الطّبيعيّ في ساحة المعركة أنّ كلّ طرف يحاول أن يقتل الطّرف الآخر في أيّ مكان يجده .

إذن القانون الثّاني هو أنّه لا قتل إلّا للطّرف الآخر المقاتل ، ويحرم قتل الأشخاص غير المقاتلين .

---

[1] النّساء : ٩٠-٩١ .

نتيجة القانون الثّاني :

يحرم الهجوم على من لا يقاتل من الرّجال والنّساء والأطفال ، ويحرم قصف المدن الآمنة الآهلة بغير المقاتلين ، كما كانوا في الحروب العالميّة الأولى والثّانية – كما يظهر في الأفلام الوثائقيّة – يقصفون المدن الآمنة بالقنابل بواسطة الطّائرات أو المدافع ، كانوا يلقون القنابل على المدن الآهلة بالرّجال والنّساء والأطفال غير المقاتلين .

إذن :

القانون الثّاني هو أنّه لا قتال إلّا مع المقاتلين ، ومن لا يشارك في الحرب من الرّجال والنّساء والأطفال يحرم قتالهم وقتلهم .

القانون الثّالث :

"**فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ**" : إن قاتلوكم هم أي الطّرف الآخر بدأ بالقتال ، والنّتيجة هي أنّه يحرم البدء بالقتال ، فلا يجوز للمسلمين أن يبدأوا بقتال أيّ أحد ، يقاتلون من يقاتلهم فقط ، فالطّرف الآخر يبدأ بالقتال ، والمسلمون يدافعون عن أنفسهم فيقاتلونهم ، والمسلمون لا يبدأون بقتال ، ويكون دور المسلمين هو الدّفاع فقط .

"**أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ . . . أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ**" [١] .

---

[١] التّوبة : ١٣-١٦ .

"**أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا . . . وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**" ، فالطّرف الآخر هو الّذي بدأ بالقتال .

"**قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ**" ، قاتلوا الّذين بدأوكم بالقتال ، ويحرم البدء بالقتال .

"**وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ**" ، جاهدوا في ساحة القتال ، ودور المسلمين هو أن يدافعوا حينما يبدأ الطّرف الآخر بالقتال .

النّتيجة :

الحروب الإسلاميّة والقتال الإسلاميّ والجهاد الإسلاميّ كلّها دفاعيّة ، ولا توجد حروب ابتدائيّة ولا جهاد ابتدائيّ ، ودور المسلمين هو الدّفاع عن النّفس إذا قاتلهم الآخرون ، ولا يبدأون بالقتال ، وأدلّتنا على هذه النّتيجة أدلّة قرآنيّة .

أقسام الحروب الدّفاعيّة :

الحروب الدّفاعية على قسمين :

القسم الأوّل :

الدّفاع عن النّفس ، كما في الآيات السّابقة ، فهي تتحدّث عن الدّفاع عن النّفس .

القسم الثّاني :

الدّفاع عن المستضعفين في البلدان الأخرى ، ونفترض أنّ الدّولة الإسلاميّة لها قوّة وسلطة ونفوذ وهيبة ، فتدافع عن المستضعفين في العالم ، ولكن بشرط أن تكون دولة قويّة ، ويمكنها التّدخّل للدّفاع

عن المستضعفين ، كما قلنا في الآية الكريمة :

"وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ" [1] .

وقلنا ليس معنى هذه الآية إرهاب الأعداء بالهجوم والاعتداء عليهم وقتالهم وقتلهم ، وإنّما إعداد القوّة بحيث تكون للدّولة الإسلاميّة هيبة ، فلا يفكّر العدوّ بدخول حرب مع المسلمين أو التّحرّش بهم لأنّ الدّولة الإسلاميّة قويّة ، ولا يستطيعون التّعرّض لهذه الدّولة .

وقلنا بأنّ القوّة تشمل القوّة العسكريّة والقوّة السّياسيّة والقوّة الاقتصاديّة والقوّة الصّناعيّة والقوّة العلميّة والقوّة الفكريّة وغيرها ، فالدّولة الإسلاميّة لا تحتاج إلى الدّول الأخرى لا عسكريًّا ولا سياسيًّا ولا اقتصاديًّا ولاغيرها ، وعندها الاكتفاء الذّاتيّ في جميع المجالات ، فإذا كانت الدولة مكتفيةً اكتفاءً ذاتيًّا فتكون دولة قويّة ، ويكون لها هيبة عند الدّول الأخرى ، ولا تحتاج إلى أيّ دولة أخرى ، وإذا كانت دولةً قويّةً فالدّول الأخرى تتقرّب منها وتتودّد إليها ، مثل ما هو حاصل الآن في زماننا ، هناك دولة قويّة وجميع الدّول تحاول أن تتودّد لها وتتقرّب منها بل وتخاف منها ، والدّولة الإسلاميّة بالمواصفات السابقة دولة قويّة تدافع عن المستضعفين في العالم بالحقّ .

والدّفاع عن المستضعفين قد يكون بالكلام عن طريق المؤتمرات والمفاوضات ، أو عن طريق الأمم المتّحدة ، وقلنا نفترض أنّ الدّولة

---

[1] الأنفال : ٦٠ .

الإسلاميّة لها هيبة ، ولها كلمة مسموعة في الأمم المتّحدة ، وإذا لم ينفع الكلام فالدّولة الإسلاميّة لها حقّ التّدخّل في الدّفاع عن المستضعفين ورفع الظّلم عنهم وردّ حقوقهم المسلوبة لا أكثر من ذلك ، تدخل للدّفاع عن الحقوق فقط ، وتصير شرطيّ العالم ، ولكن بالحقّ والعدل ، والآن عندنا شرطيّ العالم ، ولكن بالباطل والظّلم ، وتنشر الظّلم في كلّ مكان ، وأمّا الدّولة الإسلاميّة فتتدخّل لنشر الحقّ والعدل والدّفاع عن المستضعفين بالحقّ ، لإرجاع الحقوق عن طريق المفاوضات أو عن طريق التّدخّل المباشر ، ونحن الآن كلامنا افتراضيّ ، ولا توجد في الوقت الحاضر دولة إسلاميّة قويّة ، ونقول دولة إسلاميّة ولا نقول دولة مسلمة ، ونستفيد من الآيات القرآنيّة أنّ الدّولة لا بدّ أن تسعى إلى القوة ، لا فقط قوّة عسكريّة ، بل أيضًا قوّة سياسيّة وقوّة اقتصاديّة وقوّة في جميع المجالات .

إذن :

الدّولة الإسلاميّة تتدخّل للدّفاع عن المستضعفين في العالم ، ويحرم على الدّولة الإسلاميّة الإغارة على الدّول الأخرى ، ويحرم احتلال أيّ دولة ، ويحرم الإساءة إلى مواطني الدّول الأخرى حتّى لو لم يكونوا من المسلمين ، فلا تحتلّ الدّول الأخرى ، ولا تغير عليهم ، ولا تسيء إلى مواطنيها ، وحينما تدخل إلى أيّ دولة للدّفاع عن المستضعفين فلا تسيء إلى المواطنين ، هذا إذا كان عند المسلمين القوّة بحيث يمكن لها التّدخّل ، فتبدأ بالمفاوضات ، وإذا لم تنفع المفاوضات تتدخّل

عسكريًّا بشكل مباشر ، مثلما كان الوضع في بلدنا ، فالعالم جيّش الجيوش لأجل طرد الصّنم من بلدنا ، والدّولة الإسلاميّة تقوم بنفس الدّور ، ولكن بالحقّ والعدل ، تتدخّل وترجع الأمور إلى وضعها الطّبيعي وتخرج من الدّولة الأخرى ، ولا تظلّ فيها إلّا إذا الطّرف الآخر يريد ضمن عقود واتفاقيّات معيّنة .

وإذا كانت الدّولة الإسلاميّة لا تملك القوّة الكافية فالمسلمون يدافعون عن المستضعفين باستعمال وسائل الإعلام والضّغط العالميّ على الحكومات الّتي تظلم شعوبها لأجل رفع الظلم عنهم وإرجاع حقوقهم المشروعة ، فمن حقّ كلّ إنسان أن يعيش بسلام في هذا العالم ، وهذا حقّ إنسانيّ لجميع البشر .

وغير المقاتلين لا يكونون مشاركين في الحروب ، ويحرم التّعرّض للمسالمين ، فدماء المسالمين وأموالهم وأعراضهم محفوظة لا يجوز التّعرّض لها بأيّ حال من الأحوال .

وأمّا في ساحة المعركة فيجوز قتال المقاتلين وأخذ الغنائم منهم ، هذا في ساحة المعركة فقط ، ولا يجوز التّعرّض لنساء المقاتلين ولا لأطفالهم ولا للرّجال الّذين لم يشاركوا في القتال ، ويحرم تدمير الممتلكات العامّة ، وتجب المحافظة على الممتلكات العامّة في جميع الدّول .

يقول القرآن الكريم :

"وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ

وَالنِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ القَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا" [1] .

"**وَالمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ**" : الّذين يكونون تحت سلطة الحكومة الظّالمة .

إذن :

القتال يكون للدّفاع فقط ، والدّفاع تارةً يكون دفاعًا عن النّفس ، وتارةً أخرى يكون دفاعًا عن المستضعفين .

القانون الرّابع :

"**وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ**" ، فيحرم البدء بالقتال والاعتداء ، والحروب الابتدائيّة الهجوميّة والجهاد الابتدائيّ عبارة عن اعتداء على الآخرين .

"**وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ**" قاعدة قرآنيّة تجري في جميع الآيات من أوّل القرآن إلى آخره في أيّ موضع يوجد فيه قتال .

فالقاعدة تقول : "**وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ**" ، وهذه القاعدة لم تُنْسَخْ ولا تُنْسَخُ ؛ لأنّه إذا قلنا بأنّها نُسِخَتْ فمعنى ذلك أنّ الله يحبّ المعتدين ، وهذا مستحيل ، فهذه الآية من الآيات المحكمات الّتي لم تُنْسَخْ ، فالله لا يحبّ المعتدين دائمًا ، لا أنّه في وقت لا يحبّ المعتدين ، وفي وقت آخر يحبّ المعتدين ، فهذه قاعدة قرآنيّة تجري في جميع آيات القتال .

---

[1] النّساء : ٧٥ .

القانون الخامس :

"فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ" ، الاعتداء على الطّرف الآخر يكون بمقدار ما اعتدى عليكم لا أكثر من ذلك ، والزّيادة في الاعتداء خلاف التّقوى .

والنّتيجة هي أنّه يحرم الاعتداء على العدّو المعتدي بأكثر من مقدار اعتدائهم على المسلمين .

قاعدة عامّة :

يحرم الاعتداء على النّفس والمال والعِرض لأيّ شخص من أيّ دين كان حتّى لو كان ملحدًا .

يقول القرآن الكريم :

"وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ" [1] .

"وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى" في مقابل **"وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ"** ، نرى أنّ الإثم في مقابل البرّ ، والعدوان في مقابل التّقوى ، فمن نتائج التّقوى عدم الاعتداء ، والإنسان المتّقي لا يعتدي ، وإذا رأيت شخصًا يعتدي فاعلم بأنّه ليس متّقيًا ، ترى في الشّارع شخصًا ينزل من سيّارته ويضرب شخصًا هنديًّا أو سيلانيًّا بدون أيّ سبب ، قد يكون ضايقه بسيّارته في الطّريق بدون قصد ،

---

[1] المائدة : ٢ .

هذا العمل خلاف التّقوى ، وهذا الشّخص لو كان عنده تقوى فإنّه لا يعتدي على الآخرين بلا سبب ، لذلك قالت الآية : "**وَاتَّقُوا اللهَ**" ، فالإنسان المتّقي هو الّذي لا يعتدي على أحد من النّاس سواء كان الـمُعْتَدَى عليه مسلمًا أم غير مسلم ، يهوديًّا أو مسيحيًّا أو بوذيًّا أو ملحدًا ، تقول إنّه ملحد ، فنقول ليس من حقّك الاعتداء عليه ، وتقول هو ملحد فماله وعرضه ودمه حلال ، نقول لا ، يظلّ دمه وعرضه وماله محفوظًا ، ومن يعتدي بدون وجه حقّ يأتيه التّحذير الإلهيّ في الآية : "**إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ**" ، وإذا اعتدى فالنّتيجة أنّه يُعَرِّضُ نفسه للعقاب الإلهيّ .

طبعًا الأحكام الرّئيسة موجودة في القرآن ، والتّفصيل والتّوضيح وتحديد المصاديق موجود في الرّوايات ، وهذا أمر واضح ، فالرّوايات تأتي لتفصيل الأحكام الموجودة في القرآن ، فالأحكام الرّئيسة لا بدّ أن تكون موجودةً في القرآن ، والأحكام الرّئيسة مثل حكم القتل ، فإذا يوجد حكم بقتل شخص بسبب فعل قام به – فهذا الحكم لا بدّ أن يذكره القرآن ، وسوف أذكر هذه النّقطة بعد ذلك في موضوع قتل المرتدّ ، فحكم قتل المرتدّ غير موجود في القرآن ، وقتل المرتدّ من الأحكام الرّئيسة ، فلا بدّ أن يكون مذكورًا في القرآن ، وقتل المرتدّ موجود في الرّوايات ، فنحتاج أن نجمع بين عدم ذكر قتل المرتدّ في القرآن وبين ذكره في الرّوايات ، والرّوايات نُؤَوِّلُها أو نرفضها ، ثلاثون أو أربعون رواية جاءت في قتل المرتدّ ، فنحتاج أن نجمع بينهما ونوجّه

الرّوايات ، وبطريقة معيّنة يمكن أن نجمع بين الأمرين بحيث تتناسب الرّوايات مع القواعد العامّة المذكورة في القرآن ، وإذا لم تتناسب نرفضها ، ويأتي البحث حينما نتكلّم عن الموضوع في الفقه العمليّ .

والبعض يستعجل ويريد طرح الموضوع بسرعة ، وسنأخذ الرّسالة العمليّة من البداية ونسير إلى النّهاية ، ونرى الأحكام الّتي تتناسب مع عالميّة الإسلام ، وبعض الأحكام قد لا تتناسب مع عالميّة الإسلام ، فنحاول من خلال الآيات والرّوايات أن نصل إلى الحكم العالميّ ، وقلنا بأنّ بحوثنا بحوث نظريّة لا بحوث فتوائيّة ، ولا نطرح الأحكام الشّرعيّة ، وإنّما هي بحوث نظريّة ، ونحاول أن نستفيد من الآيات والرّوايات في طرح الأحكام الّتي تتناسب مع عالميّة الإسلام .

قوانين القتال في الرّوايات الشّريفة :

لنقرأ بعض الرّوايات الواردة في الموضوع والتي تتوافق مع القرآن الكريم :

الرّواية الأولى :

عن أبي عبدالله الصّادق عليه السّلام قال : كان رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا أراد أن يبعث سريّةً دعاهم فأجلسهم بين يديه ثمّ يقول : سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملّة رسول الله ، لا تغلّوا (أي لا تأخذوا من الغنائم لأنفسكم) ولا تمثّلوا (أي بالجثث ، مثلًا يقطع رأسه ويعلّقه ، وإذا قتله فيجب أن يدفنه) ، ولا تغدروا (هذه تفاصيل في عدم الاعتداء على المقاتلين ، وإذا أعطيت الأمان

للطّرف الآخر فلا تغدر به) ، ولا تقتلوا شيخًا فانيًا (أي كبيرًا في العمر) ولا صبيًّا ولا امرأةً (أي من غير المقاتلين ، فلا تتعرّض لهم) ، ولا تقطعوا شجرًا إلّا أن تضطرّوا إليها (لا فقط المحافظة على النّاس ، بل حتّى الأشجار لا تقطعها إلّا لضرورة ، أي حافظوا على البيئة ، والشّجر مثال لأيّ شيء يمكن المحافظة عليه ، ومن باب الاضطرار تقطع الشّجر كأن يصير في طريق المجاهدين) ، وأيّما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم (كان جنديًّا أو قائدًا) نظر إلى رجل من المشركين (أي نظر نظرة إشفاق إلى حال هذا المشرك فرآه ضعيفًا ، وطلب الأمان من المسلم ، فأعطاه الأمان) فهو جَارٌ (أي يجيره من القتل) حتّى يسمع كلام الله ، فإن تبعكم فأخوكم في الدّين (أي إذا أسلم فأخوكم في الدّين مع أنّه مقاتل من الطرف الآخر) ، وإن أبى (أي رفض الدّخول في الإسلام ، وفي أذهاننا الآن أنّ المسلمين يقتلونه ، ولكن الرّواية لا تقول بقتله ، بل تقول :) فأبلغوه مأمنه (ما دام أنّه أعطاه الأمان فيوصله إلى بلده) واستعينوا بالله عليه (أي هذا الشخص المقاتل أعطيته الأمان فلا تقتله ، إذا دخل في الإسلام فأخوك في الدّين ، وإذا لم يدخل في الإسلام وقد أعطيته الأمان فترجعه إلى بلده وأهله آمنًا ، ويحرم أن تعتدي عليه ، هذه هي قوانين القتال وقواعد الحرب في الإسلام ، والإرهابيّون لا يطبّقون شيئًا من هذه القوانين والقواعد) [1] .

---

[1] الكافي ج٥ ص٢٧-٢٨ ح١ .

الرّواية الثّانية :

عن أبي عبدالله الصّادق عليه السّلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السّلام : نهى رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يُلْقَى السّمّ في بلاد المشركين [1] .

إذا كان يوجد في بلاد المشركين أنهار ، فيحرم على المسلمين إلقاء السّمّ فيها بحيث يؤديّ إلى قتل المقاتلين وغير المقاتلين ، فعندك ساحة المعركة تقاتل المقاتلين فيها ، والماء يشرب منه الأطفال والنّساء والرّجال غير المقاتلين والحيوانات أيضًا ، فيحرم إلقاء السّمّ في المياه ، وتحرم الإبادة الجماعيّة وقتل الأبرياء الذين ليسوا من المقاتلين .

الرّواية الثّالثة :

عن أبي عبدالله عليه السّلام قال : إنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله كان إذا بعث أميرًا له على سريّة أمره بتقوى الله عزّ وجلّ في خاصّة نفسه ثمّ في أصحابه عامّةً (ومن نتائج التّقوى عدم الاعتداء) ، ثمّ يقول : اغْزُ بسم الله وفي سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله (بشرط أن يكونوا من المقاتلين لأنّ "قَاتَلَ" – مثل "صَارَعَ" – فيه ألف المفاعلة الّتي تحتاج إلى طرفين ، وهؤلاء الكفّار هم الذين بدأوا بالقتال ، والمراد ليس مطلق الكفّار هنا أي جميع الكفّار ، بل الكفّار المقيَّدون بالمقاتلين ، فيقاتلون الكفّار المقاتلين فقط ، وليس جميع الكافرين يُعْرَضُ عليهم الإسلام فإمّا أن يُسْلِمُوا وإمّا أن يُقَاتَلُوا وَيُقْتَلُوا ،

---

[1] الكافي ج٥ ص٢٨ ح٢ .

فيقاتل الكافر المقاتل أي الكافر الحربيّ فقط ، ويحرم الاعتداء على الكافر غير المقاتل ، فالكافر المسالم يحرم التّعرّض له) ولا تغدروا ولا تغلّوا ولا تمثّلوا ولا تقتلوا وليدًا (فيحرم قتل الأطفال) ولا مُتَبَتِّلًا في شاهق (المتبتّل هو العابد المنقطع عن الدّنيا ، والشّاهق هو الجبل ، والمراد به الرّهبان الّذين انقطعوا للعبادة ، وهم ليسوا من المقاتلين) ولا تحرقوا النّخل ، ولا تغرقوه بالماء (أي لا تغرقوا بساتين الكفّار المقاتلين ، فأنت قتالك مع المقاتل ، ولا شأن لك ببساتينهم) ، ولا تقطعوا شجرةً مثمرةً ، ولا تحرقوا زرعًا ؛ لأنّكم لا تدرون لعلّكم تحتاجون إليه ، ولا تعقروا من البهائم ممّا يُؤْكَلُ لحمه إلّا ما لا بدّ لكم من أكله (أي لا تقتلون جميع الحيوانات إلّا ما يؤكل ، فتذبحون ما يُؤْكَلُ للضّرورة فقط ، وأنتم في ساحة المعركة تأخذون من حيواناتهم ، وهي غنائم ، وإذا احتجتم للأكل فتذبحون بقدر الاضطرار ، وأمّا المسالمون فيحرم الاعتداء على مزارعهم وبساتينهم ومحاصيلهم وحيواناتهم ، فهذه أملاكهم ، ويحرم الاعتداء على المسالمين والتّعدّي على ممتلكاتهم) . . . [1] .

الرّواية الرّابعة :

عن أبي عبدالله عليه السّلام قال : قلت له : ما معنى قول النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "يسعى بذمّتهم أدناهم" ؟ قال : لو أنّ جيشًا من المسلمين حاصروا قومًا من المشركين (أي المقاتلين) ، فأشرف

---

[1] الكافي ج٥ ص٢٩ ح٨ .

رجل فقال : أعطوني الأمان حتّى ألقى صاحبكم ، وناظره فأعطاه أدناهم الأمان وجب على أفضلهم الوفاء به [١] .

الرّواية الخامسة :

عن عبدالله بن سليمان قال : سمعت أبا جعفر (أي الباقر) عليه السّلام يقول : ما من رجل آمن رجلًا على ذمّة ثمّ قتله إلّا جاء يوم القيامة يحمل لواء الغدر [٢] .

الرّواية السّادسة :

عن أبي عبدالله الصّادق عليه السلام قال : لو أنّ قومًا حاصروا مدينة (أي فيها مقاتلون) فسألوهم الأمان ، فقالوا : لا . فظنّوا أنّهم قالوا نعم ، فنزلوا إليهم كانوا آمنين [٣] .

ظنّوا أنّ المسلمين قالوا نعم ، ففتحوا أبواب المدينة وسلّموا أنفسهم ، فهم في أمان ، ولا يجوز الاعتداء عليهم أو قتلهم .

الرّواية السّابعة :

عن حفص بن غياث قال : سألت أبا عبدالله الصّادق عليه السّلام عن الطّائفتين من المؤمنين إحداهما باغية والأخرى عادلة فهزمت العادلة الباغية ؟ فقال : ليس لأهل العدل أن يَتْبَعُوا مُدْبِرًا (إذا أحد المقاتلين من الفئة الباغية هرب فلا يجوز أن يتبعوه ويقتلوه ،

---

[١] الكافي ج٥ ص٣٠-٣١ ح١ .

[٢] المصدر السّابق ج٥ ص٣١ ح٣ .

[٣] المصدر السّابق ج٥ ص٣١ ح٤ .

بل يتركونه) ، ولا يقتلوا أسيرًا ، ولا يجهزوا على جريح (أي لا يقتلون الجريح) ، وهذا إذا لم يَبْقَ من أهل البغي أحد ، ولم يكن لهم فئة يرجعون إليها ، فإذا كان لهم فئة يرجعون إليها فإنّ أسيرهم يُقْتَلُ ، وَمُدْبِرَهُمْ يُتْبَعُ ، وجريحهم يُجْهَزُ [1] .

الرّواية الثّامنة :

عن أبي حمزة الثّماليّ قال : قلت لعليّ بن الحسين (أي الإمام زين العابدين) عليه السّلام : إنّ عَلِيًّا عليه السّلام سار في أهل القبلة بخلاف سيرة رسول الله صلّى الله عليه وآله في أهل الشرك . قال : فغضب (أي الإمام عليه السّلام غضب) ثمّ جلس ثمّ قال : سار والله فيهم بسيرة رسول الله صلّى الله عليه وآله يوم الفتح ، إنّ عَلِيًّا عليه السّلام كتب إلى مالك (أي مالك الأشتر) وهو على مقدّمته يوم البصرة بأن لا يَطْعَنَ (بالرّمح) في غير مُقْبِلٍ (أي المقاتل الّذي يُقْبِلُ عليه ليقتله) ، ولا يَقْتُلَ (بالسّيف) مُدْبِرًا (أي إذا ألقى السّلاح وهرب من ساحة المعركة فلا يقتله) ، ولا يُجِيزُ على جريح (أي لا يقتل الجريح) ، ومن أغلق بابه فهو آمن (أي من ألقى السّلاح ودخل بيته وأغلق الباب ، فليس من حقّه أن يعتدي عليه بأن يكسر الباب ويدخل عليه ليقتله) . . . [2] .

---

[1] الكافي ج٥ ص٣٢-٣٣ ح٢ .

[2] المصدر السّابق ج٥ ص٣٣ ح٣ .

الرّواية التّاسعة :

عن عليّ بن الحسين (أي الإمام زين العابدين) عليه السّلام قال : إذا أَخَذْتَ أسيرًا فعجز عن المشي وليس معك مَحْمَلٌ فَأَرْسِلْهُ ولا تقتله ؛ فإنّك لا تدري ما حكم الإمام فيه [1] .

إذا أخذ أسيرًا ، وهو ألقى السّلاح وسَلَّمَ نفسه ، ولا يستطيع المشي ، ولايوجد عنده شيء يحمل الأسير عليه ، فيتركه ويطلق سراحه ، ولا يحقّ له أن يقتله ، والأسير يحاكم في محاكمة عادلة ، وإذا كان قد شارك في قتل أحد يُقْتَلُ ، ولكن إذا لم يَقْتُلْ أحدًا فيكون أسيرًا ، وله حكم الأسير ، والأسير لا يُقْتَلُ ولا يُعَذَّبُ ولا يُسْتَرَقُّ أي لا يصير عبدًا .

الرّواية العاشرة :

قال أبو عبدالله الصّادق عليه السّلام في طعام الأسير فقال : إطعامه حقّ على من أسره وإن كان يريد قتله من الغد ، فإنّه ينبغي أن يُطْعَمَ وَيُسْقَي ويُظَلَّ (أي يجعل له ظِلًّا ، ولا يتركه في الشّمس يعاني الحرارة) ويرفق به كافرًا كان أو غيره (كافرًا أو غير كافر ، فيتعامل معه برفق) [2] .

ما دام أنّه أسير فله حقّ أن يطعمه ويسقيه ويظلّل عليه من الشّمس ، فيأخذ كفايته من الطّعام والماء ، وطبعًا لا يضع له مائدة

---

[1] الكافي ج٥ ص٣٥ ح١ .

[2] المصدر السّابق ج٥ ص٣٥ ح٤ .

فيها جميع أنواع الأطعمة والأشربة ، وإنّما يعطيه كفايته وحاجته ، وما دام أنّه حقّ للأسير فهو واجب على الآسر ، وإذا لم يطعمه فهو مأثوم محاسب يوم القيامة ، وإذا في المحكمة العادلة ثبت عليه القتل وحكم عليه بالإعدام فما دام أنه أسير فيطعمه حتّى لو كان إعدامه في اليوم التّالي .

الرّواية الحادية عشرة :

كان عليّ أمير المؤمنين عليه السّلام يأمر في كلّ موطن لقينا فيه عدوّنا فيقول : لا تقاتلوا القوم حتّى يبدؤوكم ، فإنّكم بحمد الله على حجّة ، وتركككم إيّاهم حتّى يبدؤوكم حجّة لكم أخرى ، فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مُدْبِرًا (أي هاربًا) ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تكشفوا عورةً (أي بأن يأمره بنزع ملابسه) ، ولا تمثّلوا بقتيل [1] .

"لا تقاتلوا القوم حتّى يبدؤوكم" ، هذا تطبيق للآية القرآنيّة : "**أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا . . . وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**" [2] .

الرّواية الثّانية عشرة :

عن مالك بن أعين قال : حرّض أمير المؤمنين عليه السّلام النّاس بصفّين فقال : . . . ولا تمثّلوا بقتيل ، وإذا وصلتم إلى رجال القوم فلا تهتكوا سترًا ، ولا تدخلوا دارًا ، ولا تأخذوا شيئًا من أموالهم إلّا ما وجدتم في عسكرهم (أي تأخذون الأموال الموجودة في ساحة المعركة

---

[1] الكافي ج٥ ص٣٨ ح٣ .

[2] التّوبة : ١٣ .

فقط كغنائم حرب ، ولكن لا تدخلون البيوت وتأخذون أموالهم) ، ولا تهيجوا امرأةً بأذى وإن شَتَمْنَ أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم (أي إذا امرأة بدأت تسبّكم وتشتمكم فلا تتعرّضون لها بأذى ولا بضرب) . . . [1] .

النّتيجة :

هذه هي قوانين القتال وقواعد الحرب وآدابها في الإسلام ، وأيّ آية قرآنيّة فيها "قِتَال" و"قَاتَلَ" فمعناها أنّه يوجد طرف آخر يقاتل المسلمين ، فإذا عندك آية من الآيات فيها مثلا قاتلوا المشركين أو الكافرين أو اقتلوهم فمعناه أنّهم يقاتلون المسلمين وهم بدأوا بالقتال .

آية السّيف :

توجد آية في القرآن الكريم يُطْلِقُ عليها البعض من الّذين لم يتدبّروا في القرآن جيّدا ، يطلقون عليها آية السّيف ، وهي :

"فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" [2] .

ويقول هؤلاء بأنّ هذه الآية نسخت جميع الآيات الّتي فيها الصّفح والكفّ عن المشركين غير المقاتلين ، وبذلك تكون قد نسخت أيضًا الآية : **"وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا**

---

[1] الكافي ج٥ ص٣٩ ح٤ .

[2] التّوبة : ٥ .

يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" [1] .

ويكون المعنى : قاتلوا الذين يقاتلونكم أو لا يقاتلونكم واعتدوا إن الله يحبّ المعتدين ، ولكن نقول بأنه يستحيل أن الله يحبّ المعتدين .

"فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ" ، المعنى الصّحيح للآية الكريمة هو : اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم يعني المشركين الّذين يقاتلونكم لا مطلق المشركين ، ولا تعني اقتلوا المشركين مطلقًا ، ولا تعني أنّ أيّ مشرك في العالم تعرض عليه الإسلام فإذا لم يقبل الإسلام تقتله ، فالمشرك المسالم ليس من حقّ أحد أن يقتله ، نعم يدخل معه في نقاش علميّ ، اقتنع أو لم يقتنع ، وإذا لم يقتنع يتركه ولا يتعرض له بشيء ، وليس من حقّه أن يقتله .

إذن هذه الآية : **"فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ"** ليست على إطلاقها ، وإنّما اقتلوا المشركين الّذين يقاتلونكم في ساحة القتال بدلالة الآيات الأخرى ، لا أنّنا نأخذ هذه الآية بدون الجمع بينها وبين الآيات الأخرى ، ولا بد من النّظر إلى سياق الآيات ، ففي الآية التّالية : **"وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ"** [2] .

وهذا دليل على أنّه لا يقتل جميع المشركين ، **"حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ"** ، أوصله إلى مكان آمن كبلده وموطنه لكي لا

---

[1] البقرة : ١٩٠ .

[2] التّوبة : ٦ .

يتعرّض له أحد .

إذن :

القواعد القرآنيّة هي أنّ القتال يكون مع من يقاتل المسلمين ، والمسلمون لا يبدأون بقتال ، ولا يعتدون على أحد أبدًا ، وبعد تثبيت قواعد القتال وقوانين الحرب وآدابها نذهب إلى الرّوايات ونطبّق هذه القواعد على الرّوايات .

وإذا رأينا أنّ هناك رواية تقول مثلًا : اقتل جميع المشركين ، أو قولًا لأحد العلماء يقول : اقتل جميع المشركين مطلقًا ، فنقول إنّ هذا معارض للقرآن الكريم ، نعم يقتل المشرك الّذي يقاتله في ساحة المعركة فقط ، والقتال يحتاج إلى طرفين يتقاتلان ، ويحرم على المسلمين أن يبدأوا بقتال المشركين .

وهذه القواعد مهمّة جدًّا ، وهي غير مطبّقة اليوم ، ولا أظنّ أنّه توجد في أذهاننا مثل هذه القواعد ، ففي أذهاننا أنّ كلّ كافر أو مشرك نعرض عليه الإسلام فإمّا أن يَقْبَلَ وإمّا أن يُقْتَلَ ، كما هي المسألة المعروفة .

الكافر والمشرك تعرض عليهما الإسلام وتناقشهما نقاشًا علميًّا ، ومقياسنا هو الآية الكريمة :

"ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " [1] .

---

[1] النّحل : ١٢٥ .

وهـذه هـي قاعـدة الـدّعوة ، ولا توجـد عنـدنا قاعـدة أنّـه تعـرض الإسـلام علـى الكـافر أو المشـرك فَيُسْـلِم أو يُقْتَـل ، نعـم هـم بـدأوا بالقتال فالمسلمون يدافعون عن أنفسهم فيقاتلونهم .

والحمـد لله ربّ العـالمين وصـلّى الله علـى سـيّدنا أبي القاسـم محمّـد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٣٥)

قصّة غريبة عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

ملاحظة هامّة :

قبل الدّخول في الموضوع أذكر ملاحظةً هامّةً جدًّا ، وهي :

في الرّدّ العلميّ على أيّ فكرة من الأفكار لا بدّ أن ننظر إلى الدّليل ، وأيّ شخص يطرح فكرةً ننظر إلى دليله ، فمن يريد أن يَرُدَّ على هذه الفكرة فلا بدّ أن يبيّن بأنّ هذا الدّليل لا يدلّ على هذه النتيجة .

البعض خلال الأسابيع الماضية كان يرسل لي صفحات من الكتب أو آراء الآخرين من بعض المواقع ، وكان يقول بأنّ بعض الأفكار الّتي

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٤ جمادى الأولى ١٤٤٠ هـ ، الموافق ٢٠١٩/١/١١ م .

تطرحها لم يقل بها العلماء السّابقون ، وهذا نوع من الرّدّ ، فقلت له بأنّني أريد أن أسمع رأيك حينما تسمع رأيي مع الدّليل ، وآراء العلماء عندي اطّلاع عليها ، فأريد أن أسمع رأيك هل أنّ الدّليل الّذي أذكره من الآيات القرآنيّة تدلّ على هذه الفكرة أو لا تدلّ عليها ، وإذا لا يوجد عندك رأي لحدّ الآن فلا ترسل لي صفحات من الكتب ؛ لأنّ هذه الصّفحات اطّلعت عليها ، فقبل أن أكتب أيّ موضوع أبحث في مواقع الإنترنت لأقرأ ما هو مكتوب عن هذا الموضوع ، وأحاول أن أطّلع على أكبر قدر من المواقع .

ولا أخفي عليكم أنّه في تحضير هذه المواضيع استمعت إلى مئات المحاضرات ، وقبل أن أبدأ بكتابة محاضرات مشروع "عالميّة الإسلام" لمدّة سنة كاملة وأنا أستمع فقط إلى المحاضرات على اليوتيوب في العناوين الّتي سأتكلم عنها ، وكتبت اثنتين وعشرين ورقة من الملاحظات ، فقط ملاحظات عن المواضيع ، فعندي اطّلاع على آراء العلماء ، وبعض المواضيع لم يتكلّم فيها العلماء ، وعالميّة الإسلام غير مطروحة .

نعم هناك بعض المحاضرات على اليوتيوب ، ولكنّها محاضرات قليلة جدًّا ، وما يأتون به هو بعض الآيات القرآنيّة وبعض الرّوايات فقط ، ويقولون إنّ هذه هي أدلّتنا على عالميّة الإسلام ، وهذا المقدار لا يكفي لإثبات عالميّة الإسلام ، لا بدّ أن نطرح حلولًا للمشاكل ، فنسأل : هل توجد في الإسلام حلول للمشاكل العالميّة المعاصرة ؟

وهذا هو المهمّ ، نعم نذكر آيات قرآنيّة دالّة على عالميّة الإسلام ، ولكن بعد ذلك نريد أن نذهب إلى علاج المشاكل العالميّة .

فيرسلون لي آراء الآخرين ، ولكنّها أحيانا آراء بلا دليل ، أو أنّ الدّليل المذكور لا يدلّ على الفكرة الّتي يطرحونها ، وفي مواضيعي أنا أذكر الرّأي مع الدليل ، فناقش الأدلّة الّتي طرحتها ، وبيّن أنّها لا تدلّ على هذا الرّأي ، أريد أن أسمع رأيك أنت ، ولا تنقل لي آراء الأخرين ، أنت ماذا تفهم من هذا الدّليل ؟

وإذا لا توجد عندك قدرة على فهم الدّليل انتظر ، حاول أن تطّلع أكثر ، ارجع إلى المواقع ، وراجع كلمات العلماء ، وحاول أن تفهم شيئًا عن كيفيّة فهم الأدلّة ، وبعد ذلك بيّن ردّك ورأيك ، ويكون بيننا تعاون على هذه الأفكار .

وإذا وصل الشّخص إلى دليل جديد فيطرح رأيًا جديدًا ، هذا الدّليل يدلّ على هذه الفكرة ، وإذا وصلنا إلى دليل ثانٍ وكان الدّليل الثّاني يدلّ على فكرة ثانية فنأخذ بالفكرة الثّانية ، والمفروض أنّ الجميع يدورون مدار الدّليل ، وهذا هو المهمّ في عالم الأفكار .

وإذا طرح شخص فكرةً فأوّل سؤال هو : ما هو دليلك ؟

حتّى العلماء بين بعضهم البعض حينما يطرحون أيّ فكرة فإنّهم يبحثون عن الأدلّة ، فإذا كانت الفكرة بلا دليل لا يأخذ بالفكرة لأنّه لا يوجد عليها دليل ، وهو يريد الدّليل لا مجرّد الفكرة والرّأي ، فالنّقاش يكون في الأدلّة .

وطبعًا هي وجهات نظر ، وتختلف الآراء ووجهات النّظر في المسائل النّظريّة ، وحينما أطرح الفكرة أذكر الدّليل على هذه الفكرة ، ومن يريد أن يناقش يأتي إلى الدّليل ويقول بأنّ هذا الدّليل لا يدلّ على هذه الفكرة .

أريد أن أسمع آراء المستمعين إلى هذه المحاضرات ، لا أن ترسل لي عشرات الصّفحات ، وإذا لا يوجد عندك رأي فقل لا يوجد عندي رأي ، وإذا تريد أن تفيدني بهذه الصّفحات فقل لي بأنّ هذا الكاتب بحث في نفس الموضوع الّذي تبحثه ، وأرسل لك ما قاله لكي تستفيد منه ، ولكنّ البعض يقول إنّ هذا ردّ على ما تقوله ، هذا ليس ردّك ، بل هو ردّ الآخرين .

والبعض يظنّ بأنّ العلماء السّابقين قد وصلوا إلى جميع الأفكار ، بحيث أغلقت جميع أبواب البحث العلميّ ، ولكن باب البحث العلميّ مفتوح ، لذلك تجد قولًا لأحد العلماء ويأتي العالم الّذي بعده وَيُشْكِلُ على قوله ، وهذا موجود بكثرة في كتب أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، فَيُشْكِلُ على رأيه ، ويقول بأنّ ما طرحته من أفكار توجد أفكار أخرى في مقابلها ، لذلك عالم كالشّيخ الصّدوق رضوان الله عليه يكتب كتابًا في "الاعتقادات" ، ويأتي بعده الشّيخ المفيد رضوان الله عليه ويكتب كتابًا بعنوان "تصحيح الاعتقاد" .

إذن العلماء السّابقون لم يغلقوا باب الاجتهاد ، بل على العكس كان العلماء يشجّعون طلبتهم على النّقاش ، فكانوا يتلقّون

الإشكالات أثناء الدّرس ويجيبون عليها ، وأحيانًا الأستاذ يقول للطالب أحسنت هذا الإشكال قويّ ، وقد يأخذ برأي الطّالب ، فنستفيد من العلماء السّابقين الّذين بذلوا جهودًا كبيرة جدًّا ، ونستفيد ممّا طرحوه من آراء ، ونبني على هذه الآراء ، نبني فوق البنيان ، وكلّ عالم يأتي فيبني فوق بناء العلماء السّابقين .

ونُثَمِّنُ جهود العلماء ، فالعلماء السّابقون كانوا يقرأون على ضوء شمعة أو على ضوء القمر ، والآن الوسائل متوفّرة ، ولكن إنتاج العلماء السّابقين كان إنتاجًا كبيرًا أفضل من الوضع الحاليّ بالنّسبة إلى ظروفهم ، ويقال إنّه في الحلّة في العراق في وقت كان يوجد ألف مجتهد من الطّراز الأول ، وفي زماننا لا يوجد مجتهدون بهذا العدد .

إبداع الاجتهاد :

وطبعًا الاجتهاد ليس هو أن تأخذ آراء السّابقين وتكرّر أقوالهم ، هذا ليس اجتهادًا ، الاجتهاد هو الإبداع ، تستفيد من آراء السّابقين وتأتي برأي جديد ، هذا هو الاجتهاد ، وأمّا تكرار أقوال العلماء السّابقين فهذا تقليد لا اجتهاد ، فإذا جاء شخص يكرّر آراء السّابقين فهذا ليس مجتهدًا ، وإنّما هو مقلِّد ، لا بدّ أن نأخذ كلمات السّابقين ونستفيد منها ونعطي آراءً جديدة في الموضوع ، ولا يقصد آراء جديدة في جميع المواضيع ، وإنّما آراء جديدة في بعض المواضيع على الأقلّ ، فلا بدّ أن يكون عنده إبداع لكي يكون مجتهدًا .

وباب الاجتهاد والبحث العلميّ مفتوح عند أتباع مدرسة أهل

البيت عليهم السّلام ، والعلماء السّابقون لم يغلقوا باب الاجتهاد ، كانوا يجتهدون ، وما زال الباب مفتوحًا أمام العلماء المُحْدَثِينَ ، يستفيدون استفادات جديدة من القرآن ، واستفادات جديدة من الرّوايات ، والبحوث العلميّة مستمرّة ، ولا تقف عند حدّ .

تجد أنّ رجلًا من رجال الحديث يعتمد عليه العلماء في السّابق ، والآن لا يعتمد عليه بعض العلماء ، أو بالعكس كانوا لا يعتمدون عليه ، والآن يعتمدون عليه ، فالبحث مستمرّ في علم الرّجال ، لذلك ليس نقصًا في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام أنّه لا يوجد كتاب صحيح في الرّوايات ؛ لأنّ باب الاجتهاد مفتوح ، فإذا جعلنا كتابًا في الرّوايات هو الصّحيح فمعنى ذلك أنّ كلّ عالم يأتي بعد ذلك لا بدّ أن يأخذ الرّوايات من هذا الكتاب فقط ، وفي كتب الرّوايات العالم يجتهد ليرى أن هذه رواية صحيحة أو رواية ضعيفة ، والعلماء يختلفون في آرائهم ، فبعض العلماء يأخذون بهذه الرّواية ، والبعض الآخر لا يعتمدون على هذه الرّواية .

إنّ الآراء لا يوجد فيها تقديس ، تقديس بمعنى أنّه لا يمكن تغييرها ، الآراء تتغيّر ، وهذا عبر التّاريخ موجود عند العلماء ، فبعض الأحكام في الفقه العمليّ تغيّرت ، مثلًا العلّامة الحلّيّ رضوان الله عليه في زمانه كانت توجد مسألة وجوب نزح الآبار ، فإذا سقط حيوانًا في بئر ومات فإنّ البئر يتنجّس ، ويجب أن تنزح منه كذا دلو ، وقد يتناوب الرّجال على النّزح ، والعلّامة الحلّيّ رضوان الله عليه بعد هذه

المدّة الطّويلة من وجوب نزح الآبار ، طرح مسألة جديدة ، فقال بأنّ مياه الآبار مثل المياه الكثيرة ، فإذا تغيّر لون الماء أو طعمه أو رائحته بالنّجاسة فيجب أن ينزح الماء من البئر إلى أن يصير الماء صافيًا بلا لون أو طعم أو رائحة ، فالنّزح ليس واجبًا على إطلاقه ، ونبني على الاستحباب في بعض الحالات ، فنرى أنّ الحكم قد تغيّر ، ولو كان العلّامة الحلّيّ رضوان الله عليه ينظر إلى تقديس آراء العلماء السّابقين لما غيّر المسألة ، فهو طرح حكمًا جديدًا بناء على نفس الأدلّة الّتي طرحها العلماء السّابقون ، فكان عنده قراءة جديدة أو فهم جديد للنّصوص الدّينيّة .

إذن :

باب الاجتهاد والبحث العلميّ مفتوح من خلال الأدلّة ، حتّى لو كان نفس الدّليل ، العالم الأوّل يفهم من الدّليل شيئًا ، والعالم الثّاني يفهم من نفس الدّليل شيئًا آخر ، وقد يكون مناقضًا لفهم العالم الأوّل ، لذلك فالفقهاء يختلفون في آرائهم ، أحدهم يقول بوجوب عمل معيّن ، والآخر يقول باستحبابه ، وفقيه لا يعتمد على الرّواية ويقول بالاحتياط الوجوبيّ لأنّ العلماء السّابقين قالوا بهذا الحكم ، وعالم يأخذ بالإجماعات ، وعالم آخر لا يعتمد على الإجماعات ، يقول الإجماع ليس بحجّة إلّا إذا سبّب اليقين ، والشّهرة عند بعض العلماء حجّة ، وعند البعض الآخر ليس بحجّة ، وقواعد الاستنباط مختلفة عند العلماء ؛ لأن باب الاجتهاد مفتوح ، ولكن بشرط وجود

الدّليل .

وفي مواضيعنا نطرح مجموعة من الأفكار ، وقلنا عدّة مرّات أنّها من باب البحث النّظريّ لا البحث الفتوائيّ ، والهدف هو أن نفتح آفاق التّفكير في هذه المواضيع ، ومن يريد أن يردّ فعليه أن يأتي إلى الدّليل ويقول بأنّ هذا الدّليل لا يدلّ على هذه الفكرة .

مثلًا حينما طرحنا آية : **"وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى"** [1] – قلنا توجد ميزة للأنثى على الذّكر ، والبعض اعترض وقال بأنّه لا توجد ميزة للمرأة ، مع أنّ الآية فيها ميزة ، فالله يقول : **"وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى"** ، فتوجد صفة إضافيّة من جهة الأنثى ، وبعض الآيات فيها ميزة من جهة الرّجل ، وبعض الآيات تساوي بين المرأة والرجل .

والبعض عنده احتجاج على بعض الأفكار ، لا بأس ، ونحن نستمع إلى جميع الاحتجاجات ، ونطرح الآراء المختلفة ، فنقول إنّ هذا على الرّأي الأوّل ، وذاك على الرّأي الثاني ، مثلا نطرح الرّأي الأوّل بناءً على عدم دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، والرّأي الثّاني بناءً على دخالتهما في الأحكام ، فالبعض يردّ بأن هذا لا يمكن ، نقول نعم ، لا يمكن بناءً على عدم الدّخالة لمن يتبنّى هذه النّظريّة ، ومن يتبنّى نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام فإنّه يصل إلى نتائج أخرى .

---

[1] آل عمران : ٣٦ .

رجوع إلى الموضوع :

نأتي إلى موضوعنا ، هذه القصّة الغريبة المنقولة عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله تحت عنوان :

رحمة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسَمْلُ الأعين :

في القصص والأحداث التّاريخيّة ولا سيّما عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله لا بدّ أن نرجع إلى القرآن الكريم لنرى أنّها موافقة للقرآن أو غير موافقة ، ولا بدّ أن يحصل عند الباحث الوثوق بصدور الرّواية أو القصّة أو الحدث التّاريخيّ ، وما دام أنّه بحث نظريّ فمن الطّبيعيّ وجود اختلاف في الآراء بين العلماء في المذهب الواحد وفي المذاهب المختلفة ، فحتّى في المذهب الواحد توجد آراء مختلفة بين العلماء ، وفي جميع البحوث النّظريّة ترون وجود آراء مختلفة ، حتّى في العلوم الطّبيعيّة توجد آراء مختلفة ، ترون علماء الفيزياء يختلفون في الآراء ، العلماء السّابقون طرحوا نظريّة ، والعلماء المحدَثون يطرحون نظريّة أخرى .

مثلًا كان في السّابق قوانين نيوتن ، وبعد ذلك جاءت النّظريّة النّسبيّة لأينشتاين ، فقوانين نيوتن صارت من علم الفيزياء القديم .

وفي الطّبّ أيضًا توجد الآن اكتشافات كثيرة ، وصلني مقطع فيديو لشخص يلبس نظّارة بحيث يرى تقسيم الجسم إلى العظام لوحدها والعضلات لوحدها والأعصاب لوحدها ، فيشير إلى القلب ويخرجه من الجسم على شكل صورة ثلاثيّة الأبعاد ، وهكذا يمكنه أن

يدرس القلب لوحده ليرى إن كان يوجد فيه مرض أو لا ، والطّبّ يتطوّر تطوّرات هائلة جدًّا ، ونحن لا نتابع هذه التّطوّرات لأنّ الأمّة المسلمة تنظر إلى الماضي دائمًا ، أجدادنا وعلماؤنا وفقهاؤنا في السّابق ، ويقولون كنّا خير أمّة أُخْرِجَتْ للناس ، المسلمون لا ينظرون إلى المستقبل ، وإنّما ينظرون إلى الماضي ، وفي المسائل الدّينيّة هذا أمر واضح ، فإذا أراد أن يستدلّ بشيء فإنّه يقول قال العالم الفلانيّ الّذي كان يعيش في الماضي قبل ألف سنة مثلًا ، نسأله : ما هو رأيك أنت في هذه المسألة ؟

يستند دائمًا إلى العلماء السّابقين ، فنظر المسلمين دائمًا إلى الماضي ، يقولون العصر الذّهبيّ في الماضي ، ولكن لا يخطّطون للمستقبل ، والدّول المتطوّرة لا تنظر إلى الماضي ، ينظرون إلى المستقبل ، والنّظريّات القديمة ذهبت أدراج الرّياح ، وحينما يريد أن يأتي برأي يأتي برأي عالم معاصر حيّ في زماننا الحاليّ ، هم يخطّطون للمستقبل ، فعندهم مثلًا تخطيط لسنة ٢٠٣٠ م ، يريدون أن يصلوا إلى الكوكب الفلانيّ في ٢٠٣٠ م ، أن يصلوا إلى هذه الاكتشافات بعد قرن من الزّمان ، والمسلمون لا يوجد عندهم تطلّعات إلى المستقبل ، لا على نحو الفرد ، ولا على نحو الأمّة ، حتّى الفرد الآن اسأله : ماذا تخطّط لبعد خمس سنوات ؟

يقول : لا توجد عندي خطّة واضحة .

ماذا تريد أن تُنْجِزَ خلال السّنوات الخمس القادمة ؟

لا أظنّ أنّ أحدًا من المسلمين عنده خطّة دقيقة يريد أن يحقّقها بعد خمس سنوات .

والمسلمون يعيشون الماضي دائمًا ، ونظرهم دائمًا إلى الماضي ، لا بدّ أن ينظروا إلى المستقبل ، حتّى في القضايا الدّينيّة ننظر إلى آراء العلماء السّابقين ، وكأنّ الآراء موجودة عند العلماء السّابقين فقط ، وكأنّ العلماء الحاليّين لا يوجد عندهم شيء ، نقول إنّ العلماء الحاليّين عندهم شيء ، ولا بدّ أن ننظر إلى آرائهم ، وقلت في إحدى المحاضرات كما أنّه كان عندنا شيخ الطّائفة في الماضي فلا بدّ أن يوجد عندنا شيخ الطّائفة في الحاضر ، فنرجع إلى آراء شيخ الطّائفة المعاصر لنا في زماننا ، فالنّظريّات تتغيّر والآراء تتغيّر .

نعم الشّيخ الطّوسيّ والشّيخ المفيد والسّيّد المرتضى والعلماء السّابقون رضوان الله عليهم بذلوا أقصى جهودهم في زمان كان الحصول على الكتاب صعبًا ، كان البحث في الكتاب صعبًا ، معظم الكتب كانت بلا فهارس ، ولا بدّ أن يبحث العالم من أوّل الكتاب إلى آخره ليجد رواية يبحث عنها ، والرّوايات لم تكن مرتّبةً ، كان العالم يجلس في المسجد ويروي الرّوايات عن فلان عن فلان والطّلبة يكتبون ، مرّة رواية في الصّلاة ، وتليها رواية في الصّيام ، وتليها روايات في أبواب أخرى ، والعالم حينما يريد أن يبحث كان يرجع إلى هذا الكتاب فيبحث من أوّله إلى آخره ليجد الرّواية الّتي يبحث عنها ، وأنت الآن حينما تبحث عن رواية تكتب كلمتين من الرّواية

وإذا جميع المصادر تظهر لك ، ولكن إنتاج السّابقين كان أفضل من إنتاجنا في الوقت الحالي ، كانوا جادّين في عملهم أكثر منّا ، الآن المؤسّسات الدّينيّة فيها آلاف الطّلبة ، ما هو إنتاجهم ؟

أكثر إنتاج المؤسّسات الدّينيّة اليوم في الفقه العمليّ ، مجلّدات كثيرة تُكْتَبُ في الفقه العمليّ ، ولكن في العقائد الكتب قليلة جدًّا ، وحينما نريد أن ندرس العقائد نرجع إلى كتاب من الماضي ، أو نرجع إلى كتاب الإلهيّات للشّيخ جعفر السّبحاني حفظه الله ، ولا بدّ أن يكون عندنا في كلّ زمان كتب في الفقه العقائديّ ، وكتب في الفقه الأخلاقيّ ، وكتب في الفقه العمليّ ، مثلًا ترى العالم يكتب خمسة وعشرين مجلّدا في الفقه العمليّ ، ولا يوجد عنده كتاب واحد في العقائد أو في الأخلاق أو في تفسير القرآن ، نعم بذل جهده في الفقه العمليّ ، فيكون متخصّصا في الفقه العمليّ ، والعلماء السّابقون حينما كانوا يدخلون الحوزات أوّل ما يدرسونه هو القرآن الكريم ، وينتهي من القرآن فهمًا وحفظًا ، وبعد ذلك يدخل إلى الدّروس الأخرى ، والمفروض في كلّ سنة دراسيّة أن يدرس الطّالب القرآن الكريم ، ويبدأ الدّراسة بالقرآن إلى أن يفهم القرآن ، وبعد ذلك يدخل إلى التّخصّصات الأخرى .

إذن :

في القصص والأحداث التّاريخيّة التي تُرْوَى عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله لا بدّ أن نرجع إلى القرآن لتقييم القصص والتّاريخ والسّيرة .

آيات عن صفات النّبيّ صلّى الله عليه وآله :

ذكرنا بعض الآيات الكريمة الّتي تتحدّث عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، منها :

"وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ" [١] .

"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" [٢] .

"لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ" [٣] .

"فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ" [٤] .

نجعل هذه الصّفات الّتي وردت عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله بأيدينا ونذهب إلى أيّ رواية أو قصّة مرويّة عنه صلّى الله عليه وآله لنحقّق فيها ، وهذه تعتبر قواعد وأصول عنه صلّى الله عليه وآله ، فالنّبيّ صلّى الله عليه وآله على خلق عظيم .

مثلًا إذا أتينا إلى **"عَبَسَ وَتَوَلَّى أَن جَاءَهُ الأَعْمَي"** [٥] ، وقلنا بأنّها نزلت في النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فنقول إنّها خلاف خلقه صلّى الله

---

[١] القلم : ١-٤ .

[٢] الأنبياء : ١٠٧ .

[٣] التّوبة : ١٢٨ .

[٤] آل عمران : ١٥٩ .

[٥] عبس : ١-٢ .

عليه وآله ، ويستحيل أنّ القرآن يناقض بعضه بعضًا ، من جهة يقول القرآن : "**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**" ، ومن جهة أخرى نقول بأنّ "**عَبَسَ وَتَوَلَّى أَن جَاءَهُ الأَعْمَي**" نزلت في النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

القصّة الغريبة عن النّبيّ صلى الله عليه وآله :

لنأت إلى القصّة الغريبة المنقولة عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله :

عن عبد الكريم عن سعيد بن جبير قال : كان أناس أتوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقالوا : نبايعك على الإسلام ، فبايعوه ، وهم كَذَبَةٌ وليس الإسلام يريدون (الرّاوي يقول : وهم كَذَبَة وليس الإسلام يريدون) ، ثمّ قالوا : إنا نجتوي المدينة (أي لا نرغب في الإقامة في المدينة) ، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم : هذه اللّقاح (أي الإبل) تغدو عليكم وتروح ، فاشربوا من أبوالها وألبانها (سيأتي تعليق في آخر البحث على شرب بول الإبل ، ومجموعة من الرّوايات تذكر شرب بول الإبل) . قال : فبينما هم كذلك إذ جاء الصّريخ فصرخ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : قَتَلُوا الرّاعي ، واستاقوا النّعم (أي أخذوا الإبل) ، فأمر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فنودي في النّاس أن يا خيل الله اركبي . قال : فركبوا لا ينتظر فارس فارسًا . قال : وركب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على أثرهم ، فلم يزالوا يطلبونهم حتّى أدخلوهم مأمنهم ، فرجع صحابة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقد أسروا منهم ، فأتوا بهم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فأنزل الله تعالى : "**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي**

الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ" [1] ، قال : فكان نَفْيُهُمْ أَنْ نفوهم حتّى أدخلوهم مأمنهم وأرضهم ، ونفوهم من أرض المسلمين ، وَقَتَلَ نبيّ الله منهم ، وَصَلَبَ ، وَقَطَعَ ، وسَمَرَ (وفي بعض الرّوايات : سَمَلَ) الأعين ، قال : فما مثّل رسول الله قَبْلُ ولا بَعْدُ . قال : ونهى عن المثلة ، وقال : لا تمثّلوا بشيء . قال : وكان أنس يقول ذلك غير أنّه قال : أحرقهم بالنّار بعد ما قتلهم (في آخر البحث سأذكر تعليقًا عن "نظام العقوبات في الإسلام") [2] .

(**سَمَرَ أو سَمَلَ أَعْيُنَهُمْ**) أي فَقَأَهَا بالشّوك ، وقيل بحديدةٍ مُحْمَاةٍ تُدْنَى من العين حتّى يذهب ضوؤها ، وقيل كحّلهم بحديدة حارّة حتّى تذهب أبصارهم ، وإنّما فعل بهم ذلك لأنّهم فعلوا بالرّاعي كذلك ، فجازاهم على صنعهم ، وقيل : إنّ هذا كان قبل أن ينزل الحدود ، فلمّا نزلت نهى عن المثلة .

ألا تستغرب من هذه القصّة الغريبة ؟! هل يمكن أن يقوم النّبيّ صلّى الله عليه وآله بهذه الأفعال ؟!

وجاء في كتاب "جامع العلوم والحكم" لأبي الفرج الحنبليّ :

في الصّحيحين (أي البخاريّ ومسلم) من حديث أنس أنّ أناسًا

---

[1] المائدة : ٣٣ .

[2] تفسير ابن كثير ج٢ ص٥٢ .

من عُرَيْنَة قدموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة فاجتووها (أي لم يرغبوا بالإقامه فيها) ، فقال لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إن شئتم أن تخرجوا إلى إبل الصّدقة فتشربوا من ألبانها وأبوالها فافعلوا . ففعلوا فَصَحَوْا ، ثمّ مالوا على الرّعاة فقتلوهم ، وارتدّوا عن الإسلام ، واستاقوا ذود رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (هي إبل الصّدقة فتنسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله) ، فبلغ ذلك النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فبعث في أثرهم ، فَأُتِيَ بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسَمَلَ أعينهم وتركهم في الحرّة (أي تركهم في الشّمس) حتّى ماتوا . وفي رواية : ثمّ نُبِذُوا في الشّمس حتّى ماتوا . وفي رواية : وسَمَرَ أعينهم وألقوا في الحرّة يَسْتَسْقَوْنَ فلا يُسْقَوْنَ . وفي رواية التّرمذيّ : قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف . وفي رواية النّسائيّ : وحرّقهم . وقد اختلف العلماء في وجه عقوبة هؤلاء ، فمنهم من قال : من فعل مثل فعلهم فمن ارتدّ وحارب وأخذ المال صُنِعَ به كما صُنِعَ بهؤلاء ، وروي هذا عن طائفة ، منهم أبو قلابة ، وهو رواية عن أحمد ، ومنهم من قال : بل هذا يدلّ على جواز التّمثيل ممّن تغلّظت جرائمه في الجملة ، وإنّما نهي عن التّمثيل في القصاص ، وهو قول ابن عقيل من أصحابنا ، ومنهم من قال : نُسِخَ ما فعل بالعرنيّين بالنّهي عن المثلة ، ومنهم من قال : كان قبل نزول الحدود وآية المحاربة ثمّ نُسِخَ بذلك ، وهذا قول جماعة ، منهم الأوزاعيّ وأبو عبيدة ، ومنهم من قال : بل ما فعله النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بهم إنّما كان من باب المحاربة ، ولم

يُنْسَخْ شيء من ذلك ، وقالوا : إنّما قتلهم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وقطع أيديهم لأنّهم أخذوا المال ، ومن أخذ المال وَقَتَلَ قُطِعَ وَقُتِلَ وَصُلِبَ حتمًا ، فَيُقْتَل لقتله وَيُقْطَع لأخذه المال يَدُهُ وَرِجْلُهُ من خلاف وَيُصْلَب لجمعه بين الجنايتين وهما القتل وأخذ المال ، وهذا قول الحسن ورواية عن أحمد ، وإنّما سَمَلَ أعينهم لأنّهم سَمَلُوا أعين الرّعاة ، كذا أخرجه مسلم من حديث أنس ، وذكر ابن شهاب أنّهم قتلوا الرّاعي ومثّلوا به ، وذكر ابن سعد أنّهم قطعوا يده ورجله وغرسوا الشّوك في لسانه وعينيه حتّى مات ، وحينئذ فقد يكون قَطْعُهُمْ وَسَمْلُ أعينهم وتعطيشهم قصاصًا . . . كما في صحيح البخاريّ عن أبي هريرة قال : بعثنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في بعث فقال : إن وجدتم فلانًا وفلانًا – لرجلين من قريش – فأحرقوهما بالنّار ، ثمّ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين أردنا الخروج : إنّي كنت أمرتكم أن تحرقوا فلانًا وفلانًا بالنّار ، وإنّ النّار لا يُعَذِّبُ بها إلّا الله ، فإن وجدتموهما فاقتلوهما ، وفيه أيضًا عن ابن عباس أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم : قال لا تُعَذِّبُوا بعذاب الله عز وجل [1] .

وردت هذه القصّة في كتب التّواريخ والحديث والتّفسير والفقه وأرسلوها إرسال المسلَّمات ، في أربعة وعشرين مصدرًا على الأقلّ ، منها : مسند أحمد ج٣ ص١٦٣ ، صحيح البخاريّ ج٤ ص١٧٤ ، سنن أبي داود ج٤ ص١٣١ ، سنن ابن ماجة ج٢ ص٨٢١ ، مسند

---

[1] جامع العلوم والحكم لأبي الفرج الحنبليّ ج ١ ص ١٥٤ .

الطيالسيّ ص٢٦٨ ح٢٠٠٢ ، المعجم الكبير للطّبرانيّ ج٢ ص٣٥٨ ح٢٥٠٩ ، مصنّف عبدالرّزّاق ج٩ ص٢٥٨ ح١٧١٣٢ ، كنز العمّال للمتّقي الهنديّ ج٢ ص٤٠٣ ، الكامل في التّاريخ لابن الأثير ج٢ ص٢١٠ ، التّاريخ والمغازي للواقديّ ج٢ ص٥٦٨ ، التّنبيه والأشراف للمسعوديّ ص٢٢٠ ، الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزيّ ج٢ ص٧١٣ ، طبقات ابن سعد ج٤ ص٣٤٦ ، تاريخ الطّبريّ ج٣ ص١٥٥٨ ، روضة الصّفا لمير خواند ج٢ ص٣٠٩ ، تاريخ ابن كثير ج٤ ص١٨٠ ، تفسير الرّازيّ ج٤ ص١٨٨ ، روح البيان لإسماعيل حقّي البروسوي ج٥ ص١٠٠ ، تفسير روح المعاني للآلوسيّ ج١٤ ص٢٥٧ ، تفسير الخازن ج٢ ص٣٦ ، تفسير المنار لرشيد رضا ج٦ ص٣٥٢ ، نيل الأوطار للشّوكاني ج٧ ص١٥٧ .

نجد الاختلاف في نفس الرّوايات ، والاختلاف في أقوال العلماء ، والبعض يقول : "قد يكون" ، أي هو احتمال ، ولكن مع ذلك يجعلونه فتوى .

تراث الإسلام وتراث المسلمين :

إنّ الكتب تمثّل تراث المسلمين ، سواء من مدرسة أهل البيت عليهم السّلام أو من المدارس الأخرى من أهل السّنّة أو الزّيديّة أو الإسماعيليّة أو الإباضيّة أو غيرهم من المدارس والمذاهب ، كلّها تمثّل تراث المسلمين ، ولا أقول تراث الإسلام ، فتراث الإسلام يتمثّل بشيئين فقط : القرآن الكريم ، والسّنّة الواقعيّة للمعصومين : النّبيّ

صلّى الله عليه وآله وعترته الطّاهرة ، هذا هو التّراث الإسلاميّ ، وأمّا ما كتب المسلمون من كتب التّفاسير والرّوايات وغيرها هي تراث المسلمين ، مثلًا الجامع للرّوايات حينما يكتب كتابًا يجمع فيه الرّوايات هذا رأيه ووجهة نظره في أنّ هذه الرّواية صحيحة ، وقد يأتي عالم آخر يختلف معه ويقول بأنّ هذه الرّواية غير صحيحة ، فكلّ ما كتبه المسلمون عبارة عن تراث المسلمين ، جميع الكتب من جميع المدارس والمذاهب .

أسئلة على القصّة :

نسأل الأسئلة التّالية :

عندما تسمع هذه القصّة ما هو ردّ فعلك ؟

هل تقبل أنّ نبيّ الرّحمة ونبيّ الإنسانيّة يفعل كلّ هذا من صَلْبٍ وقَطْعٍ للأيدي والأرجل وسَمْلٍ للأعين ؟

وإذا قدّمنا هذه القصّة لغير المسلمين هل من الممكن أن يؤمنوا بشخص هذه أفعاله ؟

ماذا يعلّق غير المسلمين بل حتّى المسلمون على هذه القصّة ؟

هل يمكن أن يدخل النّاس إلى الإسلام إذا سمعوا بهذه القصّة ؟

ألا تؤدّي هذه القصّة إلى خروج بعض المسلمين من الإسلام ؟

ألا تؤدّي هذه القصّة إلى تشويه صورة الإسلام وصورة النّبيّ صلّى الله عليه وآله في العالم ؟

هل هذه القصّة تتناسب مع صفات النّبيّ صلّى الله عليه وآله

المذكورة في القرآن الكريم وقد قرأنا بعض الآيات ؟

هل تتناسب هذه القصّة مع عالميّة الإسلام وعالميّة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ؟

ألا تثبت هذه القصّة أنّ الإسلام دين الوحشيّة والسّيف والقتل لا دين العقل والسّلام ؟

ألا تكون أعمال الإرهابيّين من قطع الرّؤوس والتّمثيل بالجثث وحرقها مُبَرَّرَة بأنّهم اتّبعوا سنّة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ؟

إنّ قصّة مثل هذه بمجرّد ما تسمعها تنفر منها ، حتّى المسلم المتديّن يتساءل : هل من المعقول أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله يفعل كلّ هذه الأفعال ؟

والتّحقيق في هذه القصّة مع التّعليقات عليها تأتي في المحاضرة القادمة إن شاء الله تعالى ، وسيأتي تعليق على نظام العقوبات في الإسلام ، ونبيّن الرأي بناءً على دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، والرأي بناءً على عدم دخالتهما في الأحكام .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٣٦)

التّحقيق في القصّة الغريبة [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

طرحنا في الأسبوع الماضي قصّة مرويّة عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وخلاصة هذه القصّة أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله سَمَلَ أعين الّذين قتلوا الرّاعي ، وفي بعض الروايات ألقاهم في الشّمس يَسْتَقُونَ فلا يُسْقَوْنَ ، وفي بعض الرّوايات قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وفي بعض الرّوايات أحرقهم في النّار ، وهذه القصّة بمختلف الصّيغ الّتي وردت بها نريد أن نحقّق فيها .

وهذه القصّة والتّحقيق فيها استفدت من كتاب "النّفي والتّغريب" للشّيخ نجم الدّين الطّبسيّ ، ذكر القصّة مع التّحقيق ، وأضفت عليه بعض التّعليقات .

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ١١ جمادى الأولى ١٤٤٠ هـ ، الموافق ٢٠١٩/١/١٨ م .

قبل الدّخول في الموضوع أذكر مقدّمة هامّة .

مقدّمة هامّة : القوالب الفكريّة :

يوجد في ذهن كلّ إنسان قوالب فكريّة ثابتة ، ولا يمكنه تقبّل غيرها حتّى لو كان الرّأي الآخر مع الدّليل ، وهذا القالب موجود في الذّهن ثابت لا يمكن قبول أيّ فكرة أخرى حتّى لو كان الدّليل مع الفكرة الأخرى .

وكثير من المسائل الدّنيويّة أو الدّينيّة عبارة عن قوالب فكريّة في الأذهان ، وبعض هذه القوالب ليس لها أدلّة ، وإنّما ورثناها من السّابقين أو أنشأناها بأنفسنا ، السّابقون كانوا آباءً أو أجدادًا أو علماء ، وكلّ شخص قد ينشئ بنفسه في ذهنه بعض القوالب الفكريّة .

ولو سمعنا رأيًا جديدًا مع الدَّليل فإنّنا مباشرةً نرفض هذا الرّأي الجديد لمجرّد أنه لا يتوافق مع القالب الفكري الموجود في أذهاننا ، لذلك فإنّ هذه القوالب الفكريّة تحتاج إلى مراجعة قالبًا بعد قالب ، وعلى كلّ شخص أن يقوم بمراجعة هذه القوالب لكي يرى أنّ هذا القالب يوجد دليل يثبته أو لا يوجد ، ولا يأخذ بهذا القالب إلّا مع الدليل ، وإذا جاءنا رأي جديد لا يتوافق مع القوالب الفكريّة الموجودة في أذهاننا فأوّل شيء نفعله هو أن نسأل : ما هو دليلك على هذا الرّأي الجديد ؟

نحن جميعًا نعرف أنّ الآراء تتغيّر عند جميع النّاس حتّى عند

الشّخص الواحد ، فتراه يتبنّى رأيًا معيّنًا ، وبعد مدّة من الزّمن يغيّر رأيه ، وأنت راجع نفسك وسترى أنّ بعض الآراء عندك تتغيّر مع الوقت ، فبعض الآراء كانت عندك قبل عشر سنوات والآن تغيّرت إلى آراء أخرى قد تكون مخالفةً لها ، وتغيير الرّأي قد يكون مع الدّليل وقد يكون بلا دليل .

وحتّى الفقيه يتبنّى رأيًا معيّنًا لوجود دليل ، وبعد فترة يتبنّى رأيًا آخر لوجود دليل آخر ، فطبيعة الإنسان أنّه يغيّر آراءه باستمرار .

وانظر إلى نفسك ترى أنّ كثيرًا من أفكارك وآرائك تتغيّر من فترة إلى أخرى من بداية حياتك إلى الآن ، وتغيّر الرّأي علامة صحّيّة ، فالّذي يغيّر رأيه معناه أنّه يفكّر ، والّذي يبقى على آرائه لمدّة طويلة يدلّ على أنّه لا يفكّر .

فإذا رأيت شخصًا يحمل نفس الأفكار والآراء مدّة ثلاثين فاعلم أنّه لا يفكّر ، ولا يعيد تفكيره في أفكاره ، ومع استمرار التّفكير يستمرّ تبدّل الآراء عند الشخص ، فمن يفكّر يغيّر آراءه .

حتّى في الرسائل العمليّة لو وجدت رسالةً عمليّة عمرها خمسون سنة ولم تتغيّر أيّ مسألة فيها فمعنى ذلك أنّ هذا الفقيه لم يُعِدِ التّفكير في هذه المسائل ، فتوقّف على هذه المسائل ولم يغيّر آراءه ، ولو كان يعيد التّفكير لغيّر بعض آرائه ؛ لأنّ الفقيه يبحث دائمًا عن الأدلّة ، ودور الفقيه هو أن يبحث عن الدّليل على أيّ رأي من الآراء ، فإذا كان يبحث فإنّه حتمًا سيجد بعض الأدلّة الجديدة .

إذن من طبيعة الإنسان أنّه دائمًا يغيّر آراءه وأفكاره وقوالبه الفكريّة ، مع دليل أو بلا دليل .

فإذا طرح شخص رأيًا جديدًا فأوّل سؤال تسأله : ما هو دليلك على هذا الرّأي الجديد ؟

سؤال : لماذا ذكرت هذه المقدّمة الهامّة ؟

الجواب :

لأنّ بعض المستمعين قالوا بأنّك تطرح بعض الآراء والعلماء لم يتعرّضوا لمثلها ، فقلت لهم اسألوا : ما هو الدّليل ؟

من خلال بحوثنا في كلّ ما نطرح ضمن المواضيع والمحاضرات نأتي إلى الأدلّة القرآنيّة أوّلًا ، ونبيّن بأنّ هذا الدّليل القرآنيّ يدلّ على هذا الرّأي ، فمن يريد أن يناقش يأتي إلى الدّليل ويبيّن بأنّ هذه الآية القرآنيّة لا تدلّ على هذا الرّأي بل تدلّ على رأي آخر وفكرة أخرى .

حتّى العنوان الرّئيس للمحاضرات وصلني نقد عليه ، فسأل : لماذا تقول "عالميّة الإسلام" ؟

الأخ الّذي بلّغني أنّ هناك اعتراضًا على العنوان الرّئيس قلت له أرجو من هذا المعترِض أن يعطيني عنوانًا آخر غير عنوان "عالميّة الإسلام" .

طرحنا هذا العنوان لأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله مُرْسَلٌ للعالمين ، والإسلام دين عالميّ ، فبدل أن أقول : الإسلام دين عالميّ ، قلت :

عالميّة الإسلام ، وأرجو ممّن يعترض أن يعطيني العنوان البديل والعنوان المناسب الّذي أجعله عنوانًا لهذه المحاضرات .

رجوع إلى الموضوع :

إنّ كتابة التّاريخ والسّيرة والرّوايات بدأت في القرن الثّاني من الهجرة ، يعني بعد المائة الأولى دخلنا في القرن الثّاني ، فمن الطّبيعيّ وقوع الكثير من التّحريف في الرّوايات والأحداث التّاريخية ، والعلماء يقومون بالتحقيق فيما وصلنا لكشف التّحريف الموجود فيها ، مثلًا يقولون إنّ هذه الرّواية مرويّة عن مجهول أو عن ضعيف أو عن ثقة ، وجهود العلماء مستمرّة في تحقيق الرّوايات والأحداث التّاريخيّة .

والتّحريف وقع من المغرضين أو من المنافقين الّذين يريدون أن يشوّهوا الإسلام ، وتصوّر أنّ أحداث اليوم نريد أن نكتب تاريخًا عنها بعد مائة سنة ، فمن المتوقَّع أنّ الأحداث لا تُنْقَلُ كما هي تمامًا ، وخاصّة أنّ الجيل الأوّل قد انتهى ، ونأتي إلى جيل التّابعين وتابعي التّابعين ، فمن عاصر الأحداث يكون قد تُوفِّيَ ، فيأتي الجيل الثّاني والأجيال اللّاحقة ، وطبعا كانوا في وضعٍ لا يوجد تسجيل ولا كتب ولا وسائل تواصل ، يعني أحداث تقع ثمّ تُنْقَلُ بعد مائة سنة أو مائتي سنة ، فمن المتوقَّع أنّ هذا الرّاوي لا ينقل الحدث كما وقع تمامًا ، بالإضافة إلى التّحريف الّذي سيقع ، فكلّ من يكتب يرى مصلحته ، إذا كان يكتب للحاكم فيرى مصلحة الحاكم ، وإذا كان من مذهب معيّن فيكتب التّاريخ بناءً على مذهبه ومعتقده ، وهو يحاول أن ينصر

مذهبه واعتقاداته ، وبحسب طبيعة نفسيّات الّذين يكتبون ، ومن الطّبيعيّ دائمًا أنّ الإنسان ينصر دينه وينصر مذهبه ، فنتوقّع أن البعض يُحرّف الأحداث لكي ينصر دينه ومذهبه وقوميّته وطائفته .

التّحقيق في القصّة الغريبة :

أصل القصّة الغريبة ممّا تضافرت به النّصوص ، فتوجد نصوص كثيرة رووا هذه القصّة ، فأصل القصّة موجود ، ولكن سمل الأعين أو تسميرها وقطع الألسن ومنعهم من الماء وإلقاؤهم في الحرّ أو حرقهم ، فكلّها من المجعولات الّتي قُصِدَ بها الحطّ من الإسلام وتشويه شخصيّة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فأصل القصّة موجود ، ولكن أدخلوا فيها بعض التّحريفات لأجل تشويه الإسلام وتشويه صورة النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

ولا بدّ أن ننتبه إلى أن الوضّاع حينما يضع روايةً أو قصّةً فإنّه يضعها بطريقة فنّيّة بحيث لا يكتشف وضعه ، فيأتي بسند صحيح لروايته أو قصّته ، ولا يأتي بسند عن ضعفاء أو مجاهيل ، وإنّما يختار سندًا قويًّا ، وبناءً على هذا السّند يضع الرّواية أو القصّة ، فأصل الرّواية أو القصّة يكون موجودًا ، ولكنّه يضيف إليها ، وعادةً ما يكون الوضّاعون من العلماء ، ولا يكونون من الجهّال ؛ لأنّ العالم يعرف أنّ هذا السّند قويّ ، والحكّام حينما يريدون أن يضعوا الرّوايات أو القصص يأتون بالعلماء ، مجموعة من وعّاظ السّلاطين أو أتباع السّلاطين يكونون من العلماء ويضعون الرّوايات والقصص ،

والعالم يعرف أنّ هذا السّند يعتمد عليه العلماء ، ويعرف أنّ أصل الرّواية أو القصّة موجود ، فيضيف عليها ، ويضع بعض فقرات الرّواية أو القصّة ، كما في القصّة الغريبة الّتي ذكرناها ، فَيُدْخِلُ وضعه ضمن رواية أو قصّة وردت في كتب الأحاديث والتّاريخ ، لذلك يقسّم المحقّقون الرّواية أو القصّة إلى فقرات ، ويدرسون كلّ فقرة دراسةً مستقلّةً على حدة ليروا أنّ هذه الفقرة تتناسب مع القواعد العامّة للدّين أو لا تتناسب ، ومن الممكن أن يقولوا بصحّة فقرة وبطلان فقرة أخرى وإن كانت الفقرتان في رواية واحدة أو قصّة واحدة ، ولا يقولون بصحّة جميع الفقرات أو بطلان جميعها ، سواء كانت الرّواية أو القصّة بسند صحيح أم بسند ضعيف ، والفقرة الّتي تَثْبُتُ صحّتها يأخذون بها ، والفقرة الّتي يَثْبُتُ بطلانها يتركونها .

إذن :

إنّ الوضّاعين قاموا بعمل خطير جدًّا في كتب الرّوايات والسّيرة التّاريخ ، والعلماء في جميع المذاهب والمدارس يحقّقون في الرّوايات والقصص ، لذلك توجد كتب بعنوان "سلسلة الأحاديث الصحيحة" ، أو "سلسلة الأحاديث الضّعيفة" ، أو يقولون إنّ هذه الرّواية وردت عن مجهول أو عن ضعيف أو عن ثقة ، وهكذا العلماء في تحقيق دائم ، وفي كلّ مذهب ومدرسة حينما يحقّقون في الرّوايات يحاولون أن ينصروا مذهبهم ومدرستهم ، لذلك تجد أنّ روايةً صحيحةً عند مذهب تكون ضعيفة عند مذهب آخر ، بناءً على القواعد

الموجودة في مذهبهم ومدرستهم .

الرّوايات المعارِضة :

نأتي الآن إلى ذكر الرّوايات المعارضة لهذه القصّة الغريبة ، والعلماء في أيّ بحث إذا توجد رواية أو قصّة يبحثون عن الرّوايات المعارِضة ؛ لكي يقيّموا الرّوايتين أو القصّتين ، والنّصوص الواردة من طريق أهل البيت عليهم السّلام وبعض طرق أهل السّنّة خالية عن هذه المجعولات – كسمل الأعين وقطع الألسن والمنع من الماء والحرق – الّتي ذُكِرَتْ في القصّة السّابقة .

نأتي إلى الرّوايات المعارِضة :

الرّواية الأولى :

ورد عن عليّ بن الحسين أنّه قال : لا واللهِ ما سَمَل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عينًا ، ولا زاد أهل اللّقاح على قطع أيديهم وأرجلهم [1] .

ورواه الشّافعيّ أيضًا في مسنده : أخبرنا إبراهيم بن أبي يحيى ، عن جعفر ، عن أبيه ، عن عليّ بن الحسين قال : لا واللهِ ما سَمَلَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عينًا ، ولا زاد أهل اللّقاح على قطع أيديهم وأرجلهم [2] .

---

[1] كتاب الأمّ للشّافعيّ ج٤ ص٢٥٩ .

[2] مسند الشّافعيّ ص ٣١٥ .

تعليق :

قطع الأيدي والأرجل باعتبار أنّهم من المحاربين ، وقطع اليد في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام أي أصابع اليد الأربعة من أصولها ويبقى الكفّ والإبهام ، وقطع الرّجل يكون من صدر القدم من المفصل أو من وسط القدم ويترك له العقب لكي يستطيع المشي ، ولا يعقل قطع كلّ اليد من الكتف ، وكلّ الرجل من الحوض ، وفي بعض المذاهب قطع اليد يكون من الرّسغ أي كلّ الكف مع الأصابع .

وسيأتي تعليق على "قانون العقوبات في الإسلام" ، هل العقوبات ثابتة أو متغيّرة بناءً على النّظريّتين : نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ونظرية عدم دخالتهما في الأحكام ؟

الرّواية الثّانية :

عن أبي عبدالله عليه السّلام قال : قَدِمَ على رسول الله صلّى الله عليه وآله قوم من بني ضَبَّة مرضى ، فقال لهم رسول الله صلّى الله عليه وآله : أقيموا عندي ، فإذا برئتم بعثتكم في سريّة . فقالوا : أخرجنا من المدينة ، فبعث بهم إلى إبل الصّدقة يشربون من أبوالها ويأكلون من ألبانها ، فلما برئوا واشتدّوا قتلوا ثلاثة ممّن كان في الإبل ، فبلغ رسول الله صلّى الله عليه وآله فبعث إليهم عَلِيًّا ، وإذا هم في وادٍ تحيّروا ليس يقدرون أن يخرجوا منه ، قريبًا من أرض اليمن ، فأسرهم ، وجاء بهم إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فنزلت هذه الآية : "**إِنَّما جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ** . . ." ، فاختار رسول الله صلّى الله

عليه وآله القطع ، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف [1] .

وقد ورد عن أبي جعفر عليه السّلام أنّ (فلانًا) كذب على النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

ولعله إشارة إلى هذه القصّة ، أو أنّها كذبة أخرى منه .

وعن أبي جعفر عليه السّلام أنّ أوّل من استحلّ الأمراء العذاب لكذبة كذبها (فلان) على رسول الله صلّى الله عليه وآله سَمَّرَ يد رجل إلى الحائط ، ومن ثمّ استحلّ الأمراء العذاب .

تعليق :

في الرّواية يوجد أيضًا شرب أبوال الإبل ، والتّعليق عليه يأتي في آخر البحث .

الرّواية الثّالثة :

عن ابن بلال : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم . . . لم يسمل عينًا قطّ ، ولم يَزِدْ على قطع اليد والرّجل [2] .

الرّواية الرابعة :

عن السّدّيّ في قوله تعالى : "**إِنَّما جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ** . . ." ، بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأتي بهم ، فأراد أن يسمل أعينهم فنهاه الله عن ذلك ، وأمره أن يقيم فيهم الحدّ [3] .

---

[1] الكافي ج٧ ص٢٤٥ ح١ .

[2] سنن أبي داود ج٤ ص١٣١ .

[3] الدّرّ المنثور ج٢ ص٢٧٨ .

إذن :

هذه روايات معارضة للقصّة السّابقة .

آراء فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السّلام في المحارب :

الشّيخ الصّدوق رضوان الله عليه :

والمحارب يُقْتَلُ أو يُصْلَبُ أو يُقْطَعُ يده ورجله من خلاف أو يُنْفَى من الأرض كما قال الله عز وجل ، وذلك مُفَوَّضٌ إلى الإمام ، إن شاء صَلَبَ ، وإن شاء قَطَعَ يده ورجله من خلاف ، وإن شاء نفاه من الأرض [1] .

تعليق :

قال الشّيخ الصّدوق رضوان الله عليه : "وذلك مُفَوَّضٌ إلى الإمام" وهو الحاكم الشّرعيّ ، أي بيد من تكون عنده سلطة الحكومة ، وستأتي رواية عن الإمام الصّادق عليه السّلام مذكور فيها مثل هذه العبارة ، والشّيخ الصّدوق رضوان الله عليه أخذها من الرّواية .

وسيأتي تعليق على ذلك في آخر البحث في ذكر الفرق بين الأحكام الدّينية على أنّها أحكام شرعيّة ، أو أحكام ولائيّة باعتبار أنّ الإمام حاكم سياسيّ ، فالأحكام الدّينيّة ليست على نوع واحد ، بل توجد أنواع مختلفة من الأحكام ، ودور الفقيه هو أن يميّز بين هذه الأحكام حينما يستنبط حكمًا ، فهل هو حكم شرعيّ أو حكم سياسيّ أو حكم قضائيّ ؟

---

[1] الهداية ص٧٧ .

والفقيه لا بدّ أن يدرس الآية والرّواية ليبيّن الحكم المذكور فيها أنّها من أيّ نوع من أنواع الأحكام ، وقول الشّيخ الصّدوق رضوان الله عليه : "وذلك مُفَوَّضٌ إلى الإمام" – مهمّ جدًّا ، ويفيدنا كثيرًا حينما نبحث في أنواع الأحكام الدّينية ، فإذا كان مُفَوَّضًا إلى الإمام أو الحاكم الشّرعيّ فيكون من الأحكام الولائيّة الحكوميّة لا من الأحكام الشّرعيّة .

الشّيخ المفيد رضوان الله عليه :

وأهل الدّغارة (أي قطّاع الطّريق) إذا جرّدوا السّلاح في دار الإسلام (سيأتي تعليق على دار الإسلام في آخر البحث) وأخذوا الأموال كان الإمام مُخَيَّرًا فيهم ، إن شاء قتلهم بالسّيف ، وإن شاء صلبهم حتّى يموتوا ، وإن شاء قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وإن شاء نفاهم عن المصر إلى غيره ، ووكل بهم من ينفيهم عنه إلى ما سواه حتّى لا يستقرّ بهم مكان إلّا وهم منفيّون عنه مبعدون إلى أن تظهر منهم التّوبة والصّلاح ، فإن قتلوا النّفوس مع إشهارهم السّلاح وجب قتلهم على كلّ حال بالسّيف أو الصّلب حتّى يموتوا ، ولم يتركوا على وجه الأرض أحياء [1] .

تعليق :

قال الشّيخ المفيد رضوان الله عليه : "كان الإمام مُخَيَّرًا فيهم" ، وهو الحاكم الشّرعيّ ، فيكون الحكم حكمًا ولائيًّا .

---

[1] المقنعة ص٨٠٤-٨٠٥ .

الشّيخ الطّوسيّ رضوان الله عليه :

المحارب . . . ويجب عليه إن قَتَلَ ولم يأخذ المال أن يُقْتَلَ على كلّ حال ، وليس لأولياء المقتول العفو عنه ، فإن عفوا عنه وجب على الإمام قتله لأنّه محارب ، وإن قتل وأخذ المال وجب عليه أوّلًا أن يردّ المال ، ثمّ يقطع بالسّرقة ، ثمّ يُقْتَلُ بعد ذلك وَيُصْلَبُ ، وإن أخذ المال ولم يقتل ولم يجرح قُطِعَ ثمّ نُفِيَ عن البلد ، وإن جرح ولم يأخذ المال ولم يقتل وجب عليه أن يُقْتَصَّ منه ثمّ يُنْفَى بعد ذلك من البلد الّذي فعل ذلك فيه إلى غيره ، وكذلك إن لم يجرح ولم يأخذ المال وجب عليه أن يُنْفَى من البلد الّذي فعل فيه ذلك الفعل إلى غيره [1] .

الشّيخ الطّوسيّ رضوان الله عليه :

وهو ما ذكرناه من إشهار السّيف وإخافة السّبيل ، وجزاؤهم على قدر الاستحقاق ، إن قَتَلَ قُتِلَ ، وإن أَخَذَ المالَ وقَتَلَ قُتِلَ وَصُلِبَ ، وإن أَخَذَ المالَ ولم يَقْتُلْ قُطِعَتْ يَدُهُ وَرِجْلُهُ من خلاف ، وإن أخاف السّبيل فقط فإنّما عليه النّفي لا غير ، هذا مذهبنا (أي مذهب أهل البيت عليهم السّلام) ، وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السّلام وأبي عبدالله عليه السلّام . . . [2] .

---

[1] النّهاية ص٧٢٠ .

[2] التّبيان ج٣ ص٥٠٤-٥٠٥ .

العلّامة السّيّد الطّباطبائيّ رضوان الله عليه :

في البحث الروائيّ ذكر رواية الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام ثم قال : أقول (هذا قول العلّامة الطّباطبائيّ) : ورواه في **التّهذيب** بإسناده عن أبي صالح عنه عليه السّلام باختلاف يسير ، ورواه **العيّاشيّ** في تفسيره عنه عليه السّلام ، وزاد في آخره : فاختار رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، والقصّة مرويّة في جوامع أهل السّنّة ، ومنها الصّحاح السّتّة بطرق على اختلاف في خصوصيّاتها ، ومنها ما وقع في بعضها : أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله بعد أن ظفر بهم قَطَعَ أيديهم وأرجلهم من خلاف وَسَمَلَ أعينهم ، وفى بعضها : فَقَتَلَ النّبيّ صلّى الله عليه وآله منهم وَصَلَبَ وَقَطَعَ وَسَمَلَ الأعين ، وفي بعضها : أنّه سَمَلَ أعينهم لأنّهم سَمَلُوا أعين الرعاة ، وفي بعضها : أنّ الله نهاه عن سَمْلِ الأعين ، وأنّ الآية نزلت مُعَاتِبَةً لرسول الله صلّى الله عليه وآله في أمر هذه المثلة ، وفي بعضها : أنّه أراد أن يسمل أعينهم ولم يسمل ، إلى غير ذلك . . . [1] .

العلّامة السّيّد الطّباطبائيّ رضوان الله عليه :

ما وقع في بعض روايات الخاصّة من كون الإمام بالخيار ، كالّذي رواه في الكافي مُسْنَدًا عن جميل بن درّاج عن الصّادق عليه السلام في الآية قال : فقلت : أيّ شيء عليهم من هذه الحدود الّتي سَمَّى الله

---

[1] تفسير الميزان ج٥ ص٣٣٠ .

عزّ وجلّ ؟ قال : ذلك إلى الإمام إن شاء قَطَعَ ، وإن شاء نَفَى ، وإن شاء صَلَبَ ، وإن شاء قَتَلَ . قلت : النَّفي إلى أين ؟ قال عليه السّلام : يُنْفَى من مصر إلى آخر . وقال : إنَّ عَلِيًّا عليه السّلام نَفَى رجلين من الكوفة إلى البصرة .

ثم قال العلّامة السّيّد الطّباطبائيّ رضوان الله عليه : وتمام الكلام في الفقه غير أنّ الآية لا تخلو عن إشعار بالتّرتيب بين الحدود بحسب اختلاف مراتب الفساد ، فإنّ التّرديد بين القتل والصّلب والقطع والنّفي ، وهى أمور غير متعادلة ولا متوازنة بل مختلفة من حيث الشّدّة والضّعف – قرينة عقليّة على ذلك [1] .

تعليق :

في الرّواية قول الإمام الصّادق عليه السّلام : "ذَلِكَ إِلَى الإِمَامِ" ، ومرّ سابقا في أقوال الفقهاء : "مُفَوَّضٌ إِلَى الإِمَامِ" ، و"كَانَ الإِمَامُ مُخَيَّرًا" ، ويوجد ترتيب في الحدود لأنّ القتل غير الصّلب وغير القطع وغير النّفي حيث توجد شدّة وضعف في العقوبة .

إذن :

هذه قصّة من القصص المرويّة عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وهي موجودة في كتب التّاريخ ، وكلّ رواية وقصّة تحتاج إلى تحقيق ، ولا نقبل القصص على علّاتها ؛ لأنّ كتب الرّوايات والتّاريخ كُتِبَتْ في القرن الثّاني من هجرة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وكان الوضّاعون

---

[1] تفسير الميزان ج٥ ص٣٣٢ .

كثيرين حتّى في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله حيث قال صلّى الله عليه وآله في حجّة الوداع :

"قد كثرت عَلَيَّ الكَذَّابَةُ (الكِذَابَةُ) ، وستكثر ، فمن كذب عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فليتبوّأ مقعده من النّار ، فإذا أتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله وسنّتي ، فما وافق كتاب الله وسنّتي فخذوا به ، وما خالف كتاب الله وسنّتي فلا تأخذوا به" [1] .

وحتّى في زماننا الحاليّ يوجد وضّاعون ، فبعض المتحدّثين وبعض الخطباء يذكرون بعض القصص والرّوايات بلا أي مصدر ، فهو يؤلّف قصّة أو رواية ثمّ ينسبها إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله أو أحد الأئمّة عليهم السّلام .

تعليقات :

التّعليق الأوّل : نظام العقوبات في الإسلام :

أتركه إلى الأسبوع القادم ؛ لأنّ الكلام فيه كثير .

التّعليق الثّاني : دار الإسلام ودار الكفر :

كان يوجد تقسيم للعالم إلى دار الإسلام ودار الكفر حينما كان المسلمون يتمركزون في مكان واحد في البلدان المسلمة الحاليّة ، فيقولون هذه البقعة دار الإسلام ، وخارج هذه البقعة يطلقون عليه دار الكفر ، وغير المسلمين يعيشون في البلدان الأخرى بناءً على تعريف الكافر بأنّه غير المسلم مطلقا سواء كان جاحدًا أم لم يكن

---

[1] بحار الأنوار ج٢ ص٢٢٥ ح٢ .

جاحدًا ، كان عالِمًا بالإسلام أم غير عالِم به ، كان سامعًا بالإسلام الحقيقيّ أم سامعًا بالإسلام المشوَّه ، فيوجد دار الكفر ، والآن هذا التّقسيم لا يمكن القول به ؛ لأنّ المسلمين في زماننا يعيشون في جميع بقاع العالم ، فلا يمكن تقسيم العالم إلى دار الإسلام ودار الكفر ، وفي إحدى الدّول الأوروبيّة يوجد خمسة ملايين مسلم ، والآن المسلمون منتشرون في كل مكان في العالم ، فلا يمكن القول بأنّ دار الإسلام هي بلداننا ، ودار الكفر هناك ؛ لأنّ المسلمين موجودون بكثرة في تلك الدّول .

التّعليق الثّالث : هل بول الإبل صالح لعلاج الأمراض؟

قام الجدل على أنّ بول الإبل هل يصلح علاجًا لبعض الأمراض أو لا يصلح ؟

لو راجعنا الكتب الفقهيّة لعلماء مدرسة أهل البيت عليه السلام نرى في بعضها أنّ بول الإبل الأصل فيه أنّه لا يجوز شربه ، ولكن يؤخذ للاستشفاء ؛ لأنّ الأبوال بشكل عامّ حتّى من الحيوانات الّتي يجوز أكل لحومها تعتبر من الأمور الّتي تستقذر عند النّاس ، لذلك يطلق عليها الخبائث ، فتكون محرّمة باستثناء بول الإبل للاستشفاء لا مطلقًا ، وبعض العلماء يقولون بجواز شربه مطلقًا لا لطلب الشّفاء فقط .

إنّ الأمور الطّبّيّة تُذْكُرُ في الرّوايات سواء عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله أم الأئمّة عليهم السّلام ، وللوصول إلى إثبات تلك الأمور الطّبّيّة

أو نفيها أدعو بعض الأطبّاء المسلمين وبالتّعاون مع بعض الأطبّاء غير المسلمين إلى فحص بول الإبل وإجراء التّجارب عليه للوصول إلى نتيجة بخصوص هذا الموضوع ، والرّوايات هي روايات ظنّيّة ، تأتي رواية أو روايتان أو أكثر ، وبعض الرّوايات بلا سند ، فتتكوّن لجنة من الأطبّاء المسلمين وغير المسلمين بحيث تكون عندهم اتّصالات مع مختبرات عالميّة مُعْتَرَفٍ بها دَوْلِيًّا ، فيجرون التّجارب على ما ورد في الرّوايات من أنّ هذا العلاج لهذا المرض ، وذاك العلاج لذاك المرض ، مثلًا يقال بأنّ بول الإبل علاج لمرض الاستسقاء [1] ، فمجموعة من الأطبّاء يقومون بتحليل بول الإبل ، وفي زماننا عمليّة التّحليل سهلة ؛ ليروا ما هي المواد الموجودة في بول الإبل من خلال التّركيب الكيميائيّ له ، وهذا التّحليل يجري في جميع ما رُوِيَ عن علاج الأعشاب والأدوية الشّعبيّة للوصول إلى إثبات ما ينفع وما يضر من هذه الأعشاب ، فالطّبّ الشّعبيّ يستعمل كثيرًا من الأعشاب ، والمدّعون كثيرون ، لذلك ليكن لنا إنتاج عالميّ في هذا المجال ، ويوجد متخصّصون في بعض البلدان كالصّين والهند وإيران يستعملون الأعشاب في علاج الأمراض ، وقد تكون هناك بعض المستشفيات المتخصّصة بعلاج الأمراض بالأعشاب ، فأدعو الأطبّاء المتخصّصين

---

[1] مرض الاستسقاء هو تورّم عضو أو نسيج نتيجة تجمّع أو احتباس السّوائل داخل الأنسجة أسفل الجلد أو في أحد تجاويف الجسم .

المصدر : موقع الإنترنت ar.m.wikipedia.org .

في هذا العلم إلى إجراء التّجارب على بول الإبل والأعشاب ونشر أبحاثهم ؛ لكي نُثْبِتَ أنّ ما ورد من روايات عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله أو الأئمة عليهم السّلام في علاج الأمراض بواسطة الأعشاب صحيحة ، وتوجد رواياتٌ كثيرةٌ مُرْسَلَةٌ بدون سند نحتاج إلى إثبات صحّتها أو عدم صحّتها ، وهؤلاء الأطبّاء يصدرون شهادات عالميّة بأنّ ما ورد في الرّوايات تنفع لعلاج هذه الأمراض ، وهكذا تثبت صحّة هذه الرّوايات في علاج الأمراض ، فهذا الدّواء يصلح لهذا المرض ، مثلًا بول الإبل ينفع لهذه الأمراض المعيّنة ، والبعض يطرحه من باب الإعجاز الطّبيّ ، ولكن هذا يحتاج إلى إثبات ، مثلما إذا قلنا بالإعجاز العلميّ في القرآن ، فلا بدّ أن يثبت ذلك لكي يقال إنّه إعجاز علميّ .

والبحث في الأدوية وعلاج الأمراض من اختصاص الأطبّاء ، وكلّ صاحب علم يعمل ويعطي رأيًا في مجال تخصّصه ، ويترك ما يخصّ التّخصّصات الأخرى لأصحابها ، فعالم الفلك هو صاحب التّخصّص في الآيات القرآنيّة الّتي تتحدّث عن الفلك ، فيعطي رأيه في تفسير هذه الآية ، وليس من الصّحيح أنّ عالم الدّين يعطي رأيًا في علم الفلك إذا لم يكن متخصّصًا في هذا العلم ، أو في الأمور الطبيعيّة أو في التّخصصّات الأخرى ، فكما أنّ عالم الدّين لا يقبل من الآخرين التّدخّل في تخصّصه ، كذلك على عالم الدّين أن لا يتدخّل في تخصّصات الآخرين ، فإذا أردنا تفسير آية تتحدّث عن الفلك أو

الكون فعالم الفلك أو عالم الكون هو الّذي يفيدنا بأنّ الأرض كرويّة أو مسطّحة ، أو مثلًا قوله تعالى : **"وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ"** [1] ، يأتي عالم الدّين ويريد أن يفسّر هذه الآية ، هذا يُتْرَكُ لعالم الفلك أو عالم الكون ليعطينا التّفسير الدّقيق لهذه الآية ، وكذلك كلّ عالم نستفيد منه في مجال تخصّصه ، وعلى أصحاب التّخصّصات أن لا يبدوا رأيًا في المجالات التّخصّصيّة الّتي ليست من اختصاصهم ، فكما أنّ عالم الدّين لا يرضى أن يعطي غير علماء الدّين رأيًا في مجال تخصّصه ، كذلك على عالم الدّين أن لا يعطي رأيًا في مجال التّخصّصات الأخرى ، والقاعدة هي أنّ كلّ عالم يعطي الآراء في مجال تخصّصه العلميّ ، لا أنّ عالم الدّين يعطي رأيًا في الفلك ، والطّبيب يعطي رأيًا في الدين ، والآن جميع أصحاب التخصّصات يتكلّمون في الدّين ، وإذا عالم الدّين تكلّم في الأمور الطبّيّة فالطّبيب يقول لعالم الدّين إنّ هذا ليس من تخصّصك ، وعالم الدّين يقول للطّبيب لا تتدخل في تخصّصي بنفس القاعدة .

وسيأتي موضوع "نظام العقوبات في الإسلام" في الأسبوع القادم بناءً على دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، وبناءً على عدم دخالتهما في الأحكام ، ونبيّن الرّأيين بناءً على النّظريّتين ، والمستمع سيرى أيّ النّظريّتين تتماشى مع الزّمان والمكان بحيث إنّ العالَم حينما يسمع بنظريّة دخالة الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة في الأحكام سيقول

---

[1] يس : ٣٨ .

نعم إنّ الدّين صالح لكلّ زمان ومكان .

إنّ الأحكام الدّينية قد تتغيّر مع الزّمان والمكان ، ولكن مع الدّليل ، ونحتاج أن نذكر الدّليل لإثبات أيّ رأي من الآراء ، وسنأتي بعد ذلك إلى التّفصيل في موضوع "نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام" ، مع ذكر الأدلّة الّتي تثبت صحّة هذه النّظريّة ، ولكن في الأسبوع القادم سأطبّق النّظريّة على "نظام العقوبات" ، وكيف يمكن أن ننظر إلى نظام العقوبات في الإسلام .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٣٧)

نظام العقوبات

ونظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

في القرآن الكريم كنوز ومعارف كثيرة ، وكذلك في روايات النّبيّ صلّى الله عليه وآله وأهل بيته الطّاهرين عليهم السّلام ، هذه الكنوز تحتاج إلى غوص لاستخراجها ، والعلماء السّابقون قاموا بجهود كبيرة لاستخراج هذه الكنوز ، ووصلوا إلى بعضها ، وما زال المجال مفتوحًا للعلماء الحاليّين والمستقبليّين في استخراج الكنوز الأخرى الّتي لم تُسْتَخْرَجْ ، لذلك نجد أنّ تفاسير القرآن تتطوّر من مفسّر سابق إلى مفسر لاحق ، فالمفسر اللّاحق لا يقتصر على نقل آراء السّابقين فقط ، بل هو يعطي آراءً جديدةً في تفسير القرآن الكريم بربط

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ١٨ جمادى الأولى ١٤٤٠ هـ ، الموافق ٢٠١٩/١/٢٥ م .

الآيات الكريمة بعضها ببعض ، وهذه الجهود الجبّارة مستمرّة ولا تقف عند حدّ معيّن .

في هذه اللّيلة أتكلّم عن نظام العقوبات في الإسلام بمنظار نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، هذه النّظريّة سوف يأتي بحث كامل عنها بالتّفصيل مع الأدلّة الّتي تدلّ على إثبات هذه النّظريّة ، وإذا ثبتت صحّة هذه النّظريّة فسنصل إلى أحكام جديدة في مختلف أبواب الفقه العمليّ ، وبالطّبع ما يتغيّر ليس هو المفهوم ، وإنّما مصاديق هذا المفهوم ، مثلًا مفهوم الزّكاة ثابت وهو زكاة المال ، ولكن مصاديق الزّكاة تتغيّر ، فعندنا وجوب زكاة المال ، ولكن ما له ماليّة عرفيّة يتغيّر من زمان إلى آخر ومن مكان إلى آخر ، وفي السّابق كان الزّبيب والتّمر والقمح والشّعير ، ولكن هذه المصاديق تتغيّر ، فالمفهوم واحد لا يتغيّر ، وهو المال ، ولكنّ البحث في الماليّة العرفيّة الّتي تكون لأيّ شيء ، فمصاديق المال تتغيّر ، وكذلك مصاديق الموادّ الّتي يحرم فيها الاحتكار تتغيّر ، طبعًا قد يختلف من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان ، حتّى في نفس المكان قد يتغيّر من زمان إلى آخر ، مثلًا في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله في المدينة المنوَّرة كان وجوب الزّكاة في بعض المصاديق ، وكانت حرمة الاحتكار في بعض المصاديق ، وفي زماننا الحاليّ حينما ننظر إلى المدينة المنوَّرة قد توجد مصاديق أخرى لوجوب الزكاة ولحرمة الاحتكار .

ومن المصاديق الّتي يمكن أن تتغيّر عبر الزّمان والمكان مصاديق

السّفر ، متى يصدق على الإنسان أنّه مسافر ؟

في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله كان الانتقال على الدّوابّ والحيوانات ، وكان السّفر العرفيّ في قطع أربعة وأربعين كيلومترًا ، وهي المسألة المعروفة اليوم ، ولكنّ السّفر العرفيّ اليوم هل يكون لمن قطع أربعة وأربعين كيلومترًا أو أكثر من ذلك ؟ فمتى نطلق على الإنسان أنّه مسافر ؟

الآن إذا ذهبت إلى المطلاع أو الوفرة لا أحد يقول عنك إنّك قد سافرت ، نعم إذا ذهبت إلى خارج حدود بلدنا فيقال عنك إنّك مسافر ، فمصاديق السّفر قد تتغيّر من زمان إلى آخر ومن مكان إلى آخر بحسب الوسائل المستعملة في السّفر ، قد يكون الانتقال في المستقبل على نفس كوكبنا لا يسمّى سفرًا ، والإنسان لا يسمّى مسافرًا ، مع استحداث وسائل جديدة في الانتقال ، وفي ذاك الوقت قد يكون الانتقال إلى الكواكب الأخرى يسمّى سفرًا ، فمصاديق السّفر تتغيّر من زمان إلى آخر .

وألفت النّظر – كما أشرت عدّة مرّات – إلى أنّ بحوثنا بحوث نظريّة وليست بحوثًا فتوائيّة ، فنطرح البحث النّظريّ بناءً على نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام .

طرحنا في المحاضرتين السّابقتين قصّة سمل الأعين ، وأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله طبّق قطع الأيدي والأرجل من خلاف على من قتلوا الرّاعي ، وفي تلك القصّة هل الأشخاص الّذين قتلوا الرّاعي وسلبوا

الإبل هل كانوا من المحاربين أو لا ؟

المحاربون مثل قطّاع الطّريق ، في القصّة هم قتلوا وسلبوا مرّة واحدة فقط ، فلا يصدق عليهم أنّهم من المحاربين ، نعم تقام عليهم الحدود المعروفة ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله حسب هذه القصّة قطع الأيدي والأرجل ، وقلنا قطع اليد يعني قطع الأصابع ، ويترك الإبهام والكفّ ، وقطع الرّجل يكون من صدر القدم من المفصل أو من وسط القدم ويترك له العقب لكي يستطيع المشي ، ولا تقطع كلّ اليد وكلّ الرجل .

ونسأل : هل هذه العقوبات قابلة للتّغيير أو غير قابلة ؟

توجد عدّة إشكالات على الإسلام بأنّ بعض الحدود والعقوبات فيها وحشيّة ، كالصّلب وقطع الأيدي والأرجل والجلد والرّجم ، وهذه العقوبات تنفّر غير المسلمين من دخول الإسلام ، بل حتّى بعض المسلمين يتركون الإسلام بسبب نظام الحدود والعقوبات .

وهذا البحث سوف يأتي بالتّفصيل مستقبلًا حينما نصل إلى بحوث الفقه العمليّ ؛ لأن الحدود والعقوبات موجودة ضمن الرّسالة العمليّة ، فهناك نتناول البحث تفصيلًا ،فكلّ حدّ وكلّ عقوبة كيف يمكن أن ننظر إليها .

وأطرح هنا بعض الأسئلة :

هل العقوبات في أيّ دين من الأديان يكون للتَّشَفِّي والعقاب فقط أو لإصلاح الفرد وصلاح المجتمع ؟ وهل الإسلام يحرص فقط على

أن يوقع العقوبة من أجل التّشفّي والانتقام أو من أجل إصلاح الفرد وصلاح المجتمع ؟

هل الزّمان والمكان لهما دخالة في تحديد مصاديق العقوبات مثلما ذكرنا في مصاديق المال ومصاديق السّفر ؟

الجواب :

يمكن أن يُطْرَحَ هنا رأيان :

الرّأي الأوّل بناءً على عدم دخالة الزّمان والمكان في الأحكام :

إنّ كلّ حكم موجود في الدّين يكون من باب التّعبّد ، فالله يتعبّدنا بنظام العبادات كالصّلاة والصّيام والحجّ ، وكذلك يتعبّدنا بنظام الحدود والعقوبات ، بل يتعبّدنا بكلّ حكم اجتماعيّ أو اقتصاديّ أو سياسيّ ، وفي أيّ مجال من المجالات ، وكلّ حكم موجود في الدّين هو حكم تعبّدي لا يجوز تغييره كما هو التّعبّد في الصّلاة والصّيام ، فلا يجوز أن نغيّر أيّ حكم من الأحكام ، ولا ننظر إلى تغيّر الظّروف الزّمانية والمكانيّة ، فالأحكام الدّينيّة جاءت لكلّ الأزمنة والأمكنة لا لزمان دون زمان ولا لمكان دون مكان .

عن زرارة قال : سألت أبا عبدالله عليه السّلام عن الحلال والحرام ، فقال : حلال محمّد حلال أبدًا إلى يوم القيامة ، وحرامه حرام أبدًا إلى يوم القيامة ، لا يكون غيره ولا يجيء غيره [1] .

وبناءً على هذه الرّواية تكون جميع الأحكام الواردة في الدّين

---

[1] الكافي ج١ ص٥٨ ح١٩ .

أحكامًا شرعيّةً تعبّديّةً يجب الالتزام بها ، سواء كانت من ناحية العبادات كالصّلاة والصّيام أم من أيّ ناحية من نواحي الأحكام ومن أيّ نوع من أنواع الأحكام حتّى لو كان حكمًا سياسيًّا أو حكمًا اقتصاديًّا أو حكمًا اجتماعيًّا ، فلا يمكن تغيير أيّ حكم من الأحكام الدّينيّة .

والملاحظ أنّ نظام العقوبات لا يطبَّق الآن في بلدان المسلمين ، نجدها في الرّسالة العمليّة ، ولكنّنا لا نجد تطبيقها في الواقع العمليّ ، ولو سألنا الّذين يتبنّون هذا النّظام : لماذا لا يُطَبَّقُ ؟

يقولون بأنّ زماننا لا يناسب تطبيق هذه العقوبات ، فهم من ناحية نظريّة يتبنّون نظريّة عدم دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، ولكنّهم من ناحية عمليّة يلتزمون بنظريّة دخالتهما في الأحكام ، والمفروض أن يلتزموا بنظريّتهم في النّواحي العمليّة أيضًا ، لا أنّهم في موضع يطبّقون النّظريّة ، وفي موضع آخر لا يطبّقون النّظريّة ، فلا بدّ أن نرى الآن قطع الأيدي وجلد الزّاني أو رجمه وبقيّة الأحكام ، فهذه الأحكام لا تُطَبَّقُ اليوم مع أنّنا نجدها في الرّسالة العمليّة ، ويقولون بأنّ هذه الأحكام لا تناسب زماننا ، فإذا طبّقنا هذه الأحكام فالدّين يتشوّه ، ولكن هم يقولون بأنّها أحكام تعبّديّة كما هو حال الصّلاة ، فمن لا يطبّق حكم الصّلاة فهو مأثوم ، كذلك من لا يطبّق نظام العقوبات في زماننا فهو مأثوم أيضًا ؛ لأنّ أحكام العقوبات أحكام تعبّديّة ، ولا يجوز تغيير الأحكام التّعبّديّة .

إذن من يتبنّى عدم دخالة الزّمان والمكان في الأحكام فالمفروض أنّه من ناحية نظريّة ومن ناحية عمليّة يتبنّى هذه النّظريّة ، فإمّا أن يتبنّى النّظريّة ككلّ أو يترك النّظريّة ككلّ ، وتوجد موارد أخرى في الفقه العمليّ يطبّقون فيها نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام .

إذن :

الرّأي الأول هو أنّ جميع الأحكام أحكام تعبّديّة سواء في نظام العبادات أم في نظام العقوبات ، والأحكام التّعبّديّة لا يجوز تغييرها .

الرّأي الثّاني بناءً على دخالة الزّمان والمكان في الأحكام :

يوجد في الدّين نوعان من الأحكام : أحكام تعبّديّة ، وأحكام تنظيميّة جاءت لتنظيم المجتمع في جميع المجالات السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة وغيرها ، وهي من نوع الأحكام الولائيّة أو الأحكام الحكوميّة أو الأحكام السّياسيّة ، فإذا وجدت حكومة فإنّها تضع القوانين لتنظيم أمور المجتمع .

عن جميل بن درّاج قال : سألت أبا عبدالله عليه السّلام عن قول الله عزّ وجلّ : "**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**" [1] ، فقلت : أيّ شيء عليهم من هذه الحدود الّتي سَمَّى الله عزّ وجلّ ؟ قال : ذلك إلى الإمام إن شاء قَطَعَ ، وإن شاء

---

[1] المائدة : ٣٣ .

صَلَبَ ، وإن شاء نَفَى ، وإن شاء قَتَلَ . قلت : النَّفي إلى أين ؟ قال : يُنْفَى من مصر إلى مصر آخر . وقال : إنَّ عَلِيًّا عليه السّلام نَفَى رجلين من الكوفة إلى البصرة [1] .

النّوع الأوّل : الأحكام التّعبّديّة :

الأحكام التّعبّديّة ثابتة لا يمكن تغييرها كالصّلاة والصّيام والحجّ ، فصلاة الصّبح ركعتان ، فلا يمكن تغييرها إلى ركعة واحدة أو ثلاث ركعات ، فالحكم ثابت لا يتغيّر ، ولا يمكن تغيير شهر الصّيام ، ولا وقت الحجّ ، هذه أحكام تعبّديّة لا يجوز تغييرها ، وليس للزّمان والمكان دخالة فيها ، ولكن من الممكن للزّمان والمكان أن يتدخّلا في تطبيق نظام العبادات ، مثلًا عندك الآن خمس صلوات ، مع الفجر الصّادق ، ومع زوال الشّمس ، ومع وقت العصر ، ومع غروب الشمس ، وفي وقت العشاء ، ولنفرض أنّنا في القطب الشّماليّ ، وهناك ستّة أشهر ليل وستّة أشهر نهار ، وليس من المعقول أن تقف في اللّيل وتقول أصلّي صلاة الظّهر لأنّه لا يوجد زوال الشّمس ، أو حينما تكون في النّهار وتقول أصلّي صلاة المغرب ، إذن كيف يمكن أن نقسّم أوقات الصّلوات في القطب الشّماليّ ؟

إنّ الصّلاة ضمن الأوقات الخمسة تكون في بلداننا ، ولكن في القطب الشّماليّ هذه الأوقات الخمسة غير موجودة ، فكيف يمكن تقسيم أوقات الصّلاة في القطب الشّماليّ إذا وُجِدَ هناك مسلمون ؟

---

[1] الكافي ج٧ ص٢٤٥-٢٤٦ ح٣ .

قد تجد الفتوى بأنّك ترجع إلى أقرب مدينة ، ولكن لا بدّ أن يكون عندك حكم الصّلاة في ذلك المكان لا في مكان آخر ، ففي المكان الآخر توجد أوقات صلاة خاصّة بذلك المكان الآخر ، ففي المكان الآخر عندهم صلاة الظّهر وقت زوال الشمس ، وأنت في مكانك تريد أن تصلّي والوقت ليل فتقول أصلّي صلاة الظّهر ، فالأوقات تكون خاصّة لتلك المدينة ، فتحتاج إلى توقيت جديد في القطب الشّماليّ ، وهذا سيأتي في بحث أوقات الصّلاة في الفقه العمليّ ؛ لكي نبيّن أنّه كيف يمكن للمسلم أن يصلّي في القطب الشّماليّ ، وأنّه كيف يمكن تقسيم أوقات الصّلاة هناك ، والبعض يستعجل ويقول اطرح الأبحاث بسرعة ، ولكن نحن نسير بالتّدريج ، ونؤسّس بعض القواعد ، وبعد ذلك نصل إلى التّطبيق في الفقه العمليّ .

إذن :

النّوع الأوّل من الأحكام أحكام تعبّديّة ، كما في نظام العبادات كالصّلاة والصّيام والحجّ .

النّوع الثّاني : الأحكام التّنظيميّة :

وأمّا النّوع الثاني من الأحكام فهي أحكام تنظيميّة جاءت لتنظيم المجتمع وحلّ المشاكل في العالم ، وهي ليست أحكامًا تعبّديّة كما هو حال الصّلاة ، وهذه الأحكام قابلة للتّغيّر ، وظروف المجتمعات تختلف من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان ، فهذه الأحكام تأتي

مناسِبةً للظّروف الزّمانيّة والمكانيّة لأيّ مجتمع من المجتمعات ، فقد توجد أحكام معيّنة في المجتمع الزّراعيّ تختلف عن الأحكام الموجودة في المجتمع الصّناعيّ ، والحكومة حينما تريد أن تنظّم الأوضاع في المجتمع الزّراعيّ فإنّها تشرّع بعض القوانين ، وهذه القوانين لا تناسب المجتمع الصّناعيّ ، مثلًا إذا أرادت الحكومة أن تأخذ ضرائب في المجتمع الزّراعيّ فتأخذ من نفس الزّرع ، وبالنّسبة للمجتمع الصّناعيّ تكون الضّريبة أموالًا نقدية ولا تأخذ من المنتجات الصّناعيّة ، فهذه الأحكام التّنظيميّة تختلف من مجتمع لآخر .

وتوجد بعض الأحكام التّنظيميّة الّتي تكون مناسِبةً للماضي ولا تناسب زماننا الحاليّ ، ولا تناسب الزّمان المستقبليّ ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله في زمانه كان هو الحاكم ، فطرح بعض الأحكام التّنظيميّة الّتي تتناسب مع ذلك المجتمع ، ومصاديق هذه القوانين والأحكام تختلف من زمان إلى آخر ، وذلك بسبب دخالة الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة في الأحكام ، وكلامنا هنا بناءً على النّظريّة الثّانية أي دخالة الزمان والمكان في الأحكام ، فيوجد مصداق للحكم في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وتتغيّر المصاديق عبر الزّمان والمكان .

إنّ الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة تدخل ضمن شروط الحكم ، وبعض الأحكام لها شروط ، وشروط الحكم يُطْلَقُ عليها "موضوع الحكم" ، ونحن نسير خطوة خطوة ، وهذا بحث أصوليّ ، ولكن نحتاجه في موضوعنا ، فإذا تغيّر موضوع الحكم وشروطه تغيّر الحكم ، وبعض

الأحكام تكون أحكامًا مطلقة غير مقيَّدة بقيود وغير مشروطة بشروط ، وهذه الأحكام تكون ثابتةً لأنّها مطلقة ، فالصّلاة حكم غير مقيَّد بزمان دون زمان وبمكان دون مكان وبمجتمع دون مجتمع ، وهو حكم مطلق مستمرّ من وقت تشريع الصّلاة إلى يوم القيامة ، فأصل الصّلاة حكم غير مقيَّد بزمان معيّن أو مكان معيّن .

وبعض الأحكام تكون مقيَّدةً بشروط معيّنة ، فإذا تغيّرت الشّروط تغيّر الحكم إلى حكم آخر يناسب الشّروط الجديدة ، فتغيّر الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة يؤدّي إلى تغيّر الحكم ، وإذا رجعت الشّروط السّابقة تغيّر الحكم إلى الحكم السّابق .

ودور الفقيه هو استنباط الحكم وتحديد مصاديق الأحكام في زمانه ومكانه وفي الأمكنة الأخرى في نفس زمانه ، فالفقيه اليوم يستنبط الحكم ويحدّد مصاديق الأحكام في المكان الّذي يعيش فيه ، وكذلك يحدّد مصاديق الحكم في الأمكنة الأخرى ؛ لأنّه من المحتمل أنّ المصاديق تتغيّر بتغيّر المكان في الزمان الواحد ، وتحديد مصاديق الحكم في الأماكن المختلفة أمر مهمّ ؛ لكي تكون أحكام الإسلام أحكامًا عالَميّة .

مثال توضيحيّ :

نسأل : هل الأصل في صلاة الظّهر أربع ركعات أو ركعتين ؟

البعض يقول إنّ الأصل هو أربع ركعات ، فنقول : لا ، أربع ركعات أصل ، والرّكعتان أصل ، تجب صلاة الظّهر أربع ركعات في

حال الحضر وعدم السّفر ، فعدم السّفر شرط من شروط صلاة أربع ركعات في وقت الظّهر ، أي أنّ عدم السّفر داخل في موضوع الحكم وشروطه ، فإذا تغيّر موضوع الحكم إلى السّفر فالحكم يتغيّر من صلاة أربع ركعات إلى ركعتين ، فتغيّر موضوع الحكم وشروطه يغيّر الحكم إلى حكم آخر ، وكلاهما أصل ، ولا يوجد أصل وفرع ، ولا يوجد حكم أوّليّ وحكم ثانويّ ، كلاهما حكم أوّليّ ، ولكن لكلّ منهما شروطه ، فصلاة الظّهر بشرط عدم السّفر أربع ركعات ، وبشرط السّفر ركعتان ، فصلاة الظّهر مقيَّدة بالسّفر وعدم السّفر ، فصلاة الظّهر بقيد عدم السّفر أربع ركعات ، وصلاة الظّهر بقيد السّفر ركعتان ، فصلاة الظّهر من جهة تكون مطلقةً غير مقيَّدة لأنّها مستمرّة عبر الزّمان والمكان إلى يوم القيامة ، ولكنّها من جهة أخرى مقيَّدة بالسّفر وعدم السفر ، هل أنت مسافر أو لا ، الآن تصلّي أربع ركعات لأنّك غير مسافر ، وإذا تغيّر الشّرط والقيد إلى السّفر فتصلّي ركعتين ، ترجع وتستقرّ فترجع إلى الأربع ركعات ، فعلى حسب القيد يتغيّر الحكم من أربع ركعات إلى ركعتين ، أو من ركعتين إلى أربع ركعات ، وهذا مثال لبيان أنّ تغيّر شروط الحكم وقيوده يؤدّي إلى تغيّر الحكم ، وهذا مثال لبيان تغيّر القيد والشّرط في نظام العبادات .

إذن :

بعض الأحكام أحكام مطلقة مستمرّة ثابتة عبر الزّمان والمكان ،

وبعض الأحكام مقيَّدة بقيود ومشروطة بشروط ، فإذا تغيّرت القيود والشّروط تغيّر الحكم ، وإذا رجعنا إلى القيود السّابقة فنرجع إلى الحكم السّابق .

الرّجوع إلى الموضوع :

قلنا بأنّ الفقيه يحدّد مصاديق الحكم ، ويكون الحكم ثابتًا ، مثلًا وجوب زكاة المال ، هذا حكم ثابت ، ولكنّ الفقيه يحدّد مصاديق المال ، ومصداق المال هو ما يكون له ماليّة عرفيّة في أي مجتمع من المجتمعات ، والمصداق يتغيّر ، فعندنا مفهوم عامّ وقاعدة عامّة ، ولكن تتغيّر المصاديق عبر الزّمان والمكان .

مثلًا الدّم لم يكن له ماليّة عرفيّة سابقًا ، فكانت المعاملة ببيع الدّم باطلةً ، والآن يستفاد من الدّم ، فيجوز بيعه والمعاملة صحيحة ، والذّبابة سابقًا ليس لها فائدة ، فلا يوجد لها ماليّة عرفية عند النّاس ، فكانت معاملة بيع الذّباب باطلة ، وأمّا في زماننا فالذّبابة لها فائدة حيث يأخذون يرقات الذّبابة في المستشفى ويضعونها على المحلّ التّالف كما في مرضى السّكر ، فيرقات الذّبابة تأكل هذا المحلّ التالف ، فالآن الذّبابة لها ماليّة عرفيّة ، فيجوز بيع الذّباب وتكون معاملة البيع معاملة صحيحة ، فتغيّر حكم بيع الدّم وحكم بيع الذّباب من الحرمة إلى الجواز .

ويمكن النّظر إلى كلّ ما له فائدة في زماننا ولم تكن له فائدة في الزّمان السّابق ، فالماليّة ماليّة عرفيّة ، يعني أنّ النّاس يعطون لهذا

الشّـيء قيمـة ماليّـة بحيـث يبيعـه شـخص ويشـتريه شـخص آخـر ، ويصحّحون هذه المعاملة التّجاريّة .

إنّ القرآن الكريم تارةً يبيّن المفهوم ، وتارة أخرى يبيّن المصداق أو المصـاديق ، فـالقرآن لـيس كـلّ مـا يبيّنـه في جميـع الآيات عبـارة عـن المفاهيم ، ففي بعض الآيات يذكر المصاديق .

مثلًا نعيم الجنّة ، حينمـا يطرح القـرآن نعيم الجنّة ، يـذكر بعـض النّعم في الجنّة ، فنسأل :

هل يمكن لك أن تطلب شيئًا آخر غير مذكور في القرآن ؟

الجواب :

نعم يمكنك أن تطلب شيئًا آخر ، والمفهوم القرآنيّ هو ما اشتهت النّفس ، كما في الآية الكريمة :

"وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ" [1] .

إنّ المفهوم هو **"مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ"** ، فهذه الآية تذكر المفهوم ، والآيات الّتي تـذكر الجنّـات الّـتي تجـري مـن تحتهـا الأنهـار وغيرهـا مـن النّعم ، هـذه عبـارة عـن مصـاديق ، فـالقرآن تارة يـذكر المفهـوم ، وتارة أخرى يذكر المصداق ، فيمكن لك أن تطلب مصداقًا آخر من نعيم الجنّة لم يذكره القرآن .

مثلًا لو سألت عالِمًا : ماذا تريد في الجنّة ؟

يقول أريد مكتبةً ، مع أنّ المكتبة غير مذكورة في القرآن ، وأنت

---

[1] الأنبياء : ١٠٢ .

تقول يطلب مكتبة حتّى في الجنة ، وهل تقرأ هناك ؟

يقول لك : نعم ؛ لأنّ العلم لا يقف عند حدّ .

والمكتبة في الجنّة ليست عبارة عن كتب ، يمكن أن يتأمّل ويتفكّر وتأتي إليه المعلومات بطريقة أخرى .

إذن المصاديق قابلة للتّغيير ، فيمكن إضافة مصاديق أخرى .

وبالنّسبة للزّكاة ، يقول الله في كتابه الكريم :

"خُذْ مِنْ أَمَوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا" [1] .

هذا هو المفهوم أي زكاة المال ، ولا يوجد في القرآن ذكر الشّعير والقمح والتّمر والزبيب ، نعم مذكورة في الرّوايات ، وهي مصاديق المال في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ونأتي إلى الأئمّة عليهم السّلام فيجعلون الزّكاة على الخيل والأرزّ والذّرة وغيرها .

عن عبدالله بن سنان قال : قال أبو عبدالله عليه السّلام : لمّا أنزلت آية الزكاة **"خُذْ مِنْ أَمَوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا"** ، وأنزلت في شهر رمضان فأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله مناديه ، فنادى في النّاس إنّ الله فرض عليكم الزّكاة كما فرض عليكم الصّلاة ، ففرض الله عزّ وجلّ عليهم من الذّهب والفضّة ، وفرض الصّدقة من الإبل والبقر والغنم ، ومن الحِنْطَة والشّعير والتّمر والزّبيب ، فنادى فيهم بذلك في شهر رمضان ، وعَفَا لهم عمّا سوى ذلك . . . [2] .

---

[1] التّوبة : ١٠٢ .

[2] الكافي ج٣ ص٤٩٦ ح٢ . الحِنْطَة : القَمْح .

عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السّلام قالا : فرض الله الزّكاة مع الصّلاة في الأموال ، وسنّها رسول الله صلّى الله عليه وآله في تسعة أشياء – وعفا رسول الله عمّا سِوَاهُنَّ – في الذّهب والفضّة والإبل والبقر والغنم والحنطة والشّعير والتّمر والزّبيب ، وعفا عمّا سوى ذلك [1] .

عن محمّد بن مسلم وزرارة عنهما جميعًا عليهما السّلام قالا : وضع أمير المؤمنين صلوات الله عليه على الخيل العِتَاق الرّاعية في كلّ فرس في كلّ عام دينارين ، وجعل على البَرَاذِين دينارًا [2] .

عن محمّد بن مسلم قال : سألته عليه السّلام عن الحبوب ، ما يُزَكَّى منها ؟ قال : البُرُّ والشَّعير والذُّرَة والدُّخْن والأُرْز (الأَرُزّ) والسُّلْت والعَدَس والسِّمْسِم ، كلّ هذا يُزَكَّى وأشباهه [3] .

إنّ مصاديق المال تتغيّر حسب الزّمان والمكان ، ومن يقول بعدم دخالة الزّمان والمكان في الأحكام يقول نقتصر على الغلّات الأربعة

---

[1] الكافي ج٣ ص٥٠٩ ح١ .

[2] المصدر السّابق ج٣ ص٥٣٠ ح١ . الخيل العِتَاق : الخيل العربيّة الأصيلة ، والعِتَاق جمع العَتِيق . البَرَاذِين : الخيل غير العربيّة ، والبَرَاذِين جمع بِرْذَوْن .

[3] المصدر السّابق ج٣ ص٥١٠ ح١ . البُرّ : القمح . الدُّخْن : نبات عشبيّ ، حبّه صغير أملس يشبه حبّ السّمسم . السُّلْت : نوع من الشّعير ليس له قشر يشبه القمح .

(القمح والشّعير والتّمر والزّبيب) والأنعام الثّلاثة (الإبل والبقر والغنم) والذّهب والفضّة المسكوكين ، وهذه المصاديق كانت موجودةً في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وهي مستمرّة إلى يوم القيامة .

نسأل :

إذا الإمام عليه السّلام في زمانه كالإمام أمير المؤمنين أو الباقر أو الصّادق عليهم السّلام ذكروا مصاديق أخرى ، فكيف نتعامل مع المصاديق الجديدة ؟

الجواب :

من يقول بعدم دخالة الزّمان والمكان في الأحكام يقول إنّ المصاديق الجديدة تكون من باب الاستحباب لا الوجوب .

وأمّا من يقول بدخالة الزّمان والمكان في الأحكام فيقول بأنّ مصاديق المال تتغيّر عبر الزمان ، فالإمام عليه السّلام حينما قال بالزّكاة على بعض مصاديق المال فهي ليست من باب الاستحباب ، وإنّما من باب الوجوب في هذه المصاديق في زمانه ، فتتغيّر مصاديق الزّكاة عبر الزّمان والمكان .

ونلاحظ بأنّ النّظرية الّتي يتبنّاها الفقيه تؤثر في استنباطه للحكم وفي تحديد مصاديق الحكم .

إذن :

نحتاج إلى المفهوم العامّ ، والقرآن يذكر المفهوم العامّ ، والمصاديق تكون مذكورةً إمّا في القرآن وإمّا في الروايات ، فلا بدّ من وجود

المفهوم العامّ والقاعدة العامّة الّتي على أساسها تتغيّر المصاديق عبر الزّمان والمكان .

الرّجوع إلى نظام العقوبات :

نأتي إلى نظام العقوبات ، ونسأل :

ما هو المفهوم العامّ الّذي يذكره القرآن الكريم ؟

الجواب :

المفهوم القرآنيّ لنظام الحدود والعقوبات في الإسلام هو : **"وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ"** [1] .

هذا هو المفهوم العامّ والقاعدة العامّة لكلّ زمان ومكان ، فمن يرتكب جريمة يقتصّ منه ، هذا مفهوم عامّ ، مثل مفهوم المال في الزّكاة .

حينما نأتي إلى الإسلام نرى أنّ الإسلام يطرح حلولًا عالميّة للمشاكل الاقتصاديّة ، مثل حرمة الرّبا وحرمة الاحتكار ، وهاتان تدخلان في اقتصاد المجتمعات ، ويطرح حلولًا عالميّة للمشاكل الاجتماعيّة ، مثل وجوب الزّكاة لحلّ مشكلة الفقر في العالم ، فيفرض الزّكاة على المال .

ونظام العقوبات جاء لحلّ مشكلة الإجرام في العالم ، والإجرام من المشاكل المستعصية في جميع المجتمعات ، فنظام العقوبات جاء لحلّ مشكلة الإجرام في العالم ، لا في مجتمع معيّن فقط .

---

[1] البقرة : ١٧٩ .

نسأل :

هل يمكن أن تتغيّر مصاديق القصاص بما يناسب ظروف كلّ مجتمع من المجتمعات الّتي فيها ظروف سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة مختلفة ؟

الجواب :

مصاديق القصاص يمكن أن تتغيّر بما يناسب الظّروف الاجتماعيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة لأيّ مجتمع من المجتمعات .

سؤال : القصاص صلاحيّة مَنْ : الفرد أو الحاكم ؟

الجواب :

القصاص موجود بيد الحكومة مع وجود الحاكم ، فنظام العقوبات من صلاحيّات وليّ الأمر الشّرعيّ لا من صلاحيّة الفرد المسلم ، فهو من صلاحيّات الحكومة الّتي تنظم المجتمع ، فالحكومة تنشئ السّجون وتقيم الحدود على المجرمين ؛ لكي تقضي على مشكلة الإجرام في المجتمع ، فنظام الحدود والعقوبات ليست أحكامًا شرعيّة كنظام العبادات ، وإنّما هي أحكام ولائيّة حكوميّة سياسيّة تكون بيد الحاكم وليّ الأمر ؛ لأنّها أحكام تنظيميّة لا أحكام تعبديّة .

والنّبيّ صلّى الله عليه وآله تارةً يكون رسولًا مُبَلِّغًا للأحكام ، فالأحكام الّتي يبيّنها تكون أحكامًا شرعيّةً .

"يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ" [1] .

---

[1] المائدة : ٦٧ .

وما يبلّغه الرّسول صلّى الله عليه وآله هو حكم شرعيّ تعبّديّ .

وتارةً أخرى يكون النّبيّ صلّى الله عليه وآله وليًّا وحاكمًا ، فالأحكام الّتي يبيّنها تكون من باب الحكومة والولاية على النّاس ؛ لأجل تنظيم المجتمع ، ويكون صلّى الله عليه وآله وليّ الأمر .

"أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ" [1] .

فالأحكام الّتي يبيّنها النّبيّ صلّى الله عليه وآله ليست أحكامًا شرعيّةً ، وإنّما هي أحكام ولائيّة حكوميّة ، وتكون بيد الحاكم الشّرعيّ .

وتارةً ثالثةً يكون النّبيّ صلّى الله عليه وآله قاضيًا ، يقضي بين المتخاصمين في النّزاعات .

"فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" [2] .

فالأحكام الّتي يبيّنها النّبيّ صلّى الله عليه وآله تكون أحكامًا قضائيّة .

إذن :

النّبيّ صلّى الله عليه وآله مرّةً يكون رسولًا ، ومرّةً يكون حاكمًا ، ومرّةً يكون قاضيًا ، والأحكام الّتي يعطيها النّبيّ صلّى الله عليه وآله تكون أحكامًا من أنواع مختلفة ، هي أحكام شرعيّة تعبّديّة إذا كان

---

[1] النّساء : ٥٩ .

[2] السّورة السّابقة : ٦٥ .

يمارس دور الرّسالة ، وهي أحكام ولائيّة إذا كان يمارس دور الحاكم ووليّ الأمر ، وهي أحكام قضائيّة إذا كان يمارس دور القاضي .

تختلف الأحكام ، فهي ليست من نوع واحد ، وإنّما من أنواع مختلفة ، فحينما يكون حاكمًا ووليًّا للأمر يعطي أحكامًا تنظيميّة لتنظيم أمور المجتمع ، ليست مثل الصّلاة والصّيام ، أحكام تنظيميّة تناسب أوضاع المجتمع في ذلك الزّمان وذلك المكان .

ويمكن لأحد الباحثين أن يقوم ببحث في الفرق بين النّبيّ والرّسول ، فالقرآن مرّة يقول : "**يَا أَيُّهَا النّبِيُّ**" ، ومرة يقول : "**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ**" ، ومن باب المثال :

"**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ودَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا**" [(١)] .

"**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكُ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ**" [(٢)] .

"**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ المُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**" [(٣)] .

"**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا**

[(١)] الأحزاب : ٤٥-٤٦ .

[(٢)] الأنفال : ٦٤ .

[(٣)] الممتحنة : ١٢ .

ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ . . ." [1] .

"يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ" [2] .

ما هي الأحكام الّتي تأتي تحت **"يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ"** ، وما هي الأحكام التي تكون تحت **"يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ"** ؟

وسيرى الباحث أنّ الأحكام تختلف تحت العنوانين : عنوان "النَّبِيّ" ، وعنوان "الرَّسُول" .

إذن :

توجد أحكام شرعيّة تعبّديّة ، وأحكام ولائيّة حكوميّة سياسيّة ، وأحكام قضائيّة ، وقد توجد أنواع أخرى من الأحكام .

وتأتي الآيات والرّوايات في الأنواع المختلفة من الأحكام ، ودور الفقيه هو أن يميّز بين الأحكام في القرآن والرّوايات ، فيقول إنّ هذا الحكم من باب الحكم الشّرعيّ فلا يجوز تغييره ، وهذا من باب الحكم الولائيّ الحكوميّ السياسيّ ، وهذا من باب الحكم القضائيّ .

سؤال : الأحكام الولائيّة والأحكام القضائيّة هل يمكن تغييرها أو لا يمكن تغييرها في المجتمعات المختلفة ؟

---

[1] المائدة : ٤١ .

[2] السّورة السّابقة : ٦٧ .

الجواب :

النّبيّ صلّى الله عليه وآله في زمانه طرح طريقةً معيّنةً لحكم المجتمع وإدارته ، لم يكن عنده وزراء ، والآن في زماننا يقسّمون الحكومة إلى وزارات ، وإذا كنّا نريد أن نقتصر على ظروف المجتمع في ذلك الزّمان – فنقول إنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله لم يجعل وزراء في حياته ، فالآن جعل الوزراء يكون بدعةً ، فالحكم الشّرعيّ أنّه لم يوجد وزراء في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، إذن في زماننا يحرم تقسيم الحكومة إلى وزارات وجعل الوزراء .

نقول إنّ هذا من باب الحكم الولائيّ والتّنظيم السّياسيّ للمجتمع ، وهذا قابل للتّغيّر بحسب الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة ، فترجد دولة فيها عشر وزارات ، ودولة أخرى فيها عشرون وزارة ، وكانوا سابقًا يبعثون الولاة للمدن ، والآن لا يضعون واليًا على مدينة ، وإنّما يضعون محافظًا للمنطقة ، فالعناوين تغيّرت .

وإذا قلنا بأنّ كلّ ما يقوم به النّبيّ صلّى الله عليه وآله يكون من باب الحكم الشّرعيّ – فمعنى ذلك أنّه يحرم الآن تقسيم الحكومة إلى وزارات ، نعم الأحكام التّعبّديّة أحكام شرعيّة غير قابلة للتّغيير ، والأحكام التّنظيميّة لتنظيم المجتمع قد تتغيّر من زمان إلى آخر ومن مكان إلى آخر ، والمسلمون يقومون به اليوم ، فهم غيّروا كيفيّة تنظيم المجتمع وإدارته ، فليس كلّ ما يقوم به النّبيّ صلّى الله عليه وآله من باب الأحكام الشّرعيّة ، وإنّما من باب الحكم التّنظيميّ والحكومة

وولاية الأمر ، أو من باب الحكم القضائيّ إذا كان يحكم بين طرفين متنازعين .

سؤال : هل نظام الحدود والعقوبات يقع ضمن الأحكام التّعبّديّة أو الأحكام التّنظيميّة ؟

الجواب :

إنّ نظام العبادات – كالصّلاة والصّيام – يقع ضمن الأحكام الشّرعيّة الّتي لا تتغيّر بتغيّر الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة ، وأمّا نظام الحدود والعقوبات فيقع ضمن الأحكام الحكوميّة الولائيّة التّنظيميّة الّتي يمكن أن تتغيّر من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان ، مع حفظ المفهوم وهو "**وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ**" [1] ، فتكون المصاديق المطروحة في نظام العقوبات قابلة للتّغيير ، وهذا مثل "**وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ**" [2] ، مع ذكر المصاديق في القرآن ، والقرآن طرح مصاديق للعقوبات ، وهذه المصاديق يمكن تغييرها كما تتغيّر مصاديق المال في الزّكاة من زمان إلى آخر ومن مكان إلى آخر .

إذن :

الفقيه يدرس الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة المحيطة به ، وقد تتغيّر مصاديق المال في الأماكن المختلفة في نفس الزّمان ، مثلًا في اليابان

---

[1] البقرة : ١٧٩ .

[2] الأنبياء : ١٠٢ .

عندهم ثروة سمكيّة فالزّكاة تكون على هذه الثّروة ، وفي الصّين توجد مصانع فتكون الزّكاة على منتجات المصانع ، وبعض الدّول يصنعون السّاعات فتكون الزّكاة على السّاعات .

وإذا جعلنا الزّكاة على الزّبيب والتّمر والقمح والشّعير وبقيّة الأصناف فمعنى ذلك أنّ مقدار الزّكاة في زماننا يكون قليلًا ، وحكم الزّكاة حكم عالميّ جاء لحلّ مشكلة الفقر في العالم ، فلا بدّ أنّه في كلّ دولة تتغيّر المصاديق ، ولا نقتصر على المصاديق المذكورة في الرّوايات ، فقد ذكرت المصاديق الموجودة في تلك الأزمنة ، والمصاديق مختلفة عبر الزّمان والمكان .

ونرى في القرآن أنّه يوجد اقتران بين إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة في أربعة مواضع .

"يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ" [1] .

فنسأل :

لماذا هذا الاقتران بينهما ؟

الجواب :

كما أنّ حكم الصّلاة مستمرّ ، كذلك حكم الزّكاة مستمرّ ، ولكن إذا قلنا بأن نقتصر على الأصناف المذكورة في الرّوايات ففي بعض الأزمنة لا توجد زكاة ، فتكون عندك إقامة الصّلاة بدون إيتاء الزّكاة ، فهذا الاقتران بين الصّلاة والزّكاة في القرآن ليس عشوائيًّا ، بل

---

[1] المائدة : ٥٥ ، التّوبة : ٧١ ، النّمل : ٣ ، لقمان : ٤ .

له هدف وغاية ، وفي القرآن لا يوجد شيء عشوائيّ ، فكما أنّه عندك وجوب إقامة الصّلاة عندك إيتاء الزّكاة معه ، ومعنى ذلك أنّ كليهما لا بدّ أن يكونا من الأحكام المستمرّة الثابتة ، ففي كل مجتمع نرى مصاديق لما له ماليّة عرفيّة ، فتكون عندنا زكاة في كلّ دولة ، ومعنى ذلك أنّ كلّ دولة يمكنها أن تقضي على مشكلة الفقر عندها ، فوجوب الزّكاة ليس لحلّ مشكلة محلّيّة ، وإنّما لحلّ مشكلة عالميّة ، وهكذا جميع الأحكام الموجودة في الإسلام هي أحكام عالميّة ، ولكن نحن أطّرناها ضمن بقعة جغرافيّة معيّنة ، جميع الأحكام جاءت لحل المشاكل العالميّة ، ولا بد أن نعرف كيف يمكن الاستفادة من هذا الحكم الإسلاميّ لحلّ مشاكل البشر .

إذن :

نأتي بنظام يناسب الظّروف الزّمانية والمكانيّة لأيّ مجتمع من المجتمعات ، وبحسب الدّليل الشّرعيّ نحدّد المفهوم ، ثمّ نحدّد المصاديق الّتي تناسب كلّ مجتمع مجتمع بحسب ظروفه الزّمانيّة والمكانيّة .

سؤال : من الّذي يستنبط المفهوم ويحدّد المصاديق ؟

الجواب :

الحاكم الشّرعيّ هو الفقيه الّذي يستنبط المفهوم ويحدّد مصاديق هذا المفهوم في كلّ زمان ومكان حينما يقرّر النّظام المناسب للظّروف الزّمانيّة والمكانيّة بحسب الأدلّة الشّرعيّة ، فالفقيه لا يتعامل مع الآية والرّواية فقط ، بل لا بدّ أن يعرف أوضاع المجتمع لكي يمكنه أن

يعطي الحكم المناسب ، والحكم ليس حكمًا نظريًّا ، وإنّما يحتاج إلى تطبيق وعمل ، فالحكم نظريّ وعمليّ ، فلا بدّ أن يعرف أوضاع المجتمع ليعطي الحكم النّظريّ القابل للتّطبيق والعمل به .

سؤال : كيف يحدّد الفقيه الحاكم الشّرعيّ نظام العقوبات ؟

الجواب :

لا يكون تحديد النّظام بمزاج الفقيه الحاكم الشّرعيّ وما يشتهيه ، لذلك يشترط في الحاكم أن يكون عادلًا متّقيًا يخاف الله ويحرص على صلاح الفرد والمجتمع لا على مصالحه الشّخصيّة ومصالح من يحيط به من أتباع .

وهكذا يتماشى الإسلام مع جميع الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة ، ويكون صالحًا لكلّ زمان ومكان ، لا عن طريق ثبات الأحكام ، وإنّما بتغيّر الأحكام بتغيّر الظروف ، وهذا يأتي ضمن بحث الثّابت والمتغيّر في الإسلام .

فما هي الأحكام الثّابتة في الإسلام ؟

وما هي الأحكام المتغيّرة في الإسلام ؟

وقد يختلف العلماء في تحديد مصاديق الثّابت ومصاديق المتغيّر ، ويقع الاختلاف لأنّ البحث بحث نظريّ من خلال الأدلّة ، والبحوث النّظريّة يقع فيها الاختلاف في وجهات النّظر وفي القراءات والأفهام ، وهذه هي طبيعة البحوث النّظريّة في جميع العلوم الدّينيّة والدّنيويّة .

غايات الأحكام :

بعض الأدلّة الشّرعيّة وبعض الأحكام في القرآن والرّوايات تذكر غايات للأحكام ، فهذا الحكم له غاية ، مثلًا غاية الصّيام هو (لعلّكم تتّقون) .

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" [1] .

هذه هي غاية الصّيام ، ونحتاج إلى تحديد غايات الأحكام .

سؤال : هل الهدف هو الإتيان بالوسيلة فقط أو الوصول إلى الغاية أيضًا ؟

هل الهدف هو أن تصوم فقط أو تحصل على الغاية أيضًا ؟

الجواب :

الهدف هو الحصول على الغاية من الصّوم وهي التّقوى ، فالصّيام طريق ووسيلة إلى التّقوى ، نعم في النّظام العباديّ لا تستطيع أن تغيّر العبادات ، فيجب أن تصلّي وأن تصوم وأن تحجّ .

سؤال : في نظام العقوبات ما هي الغاية ؟

الجواب :

القضاء على الإجرام ، بالإضافة إلى إصلاح الفرد وصلاح المجتمع ، لا فقط أنّه نريد تطبيق نظام العقوبات لأجل التّشفّي ، فيكون في المجتمع كثرة الأشخاص المقطوعي اليد والرّجل ، ليس هذا

---

[1] البقرة : ١٨٣ .

هو الهدف ، بل الهدف أن تصلح الإنسان ، وبصلاح الأفراد يصبح المجتمع مجتمعًا صالحًا .

توجد غايات للأحكام ، وهذه الغايات لا بدّ من تحقيقها ، والوسيلة قد تتغيّر مع تحقيق الغاية ، وبالنّسبة لنظام العبادات لا يمكن تغييره ، كالصّلاة والصّيام والحجّ ، وأمّا بالنّسبة للأحكام التّنظيميّة فإنّ الهدف هو تحقيق الغاية ، فإذا كانت هذه الوسيلة في الحدود لا تناسب تحقيق الغاية في زمان معيّن فنأتي بطريقة أخرى ، مثلما الآن في تطبيق نظام السّجون ، وهذا تغيير لنظام العقوبات في بلدان المسلمين ، فالآن لا يوجد قطع اليد ولا رجم الزّاني ولا جلد شارب الخمر ، ونسأل :

هذه الأحكام لماذا تمّ تغييرها مع أنّهم يقولون بحرمة تغيير الأحكام ومن يغيّر الأحكام فأولئك هم الكافرون والظّالمون والفاسقون ، فلماذا تمّ تغيير الأحكام في نظام العقوبات إلى أحكام أخرى ؟

الجواب :

نفس الّذين يقولون بثبات هذه الأحكام يقولون بأنّ هذه الأحكام لا تناسب المجتمع في الزّمان الحاليّ ، أي بناءً على نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، مع أنّهم لا يتبنّون هذه النّظريّة .

مثلًا في الآية الكريمة :

"إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن

يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ" [١] .

هذه الآية لها تكملة ، والفقيه حينما يريد أن يستنبط الحكم يقتصر على هذه الآية ولا يلتفت إلى التّكملة في الآية التّالية ، والسّياق القرآني مهمّ ، والآية التالية تقول :

"إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" [٢] .

وهذا الآية مهمّة في فهم الآية السّابقة ، فمن خلال تطبيق العقوبات نريد أن نصل إلى توبة الفرد وإصلاحه ، وبصلاح الأفراد يكون المجتمع مجتمعًا صالحًا ، فأوّلًا لا بدّ أن نحدّد غاية الحكم ، ونعرف أنّ الهدف هو تحقيق الغاية ، فنريد أن نصل إلى توبة الأفراد ، وحينما نطبّق نظام العقوبات على من ارتكبوا الجرائم فالغاية هي الوصول إلى توبتهم وإصلاحهم وصلاح المجتمع .

ويقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" [٣] .

---

[١] المائدة : ٣٣ .

[٢] السّورة السّابقة : ٣٤ .

[٣] البقرة : ١٥٩-١٦٠ .

"**إِلَّا الَّـذِينَ تَابُـوا وَأَصْـلَحُوا**" ، التّوبـة والإصـلاح أمـران مهمّـان ، فليس النّظر إلى تطبيق العقوبة لأجل التّشفّي والانتقام ، بل الهدف توبـة الفـرد وإصـلاحه ، وإذا صـلح الأفـراد صـلح المجتمـع ، ويكـون الهدف أيضًا إصلاح المجتمع .

إذن :

الغاية من نظام العقوبات هو إصلاح الفرد وصلاح المجتمع ، فإذا كـان يمكـن تحقيـق الغايـة وإصـلاح الفـرد والمجتمـع بنظـام آخـر فنأخـذ بالنّظـام الآخـر ، ونـرى الغايـة لا أنّ النّظـر يكـون إلى الوسـيلة فقـط ، فنأتي بوسيلة أخرى لتحقيق هذه الغاية .

ويمكن مراجعة القرآن حيث توجد مجموعة من الآيات تذكر غايات الأحكام سواء في نظام العبادات أو في الأحكام التّنظيميّة ، وهذا أمر مهمّ جدًّا ، فلا بدّ أن نرى ما هي الغاية من الحكم ، والهدف هو تحقيق الغاية لا فقط الإتيان بالوسيلة ، وفي النّظام العباديّ لا يمكن تغيير الوسيلة لأجل تحقيق الغاية ، فالمطلوب الوسيلة والغاية معًا ، ولكن في الأحكام التّنظيميّة يمكن تغيير الوسيلة لكي نحقّق الغاية .

وسوف نبحث بالتّفصيل في موضوع "غايات الأحكام" عندما نصل إلى الفقه العمليّ ، فنأتي إلى كلّ حكم حكم لنرى ما هي الغاية منه ، ويكون الهدف هو تحقيق هذه الغاية .

مثلًا في الآية الكريمة :

"**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن**

قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" [1] .

نقول بوجوب الصّيام ، ولكن لا ننظر إلى غاية الصّيام وهي التّقوى ، ففي كلّ حكم توجد غاية ، ولا بدّ أن نعرف الغاية لكي نسعى إلى تحقيقها ، وهذا مهمّ لأنّ بعض الأحكام الّتي نريد طرحها لا بدّ أن تتناسب مع الغاية الّتي نريد تحقيقها ، فحينما ترى الغاية ترى بأنّ الحكم سيختلف من حيث المصاديق ، فالمصاديق قد تتغيّر لأجل تحقيق الغاية .

وأريد أن أقرأ لكم تقريرًا ، وهذا التّقرير موجود في موقع "صوت السّويد الصّفحة الرّسميّة لأخبار السّويد بالعربيّة" ، والتّقرير مكتوب في عام ٢٠١٧ م ، يقول التقرير : الدّول العشر الأكثر أمانًا للعيش في العالم :

١- آيسلندا : آخر جريمة ارتكبت كانت في عام ٢٠٠٩ م ، وكانت جريمة قتل .

٢- الدّانمارك .

٣- النّمسا .

٤- نيوزلندا .

٥- سويسرا .

٦- فنلندا .

٧- كندا .

---

[1] البقرة : ١٨٣ .

٨- اليابان.

٩- أستراليا .

١٠- التّشيك .

تعليق :

لا يوجد عندهم نظام العقوبات فقط ، بل عندهم نظام كامل في إدارة المجتمع ، عندهم أحكام تنظيميّة ، وهذه الأحكام التّنظيميّة أدّت إلى أن تكون هذه الدّول هي الأكثر أمانًا من حيث الإجرام ، وهذه التّجارب تجارب إنسانيّة يمكن للمسلمين الاستفادة منها ، لكي نرى أنّه كيف استطاعوا أن يقضوا على الإجرام ، والسّجون عندهم عبارة عن فندق خمس نجوم ، غرفة مرتّبة ، وفيها نافذة تطلّ على منظر جميل ، لا مثل السّجون الموجودة في بلدان المسلمين ، ومع ذلك لا يوجد عندهم إجرام ، ومن هذه الدّول العشرة لا توجد دولة من دول المسلمين ولا من الدّول العربيّة ، ونسبة الإجرام في دول المسلمين وفي الدّول العربية نسبة مرتفعة ، فيأتي السؤال :

لماذا يوجد عند المسلمين نظام الحدود العقوبات ولا نكون الدّولة الأولى في العام ؟

المفروض أنّه إذا طُبِّقَتْ هذه الأحكام فلا بدّ أن تؤدّي إلى القضاء على الإجرام في مجتمعات المسلمين ، ولكن نرى ارتفاع نسبة الإجرام عندنا ، فهل الخلل في النّظريّة أو في التّطبيق ؟

لا بدّ أن ندرس هذه التّجارب الإنسانيّة ونستفيد منها في تحديد

مصاديق العقوبات ، بل في تحديد النّظام الكامل في المجتمع لا فقط نظام العقوبات ، فعندهم نظام سياسيّ ونظام اقتصاديّ ونظام اجتماعيّ كامل بحيث إنّ الإنسان لا يضطرّ إلى ارتكاب الجريمة ، لا أن يكون عنده الملايين ويختلس الملايين ، فلا بدّ أن يكون عندنا نظام كامل ، والإسلام أعطانا هذا النّظام الكامل ، ولكنّنا لم نستطع من تحديد النّظام ، ولم نقم بتطبيق النّظام ، فعندنا نظام كامل في جميع المجالات ، ولكنّ المشكلة أنّ المسلمين لم يعرفوه ولم يطبّقوه ، ومن ثمّ يَرِدُ الإشكال على الإسلام ، يقولون لو كان الإسلام صالحًا لكلّ زمان ومكان فلماذا لا تطبّقون الإسلام أيّها المسلمون ؟

ويقولون إذن العيب ليس في التّطبيق فقط ، بل العيب في النّظرية أيضًا في الإسلام ، لذلك الإشكالات الآن تَرِدُ على الإسلام بسبب المسلمين .

لو توجد دولة تطبّق الإسلام الصّحيح – لا إسلام القتل والإرهاب – وتطبّق النّظام الإسلاميّ الّذي يوفّر الأمان في المجتمع الإسلاميّ – فكلّ إنسان سيكون آمنًا في بيته وعنده الموارد الماليّة الّتي تكفيه ، وبعض الحكومات تمنع بعض النّاس من التّكسّب بالحلال ، فيذهبون إلى طريق الإجرام ، ولا يوجد أمامه طريق آخر ، تمنعه من وضع "بَسْطَةٍ" في الشّارع ، فيذهب إلى الجريمة ، وفي النظام الإسلاميّ بيت المال يتكفّل بكلّ مقيم على أرض المسلمين ، إذا كان هذا الإنسان عاجزًا فبيت المال يتكفّل بمصاريفه ، وإذا عنده حقوق شهريّة

لا تكفيه فبيت المال يكمل له المبلغ بحيث يمكنه الصّرف إلى آخر الشّهر ، والمفروض أن لا يوجد فقير في المجتمع المسلم ، فيتوفّر لجميع النّاس جميع الإمكانات ، وإذا لا يستطيع العمل فالحكومة توفّر له المبلغ من بيت المال ، والآن وزارة الماليّة أو وزارة الشئون .

إنّ من واجب الدّولة أن تتكفّل بالأحكام التّنظيميّة الّتي تقضي على الإجرام ، وتجعل النّاس في أمان ، ويعيشون العدالة ، ويحصلون على حقوقهم ، ويرجعون إلى القضاء إذا كان يوجد تعدّي من شخص على شخص آخر ، ولا وجود للواسطات ولا للرّشوة ولا للمحسوبيّة في المحاكم ، هذا ما يكون عليه الوضع في المجتمع الإسلامي ، ولكنّ المشكلة أنّ المجتمعات المسلمة اليوم لا تطبّق الإسلام ، فمن الطّبيعي أن تكون أوضاع المجتمع متخلّفة ، والمسلمون اليوم في أدنى قائمة الدّول في جميع المجالات ، وتأتي المشكلة من عدم معرفة أحكام الإسلام الصّحيح وعدم تطبيق الإسلام الصّحيح ، ولو طبّقنا الإسلام الصّحيح لحكمنا العالم ، ولنشرنا العدل في العالم ، ولوجدت الدّولة الإسلاميّة الّتي تكون مثالًا لدول العالم ، وهذه الدّولة تعكس الإسلام الحقيقيّ ، وتصير مثالًا للعالم ، وحينذاك سترى النّاس يدخلون في الإسلام أفواجًا أفواجًا .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٣٨)

الإله الخالق للكون

مقدّمات عامّة [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

تنبيه هامّ : اختلاف الآراء ووجهات النّظر :

في أيّ موضوع من المواضيع النّظريّة من الطّبيعيّ وجود الاختلاف في الآراء ووجهات النّظر ، وهذه لا بدّ أن تكون قاعدة عند الجميع حينما يريدون أن يناقشوا أيّ رأي من الآراء ، فالاختلاف أمر طبيعيّ في البحوث النّظريّة ، وليس من الضّروريّ أنّ الباحث حينما يبحث في أيّ موضوع من المواضيع أن يأخذ برأي أحد العلماء السّابقين ، قد يأتي برأي جديد ، وعادةً ما يكون السّؤال : مَنْ مِنَ العلماء قال بهذا الرّأي ؟

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٢٥ جمادى الأولى ١٤٤٠ هـ ، الموافق ٢٠١٩/٢/١ م .

نقول بأنّه ليس من الضّروري أن يكون هناك عالم سابق قد قال بهذا الرّأي ؛ لأنّ باب الاجتهاد مفتوح ، وإذا قلنا بآراء السّابقين فقط فمعنى ذلك أن لا أحد يمكن أن يأتي بتفسير جديد للقرآن ، ولكن ما زال الباب مفتوحًا في تفسير القرآن والتّدبّر في آياته ، والبحوث القرآنيّة لا تقف عند حدّ .

في السّابق اكتشفوا بعض الأشياء ، والآن يكتشفون أشياء جديدة في القرآن ، لا أنّه ندور في فَلَكِ السّابقين فقط ، وهذا أمر طبيعيّ في تطوّر جميع العلوم حتّى العلوم الدّينيّة ، فيوجد تطوّر في أقوال العلماء ، فالعالم اللّاحق يناقش آراء العلماء السّابقين ، فقد يأتي بشيء جديد ، لذلك يوجد مجتهدون مجدِّدون ، أتوا بشيء جديد .

السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر رضوان الله عليه طرح في أصول الفقه آراءً جديدةً لم يَقُلْ بها أحد من العلماء السّابقين ، ولو كان يريد أن يرجع إلى آراء السّابقين فقط فلا يمكنه أن يأتي بشيء جديد ، فهو قد فتح بابًا جديدًا ، ونحاول دائمًا أن نبني على كلام السّابقين ، نأخذ الكلام السّابق ، ونحاول أن نجد شيئًا جديدًا ، طبعًا من خلال الدّليل ، وإذا قال شخص إنه يريد أن يأتي بشيء جديد ، ولكن لا يوجد عنده دليل عليه فلا يُقْبَلُ منه ، لا بدّ أن يكون عنده الدّليل على صحّة رأيه الجديد .

إذن :

إنّ الاختلاف في الآراء ووجهات النّظر في البحوث النّظريّة أمر

طبيعيّ ، ولا بدّ أن نَقْبَلَ ذلك ، ومن الممكن أنّ الباحث يأتي برأي جديد ، وهكذا تتطوّر جميع العلوم ، سواء العلوم الطّبيعيّة أم العلوم الدّينيّة ، فجميع العلوم قابلة للتّطوّر ؛ لأنّ أفهام العلماء متغيّرة ، وكلّما تقدّم الزّمان تراكمت المعلومات ، والمعلومات الّتي بأيدينا اليوم لم تكن في أيدي العلماء السّابقين ، والمصادر الموجودة بأيدينا من كثرتها لا يمكن أن تقرأ جميع ما فيها ، والعلماء السّابقون حينما كانوا يريدون أن يؤلّفوا كتابًا كانوا يعتمدون على كتاب أو كتابين أو ثلاثة ، والآن جميع مصادر العالم بيدك في جميع الأديان والمذاهب والآداب والعلوم ، والمنظومة الفكريّة اليوم منظومة هائلة جدًّا لم تكن بأيدي العلماء السّابقين ، ومن خلال هذه المصادر الهائلة يمكنك أن تبحث في أيّ موضوع من المواضيع ، وقد تجد في كتاب لم يطّلع عليه العلماء السّابقون رأيًا جديدًا لشخص من أيّ دين أو مذهب كان ، علينا أن نأخذ بالمعلومات الصّحيحة مهما كان مصدرها .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : كلمة الحكمة ضالّة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحقّ بها [١] .

عن عليّ أمير المؤمنين عليه السّلام : لا تنظر إلى من قال ، وانظر إلى ما قال [٢] .

النّظر يكون إلى القول ، لا لمجرّد أنّه جاء من ذاك الشّخص فأنت

---

[١] بحار الأنوار ج٢ ص٩٩ ح٥٨ .

[٢] كنز العمّال للمتّقي الهنديّ ج١٦ ص١٩٧ ح٤٤٢١٨ .

لا تقبل ، فإذا جاء الحقّ من أيّ شخص فلا بدّ أن نقبل هذا الحقّ .

الإله الخالق للكون :

مقدّمات عامّة :

نأتي إلى المقدمات العامة لموضوع "الإله الخالق للكون" .

المقدّمة الأولى : النّصوص الدّينيّة للمسلم وغير المسلم :

في أيّ بحث من البحوث حينما نأتي بالنّصوص الدّينيّة فهي موجَّهة إلى الشّخص المؤمن بهذه النّصوص من القرآن الكريم والسّنّة الشّريفة ، وموجّهة أيضًا إلى الشّخص غير المؤمن بإله خالق للكون ، كان مؤمنًا أم لم يكن مؤمنًا ، والهدف منه أن نبيّن لهما أنّ القرآن والسّنّة قد تعرّضا لمثل هذه البحوث ، وأنّ القرآن والسّنّة يصلحان لحلّ جميع الإشكالات والشّبهات ممّا يثبت عالميّة الإسلام ، وعالميّة القرآن ، وعالميّة السّنّة الّتي لا تتعارض مع القرآن .

إنّ القرآن والسّنّة تعرّضا لكثير من البحوث ، ولكن التّقصير من المسلمين .

عن عبدالسّلام بن صالح الهرويّ قال : سمعت أبا الحسن عليّ ابن موسى الرّضا عليهما السّلام يقول : رحم الله من أحيا أمرنا . فقلت له : وكيف يحيي أمركم ؟ قال : يتعلّم علومنا ويعلّمها الناس ، فإنّ النّاس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا . . . [1] .

لا بدّ من أن نأتي بكلام المعصومين عليهم السّلام ونعرضها على

---

[1] عيون أخبار الرّضا للشّيخ الصّدوق ج٢ ص٢٧٥ ح٦٩ .

العالَم ، وسيرى العالَم بأنّ القرآن الكريم وكلام المعصومين عليهم السّلام ليس موجَّهًا إلى المسلمين فقط ، بل موجَّه إلى جميع العالَم ، فالرّسول صلّى الله عليه وآله رسول العالَم ورسول الإنسانيّة ، والأئمّة عليهم السّلام ليسوا أئمّةً للشّيعة فقط ، بل هم أئمّة العالَم أي لكلّ فرد في العالَم حتّى الإنسان الملحد ، ونحن نعتقد أنّه إمام لجميع النّاس ، والقرآن قرآن عالميّ ، والمسلمون أطّروا القرآن ضمن دائرة ضيّقة ، ولا بدّ أن ننظر إلى القرآن أنّه يتكلّم مع كلّ العالم ، فآيات القرآن آيات عالميّة ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام يتكلمون مع العالَم وإن كان الكلام موجَّهًا إلى المسلمين ، فلا توجد خصوصيّة للمسلمين ، وإنّما الكلام كلام عالميّ ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله والإمام عليه السّلام يطبّقان الكلام على المسلمين كمصاديق ، ويمكن تطبيقه على مصاديق أخرى .

القرآن الكريم فيه آيات تتحدّث عن العبادات من الصّلاة والصّيام والحجّ ، وهذه الآيات موجَّهة لمن يؤمن بالإسلام ؛ لأنّ العبادات مطلوبة من المسلم ، وهنا يأتي بحث وهو : هل فروع الدّين مطلوبة من غير المسلمين أيضًا أو لا ؟

ويوجد اختلاف في وجهات النّظر بين العلماء ، فهل الصّلاة مطلوبة أيضًا من المسيحيّ واليهوديّ والبوذيّ والكافر ، بعض العلماء يقول نعم ، وبعض العلماء يقول لا ، ولكن إذا تبنّينا بأنّ القرآن قرآن عالميّ فتكون العبادات مطلوبة من جميع النّاس لا من المسلمين

فقط ، نعم في المقام الأوّل لا بدّ أن يؤمن بالإسلام ، ولكنّ العبادات محسوبة عليهم لأنّهم لم يدخلوا الإسلام .

إذن هناك آيات فيها ذكر العبادات المخصوصة من الصّلاة والصّيام والحجّ ، فهل هي موجَّهة لخصوص المسلمين أو لجميع النّاس في العالم ، نقول إنّ العبادات مطلوبة من المسلم وغير المسلم ، فالعبادات عبادات عالميّة جاءت لجميع النّاس .

وهناك آيات في القرآن تشير إلى أحكام العقل وإلى المبادئ والقيم الإنسانيّة العامّة ، وهذه الآيات آيات إرشاديّة تُرْشِدُ إلى الأحكام العقليّة وإلى المبادئ والقيم الإنسانيّة العامّة ، والعقل موجود عند جميع النّاس ، وكذلك السّنّة الشّريفة فيها روايات إرشاديّة ، وهذه الآيات والرّوايات ليست مختصّةً بمن يؤمن بالإسلام ، وإنّما هي آيات وروايات موجَّهة لجميع النّاس من أيّ دين سماويّ أو غير سماويّ أو حتّى لو كان ملحدًا لا يعتقد بوجود إله ، وستأتي بحوث مستقلّة في موضوع "الأحكام العقليّة في القرآن" حينما نأتي إلى بحث "محوريّة العقل" ، وبحوث مستقلّة في موضوع "المبادئ والقيم الإنسانيّة في القرآن" ، فالقرآن قرآن عالميّ ، والسّنّة النّبويّة سنّة عالميّة .

ونحن نعتقد أنّ الإسلام جاء لجميع النّاس لا لخصوص الأشخاص المعتقدين بالإسلام ، ونريد أن نثبت للعالَم كلّه أنّ الإسلام والقرآن صالحان لحلّ مشاكل البشريّة في كلّ زمان ومكان ، وأنّ له مناهج في جميع المواضيع الّتي تهمّ البشريّة لأجل تكاملها ، وأنّ الآيات والرّوايات

تساهم في تكامل البشر ، وأنّ آيات القرآن موجَّهة إلى جميع أفراد الإنسان على مختلف مستوياتهم العقليّة والعلميّة والتّخصّصيّة ، فالقرآن منهج عالميّ لجميع أفراد الإنسان ، وهذا ادّعاء المسلمين منذ ١٤٤٠ سنة ، ويحتاج إلى إثبات ، ولا يكفي أن يقول الإسلام إنّني صالح لحلّ مشاكل البشريّة ، بل لا بدّ أن يبيّن مناهجه في طرح الحلول ، وتوجد الآن مشاكل عالميّة ، ما هي الحلول الّتي يطرحها الإسلام لحلّ هذه المشاكل ؟

لحدّ الآن الإسلام غير مُفَعَّلٍ بين المسلمين ، ولم يبيّن المسلمون النّظريّات العالميّة الّتي تساهم في حلّ مشاكل البشر ، وتوجد مشاكل عقائديّة ومشاكل فكريّة ومشاكل سياسيّة ومشاكل اقتصاديّة ومشاكل اجتماعيّة .

مثلًا ما هي النّظريّة السّياسيّة في الإسلام ؟

وجهات النّظر مختلفة ، هناك قائل بنظام الخلافة ، وقائل بنظام ولاية الفقيه ، وقائل بأنّ الفقيه ليس له ولاية ، والنّظريّة السّياسيّة للإسلام تقع أيضًا تحت البحث النّظريّ القابل لاختلاف الآراء ، والعلماء يجتهدون ويستنبطون النّظريّة السّياسيّة في الإسلام ، والاختلاف موجود حتّى في المدرسة الواحدة والمذهب الواحد لا أنّه اختلاف بين المدارس والمذاهب فقط ، هل الفقيه يُعْتَبَرُ من أولي الأمر بحيث يمكنه أن يحكم دولة أو لا يمكنه ذلك ، هذا مختلف فيه حتّى عند فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السّلام .

والبحث النّظريّ لا بدّ أن يكون مع الدّليل ، فما هي أدلّتك على أنّ هذه هي النّظريّة السّياسيّة في الإسلام ؟ ما هي أدلّتك على أنّ هذه هي النّظريّة الاقتصاديّة في الإسلام ؟ ما هي أدلّتك على أنّ هذه هي النّظريّة الاجتماعيّة في الإسلام ؟

وهكذا في باقي النّظريات أيضًا .

إذن :

في المقدّمة الأولى النّصوص الدّينية موجَّهة إلى من يعتقد بها ، وموجَّهة أيضًا إلى من لا يعتقد بها ؛ لأنّها تطرح أحكامًا عامّة لجميع النّاس ، والقرآن الكريم يتحدّث مع جميع النّاس في العالم .

المقدّمة الثّانية : الوصول إلى الحقائق مع الدّليل :

الهدف من هذه البحوث في موضوع "عالميّة الإسلام" هو الوصول إلى الحقائق مع ذكر الأدلّة على ذلك ، وحينما تقول إنّ هذه حقيقة فإنّنا نسألك ما هو الدّليل على أنّ هذه حقيقة ، والدّليل هو المهم .

تقول إنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان ، نسألك : ما هو الدليل ؟

تأتي بآيات قرآنيّة ، وتقول إن هذه هي أدلّتي على ذلك ، فيقال لك إنّ هذا لا يثبت أنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان وأنّه دين عالميّ ، ومن الممكن أنّ شخصًا يبتدع دينًا جديدًا ، ويجعل نصًّا في كتابه بأنّ دينه صالح لكلّ زمان ومكان ، فهذا المقدار لا يكفي ، لا بدّ أن تُثْبِتَ صلاحيّة هذا الدّين لكلّ زمان ومكان ، وتثبت ذلك

من خلال النّظريّات العالميّة الموجودة في الدّين ، وأمّا مجرّد أن تقول إنّ نبيّنا بعث رحمةً للعالمين ، فأنت تدّعي ذلك ، ولا بدّ أن تُثْبِتَ هذا للطّرف الآخر ، وأمّا مجرد أنّ دينك يقول عن نفسه بأنّه عالميّ فهذا لا يكفي للإثبات ؛ لأنّ الطّرف الآخر لا يعتقد بالإسلام ، وأنت تقول إنّ القرآن يقول بأنّ الإسلام دين عالميّ ، فيقول لك بأنّه لا يعتقد بالقرآن ، وتقول إنّ الله يقول ذلك ، فيقول لك بأنّه لا يعتقد بهذا الإله الّذي أنت تعتقد به ، وأنّه يعتقد بإله آخر له صفات ومميّزات أخرى لا بالصّفات الّتي أنت تدّعيها لإلهك ، أنت تعتقد بإله شديد العقاب وشديد العذاب ، يقول بأنّه يعتقد بإله رحيم بجميع النّاس ، فكيف يمكن لك أن تثبت أنّ الإله كما يكون رحيمًا من جهة يكون شديد العذاب من جهة أخرى ، وأنّ هذا العذاب يكون داخلا في رحمته ، هذا يحتاج إلى إثبات ، أنت تقول إنّ إلهي الّذي أعتقد به مصدر للخير والشّر ، وهو يقول إنّ الإله الذي أعتقد به هو مصدر للخير فقط ولا يوجد عنده شرّ ، فهذا إشكال عليك أنّ إلهك مصدر للشّرور ،فكيف يمكن أن تدافع عن هذا الإله ؟

سَتَرِدُ على رأيك إشكالات ، ولا بدّ أن يكون عندك الأجوبة ، وإذا لا يوجد عندك الجواب فهذا ينعكس على دينك ، فيقال بأنّ دينك غير صحيح ، والآن هذه الإشكالات توجَّه إلى الإسلام ، وإذا لا تستطيع أن تجيب عن هذه الإشكالات فيقال إنّ الإسلام ضعيف وغير صحيح كدين ، ولا يصلح أن يكون دينًا عالميًّا ، وأنتم أحرار في

أن يكـون الإسـلام دينًـا محلّيًّـا ، مثلمـا هنـاك أديان أخـرى محلّيّـة ، فحينمـا تـدّعي شـيئًا فاسـتعد للإشـكالات والشّـبهات ، ولا بـدّ أن تكون مستعدًّا بالأجوبة ، وإذا لا تملك الأجوبة فآراؤك ضعيفة ، ولا بدّ أن تبحث أكثر في القرآن والرّوايات ، إذا كان القرآن لا يجيب عن هذه الإشكالات فلا يصلح لأن يكون كتابًا عالميًّا ، ولا بدّ أن تكون الأجوبـة في القـرآن ، فالأفكـار العامّـة لا بـدّ أن تكـون في القـرآن ، والتّفاصيل تكون في الرّوايات ، والحلّ العامّ لا بدّ أن يكون في القرآن الكريم ، وإذا لم يكن الحلّ العامّ فيه فإنّ القرآن يكون ضعيفًا ، وأنت تـدّعي أنّ الإسـلام ديـن سمـاويّ أي أنّـه مـن الله الإلـه الخـالق للكـون والعالم بكلّ شيء ، وإلهك يعلم بهذه الخطوط والتّيّارات والأديان فلا بـدّ أن يجعل الأجوبة في كتابه ، وإلّا كـان كتـابًا ناقصًـا ، فابحث عـن الأجوبـة في القـرآن ، وسـتجد أنّ الفكـرة العامّـة موجـودة في الكتـاب الكـريم ، وترجـع إلى الـرّوايات لمعرفـة التّفاصـيل ، وترجـع أيضًـا إلى أحكام العقل ، فالعقل له دور كبير في الدّين ؛ لأنّ الله ميّز الإنسان عـن الحيـوان بالعقـل ، ولا نقـول إنّ جميـع الأحكـام تعبّديّـة فقـط ، فالعقل له دور ، وجميع الأحكام تمرّ على العقل ، مثلًا لو يأتي لك حكم يقول بوجوب صلاة ألف ركعة في اليوم ، هنا العقل يقول بأنّه لا يمكن قبول هذا الحكم ؛ لأنّه لا يوجد متّسع من الوقت لأن تصلّي ألـف ركعـة في اليـوم ، فالعقـل يقـول أنـت مشـتبه في هـذا الحكـم ، لا يوجد مثل هذا الحكم في الدّين ، فجميع الأحكام تمرّ على العقل ،

نعم توجد أحكام تعبّديّة مثل عدد ركعات الصّلاة ، العقل يقول لا دور لي هنا ، صلاة الصّبح ركعتان ، العقل يقول إنّ هذا ليس من اختصاصي لأنّه أمر تعبّديّ ، ولكن هناك أحكام عقليّة موجودة في الدّين ، ففي العقائد أنت تستعمل العقل لا التّعبّد ، نفرض وجود بعض الرّوايات المنقولة في العقائد ، ولكنّها خلاف العقل ، فالعقل يقول لا أقبل ذلك ، مثلًا الإله جسم ، أو الإله يخضع لأحكام الزّمان والمكان ، العقل يقول يستحيل ذلك لأنّ الإله هو الّذي خلق الزّمان والمكان ، فلا يكون تحت نظام الزّمان والمكان ، والجسم معناه أنّه يكون ضمن مكان ، ويستحيل أن يكون الإله جسمًا خاضعًا لأحكام الزّمان والمكان ، بل الإله يكون خارج الزّمان والمكان ، وهذا حكم عقليّ ، ولا يحتاج إلى الآية والرّواية لإثباته ، وإذا أتت آية أو رواية تشير إلى ذلك فهي إرشاد إلى حكم العقل ، وتنبيه للإنسان بأن ينتبه ، فهذا الحكم العقليّ موجود عندك ، لذلك دور الأنبياء عليهم السّلام أنّهم يثيرون دفائن العقول .

في نهج البلاغة الخطبة الأولى رُوِيَ عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام عن دور الأنبياء عليهم السّلام : "وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ العُقُولِ" .

معني ذلك أن هذا الشّيء موجود عندك ، ويأتي النّبيّ عليه السّلام لينبّهك إلى وجود هذا الشّيء عندك ، يقول : ارجع إلى عقلك وستجد أنّ هذا الحكم موجود عندك .

إذن :

الهدف من البحوث في موضوع "عالميّة الإسلام" هو الوصول إلى الحقائق عن طريق الأدلّة .

وهذه الأدلّة قابلة للنّقاش والأخذ والرّدّ والإشكال ، وطبيعة البحوث العلميّة النّظريّة أنّ لها هذه القابليّة ، تأتي بدليل وتقول إنّ هذا الدّليل يدلّ على هذه الحقيقة ، والطّرف الآخر سيناقشك ، بل يناقشك حتّى من يكون ضمن مذهبك ومدرستك ودينك ، وَيُشْكِلُ عليك بأنّ هذا الدّليل لا يدلّ على ما وصلت إليه ، وباب النّقاش مفتوح دائمًا ، فحينما تذكر رأيك مع الدّليل فاستعد للمناقشة .

أنت لم تصل إلى الحقيقة المطلقة ، أنت تظنّ بأنّ هذه هي الحقيقة ، وهكذا يتطوّر الفكر وينمو ويتكامل ، فتأخذ الإشكال وتجيب عليه ، ويأتيك إشكال آخر وإشكال ثالث وإشكال رابع ، ولا تتوقّف الإشكالات .

وحينما تجيب عن الإشكالات فإنّ فكرتك تنمو ، وقد تصل إلى حقيقة أخرى من خلال النّقاش ، وتكون غير ملتفت إلى وجود دليل آخر ، وما يعتقده الإنسان في هذا اليوم أنّه حقيقة قد يتبيّن له في اليوم التّالي أنّه ليس حقيقةً لأنّ الدليل قام على خلافه ، فيغيّر رأيه إلى رأي آخر ، ويظهر له أنّ الحقيقة شيء آخر ، وحتّى أنت في حياتك الاعتياديّة تغيّر كثيرًا من آرائك في كثير من الأمور ، تريد أن تشتري شيئًا وقرّرت أن تذهب لشرائه ، ولكن بعد قليل تغيّر رأيك

وتقول بأنك لا تريده ، والإنسان يغيّر أفكاره دائمًا ، ولا يظلّ على فكرة واحدة ، عندك دليل دلّك على شيء ، وأنت تظنّ بأنّ هذا الشيء حقيقة ، وفي اليوم التّالي تغيّر رأيك وفكرتك واعتقادك .

وهكذا يستمرّ كلّ إنسان طوال حياته في البحث عن الحقائق ، ويسير على أساس الدّليل ، وحينما يحصل على هذا الدّليل يقول بأنّ هذه هي الحقيقة ، ولكن ما يعتقد أنّه حقيقة هل هو مصيب للواقع أو لا ؟

هو يعتقد أنّه مصيب للواقع ، ولكنّه قد يكون مصيبًا للواقع ، وقد يكون مخالفًا للواقع ؛ لأنّ الواقع غير مكشوف لنا ، وهو عليه أن يتّبع الدّليل الّذي بيده ، والدّليل قد يوصله إلى الواقع وقد لا يوصله إلى الواقع ، وهذا هو فهمك للدّليل ، نعم هو يعتقد أنّه قد أصاب الواقع ، ولكنّه قد يكون مخطئًا في اعتقاده ، يعتقد بشيء ، وهو يظنّ بأنّ هذه هي الحقيقة ، ثمّ يتبيّن له أنّ الحقيقة شيء آخر ، وفي البداية كان يعتقد أنّه مطابق للواقع ، تغيّر رأيه وبدأ يعتقد بأنّ الأمر الثّاني هو المطابق للواقع ، وما كان يعتقد أنّه حقيقة تبيّن له الآن بأنّه كان مشتبهًا مخطئًا في كونه حقيقة ، لذلك إذا حصل على دليل آخر يوصله إلى أمر مخالف فإنّه يأخذ بالأمر المخالف ، وهو يعتقد أيضًا بأنّه قد وصل إلى الواقع .

والأمر المهمّ هو أن يتّبع الدليل الّذي يعتقد بصحّته ، وأينما يسير الدّليل فهو يسير معه ، ولا يمكن لأحد أن يدّعي أنّه وصل إلى جميع

الحقائق الواقعيّة إلّا المعصومين عليهم السّلام ؛ لأنّ المعصوم يعلّمه الله بالحقائق الواقعيّة ، فالواقع مكشوف أمام المعصوم ، وقد يخفي الله عن المعصوم بعض الحقائق ، كما في قصّة نبيّ الله موسى عليه السّلام والعبد الصّالح ، النّبيّ موسى عليه السّلام لم يكن يعلم ببعض الأمور ، والعبد الصّالح كان يعلم بتعليم من الله ، فالله تعالى يمكن أن يخفي بعض الحقائق عن أنبيائه ، فالعلم الموجود عند المعصومين عليهم السّلام ليس علمًا ذاتيًّا ، وإنّما هو بتعليم من الله ، لذلك حينما نقول بأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله يعلم الغيب ويعلم بأمر مستقبليّ فهذا ليس علمًا ذاتيًّا نابعا من ذات النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، بل هو بتعليم من الله ، وبعض الأنبياء يأتون بالمعاجز ، ولكنّه بإذن من الله تعالى ، وبقدرة منه عزّ وجلّ .

"وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِ اللهِ وأحْيِي المَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ" [1] .

وينقل القرآن الكريم عن نبيّ الله نوح عليه السّلام :

"قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ العَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" [2] .

---

[1] آل عمران : ٤٩ .

[2] الأعراف : ٦١-٦٢ .

فلا يوجد عند أحد علم ذاتيّ إلّا الله عزّ وجلّ ، فعلم الله علم ذاتيّ ، وأمّا علم البشر فبتعليم من الله تعالى ، وتختلف الدّرجات من إنسان لآخر ، ونحن نعتقد أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله عنده قمّة العلم ، وهو أوسع علما من جميع النّاس .

إنّ الإنسان الّذي يكون صادقًا في البحث عن الحقيقة فإنّه يقبلها حينما يقوم الدّليل عليها ، ولا يعاند ولا يرفض ما قام عليه الدّليل إلّا إذا تبيّن له خطأ هذا الدليل ، فيستمرّ في البحث عن الحقيقة من أيّ مصدر كان ، ومن أيّ شخص جاء سواء كان على دينه ومذهبه أم لم يكن على دينه ومذهبه ، فليكن شعارنا في حياتنا هو البحث عن الحقائق الّتي قامت عليها الأدلّة .

والبحث عن الحقيقة أمر فطريّ وعقليّ في كلّ إنسان سواء كان مؤمنًا بوجود إله أم لم يكن مؤمنًا ، فمن فطرة الإنسان وعقله أنّه يبحث عن الحقيقة ، وإذا وصل إلى حقيقة ما واعتقد بهذه الحقيقة فالمفروض أنّه يُقِيمُ فكرَه ونظريّاتِه وحياتَه وسلوكيّاتِه وبدايتَه ونهايتَه على أساس ما يعتقد أنّه حقيقة .

والكثير من النّاس قد يصلون إلى معرفة الحقيقة ، ولكنّهم لا يرتّبون الآثار على اعتقادهم بهذه الحقيقة نتيجة الهوى والرّغبات والشّهوات والمصالح الشّخصيّة وغير ذلك .

ومن يصل إلى حقيقةٍ وينكرها ولا يرتّب آثارها يسمّى بالمصطلح القرآنيّ "الجاحد" و"الكافر" ، فهو يعرف الحقيقة ، ولكنّه ينكرها ولا

يرتّب الآثار عليها ، فهذا هو الكافر في القرآن ، وأكثر النّاس ليسوا كفّارا ؛ لأنّ الحقيقة لم تصل إليهم ، فلو وصلت الحقيقة إليهم لآمنوا ، ولكنّ المسلمين قصّروا في إيصال الحقائق إلى النّاس ، فالكافر الجاحد يعرف الحقيقة وينكرها ولا يرتّب آثارها .

"فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا" [١] .

جحد مع وجود العلم عنده ، فالجحود يجتمع مع العلم ، فيكون عالِمًا جاحدًا ، فهو يعلم به قلبًا ، ولكنّه ينكره لسانًا .

"وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ" [٢] .

ضلّ مع وجود العلم عنده ، فالضّلال يجتمع مع العلم ، فيكون عالِمًا ضالًّا ، فعنده علم ، ولكنّه لا يرتّب الآثار على علمه ، فيضلّ مع علمه .

"إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ" [٣] .

ارتدّوا مع معرفتهم بالهدى ، فالارتداد يجتمع مع العلم ، فيكون عالِمًا مُرْتَدًّا ، ومن هذه الآية نفهم أنّ المرتدّ لا بدّ أن يتبيّن له الهدى أوّلًا ، فيعلم ويرتدّ ، وأمّا الجاهل فلا يكون مرتدًّا ، ولا يُطْلَقُ عليه

---

[١] النّمل : ١٣-١٤ .

[٢] الجاثية : ٢٣ .

[٣] السّورة السّابقة : ٢٥ .

عنوان "المرتدّ" ، مثلًا مسلم ترك الإسلام ، إذا كان لا يوجد عنده علم لأنّه جاهل بالإسلام وهو يتساءل ليعرف فهذا لا يسمّى مرتدًّا ، كم من المسلمين الآن يتساءلون ، هل الله موجود ، أو قد يقول أنا لا أعرف فأقيموا لي الدّليل على أنّ الله موجود ، يأتي في مقابلة ويسأل ما هو الدّليل على وجود الله ، فترى الطّرف الآخر يغضب ويطردونه من المقابلة ، لم تجيبوا على سؤاله ، وعلى العكس هو سيتمسّك بعدم الإيمان أكثر .

وفي بعض الفضائيّات يعرضون مقابلات مع الملحدين ، مع أنّه في الواقع لا يوجد ملحد تمامًا ، يظلّ عنده احتمال أنّ الإله موجود ولو كان احتمالًا ضعيفًا ، وسأنقل لكم كلام من يُعْتَبَرُ أنّه رأس الإلحاد "ريتشارد دوكنز" ، في كلامه أنّه يوجد احتمال ضعيف لوجود الإله ، فهو ليس ملحدًا تمامًا ، فلا يوجد في العالَم ملحد تمام الإلحاد ، لأنّه كما يطلب منّا الدّليل على إثبات وجود الإله ، نطلب منه الدّليل على عدم وجود الإله ، فالطّرفان مطلوب منهما إقامة الدّليل على صحّة اعتقادهما ، لا أنّ الإثبات يكون فقط من القائلين بوجود الإله ، فحتّى من يقول بأنّه لا يوجد إله لا بدّ أن يُثْبِتَ ذلك .

إذن الارتداد يكون بعد ما يتبيّن له الهدى ، ويكون عالِمًا لكي يُطْلَقُ عليه عنوان "المرتدّ" ، تقول أقمنا له الأدلّة ، نقول قد يكون طرحك للدّليل طرحًا ضعيفًا ، فلا بدّ أن تكون أدلّتك أدلّة قويّة .

تقول إنّ الفطرة تدلّ على وجود الله ، نقول لك تفضّل اثبت

ذلك ، هذه كلمة تحتاج إلى تفصيل ، وتأتيك الأسئلة التّالية :

ما هي الفطرة ؟

وكيف يمكن أن تثبت أنّ الفطرة دالّة على وجود الإله ؟

تقول إنّ الأمر واضح ، فالفطرة دالّة على وجود الإله ، نقول اشرح ذلك ، هذه الجملة يمكن شرحها في كتاب ، وأوّل ما تتحيّر فيه هو ما هي الفطرة .

تقول إنّ العقل يدلّ على وجود الإله ، نقول اثبت ذلك ، وتأتي الأسئلة التالية :

ما هو العقل ؟

وما هو الدّليل العقليّ الّذي يثبت وجود الإله ؟

تقول عندنا أدلّة فطريّة وأدلّة عقليّة تثبت وجود الإله ، نقول اشرح ذلك بالتّفصيل ، ولا تقتصر على الشّعارات .

ويقول القرآن الكريم :

"إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى لَن يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ" [1] .

كفروا بعد معرفتهم الهدى ، فالكفر يجتمع مع العلم ، فيكون عالِمًا كافرًا ، فالكافر هو الّذي يعلم ويجحد وينكر ، وأمّا الجاهل فلا يُطْلَقُ عليه عنوان "الكافر" .

---

[1] محمّد : ٣٢ .

"**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ**" [1] .

هو مؤمن ، ولكنّه في نفس الوقت مشرك ، والشّرك في هذه الآية شرك طاعة لا شرك عبادة كما في الرّواية .

عن أبي جعفر (أي الباقر) عليه السّلام في قول الله تبارك وتعالى : "**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ**" ، قال : شرك طاعة ، ليس شرك عبادة ، والمعاصي الّتي يرتكبون فهي شرك طاعة ، أطاعوا فيها الشّيطان فأشركوا بالله في الطّاعة لغيره ، وليس بإشراك عبادة أن يعبدوا غير الله [2] .

من يطيع الشّيطان يكون مشركًا بالله من ناحية عمليّة وإن كان يعتقد بالله تعالى من ناحية نظريّة ، فهو لا يرتّب أعماله على إيمانه النّظريّ ، يكون مؤمنًا من ناحية نظريّة ، ومشركًا من ناحية عمليّة ، فالإيمان يجتمع مع الشّرك ، فيكون مؤمنًا مشركًا ، والآية تدلّ على أنّ أكثر المؤمنين مشركون .

ولا بدّ أن يراجع الإنسان نفسه ، إذا أطاع الشّيطان فهو مشرك ، والإنسان الّذي يرتكب الحرام يكون مشركًا بالله من ناحية عمليّة ، فمن يقول أنا أعتقد بالله فالمفروض أن يرتّب الآثار ، ومن الآثار طاعة الله في كلّ شيء ، وهذا يعني أنّه لا بدّ أن يكون في أعماله معصومًا ، ولا يطيع الشّيطان في أيّ عمل ، هذا العمل واجب فيأتي

---

[1] يوسف : ١٠٦ .

[2] بحار الأنوار ج٦٩ ص٩٤ ح٥ .

به ، وذاك العمل حرام فيتركه ، فالمطلوب من الإنسان أن يكون معصومًا في أعماله ، يعني أنّ كلّ مؤمن لا بدّ أن يكون معصومًا بالعصمة الصّغرى ، وهي العصمة في الأعمال ، وأمّا العصمة الكبرى فهي للمعصومين من الأنبياء والأئمّة عليهم السّلام ، لهم عصمة خاصّة حتّى في الأفكار والاعتقادات والنّفسيّة .

إنّ الإنسان الّذي يعتقد بإله لا بدّ أن يرتب الآثار ، لا فقط في الأعمال بل حتّى في الأفكار الّتي يفكّر بها ، فلا بدّ أن تكون أفكاره انعكاسًا لاعتقاده ، لا فقط الأعمال ، لا بدّ أن تكون نفسيّته قائمةً على أساس اعتقاده ، يعني أنّ نفسيّته تكون نفسيّة صالحة ، لا يوجد فيها شرّ ، وتكون مصدرًا للخير ، والصّفات الأخلاقيّة السّيّئة لا تكون موجودةً فيه ، وقلبه مملوء بالصّفات الأخلاقيّة الحسنة فقط ، فيرتّب الآثار من ناحية الأفكار ، ومن ناحية الباطن والقلب ، ومن ناحية الأعمال الخارجيّة ، ومن ناحية العقائد الّتي يعتقد بها والّتي تكون ضمن الأفكار ، فالاعتقاد بالله ليس عبارة عن قول فقط ، وإذا قال : "أعتقد بالله" – فلا بدّ أن يلتزم باللّوازم ، ونسأل :

الآن المسلمون بشكل عامّ هل يلتزمون بلوازم الاعتقاد بالله تعالى ؟

الجواب :

لا ، لو كنّا كأمّة نلتزم بلوازم الاعتقاد بالله لكنّا خير أمّة أُخْرِجَتْ للنّاس ، لا أنّه كنتم خير أمّة ، بل الآن نكون خير أمّة ، والمسلمون يأتون دائما بالآية القرآنيّة الّتي تقول :

"**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**" [1] .

"**كُنتُمْ**" في الماضي لا في الحاضر ، ونحن نريد أن نكون في الحاضر خير أمّة ، والمسلمون اليوم في ذيل الأمم ، فإذا صرنا اليوم خير أمّة فإنّنا نصير سادة العالم ، نكون مثالًا للعالم ، وحينذاك يدخل النّاس في الإسلام ، ولكنّهم يرون المشاكل الموجودة بين المسلمين اليوم فيقولون إنّ الإسلام هو السّبب ، أنتم منقسمون إلى مذاهب ، وكلّ مذهب يكفّر المذهب الآخر ، ولو كنتم تعتقدون بالإسلام فعلًا فلا بدّ أن تعتقدوا أنّ جميعكم مسلمون ، ولكن حينما يكفّر كلّ طرف الطّرف الآخر ويريد أن يقتل الطّرف الآخر – في هذه الحالة يقولون إنّ الإسلام هو المشكلة ، وإذا لم يستطع الإسلام أن يحلّ مشاكلكم أيّها المسلون فكيف تريدون من العالم أن يدخل الإسلام ؟!

وإذا دخلوا الإسلام فستأتيهم نفس المشاكل الموجودة عندكم ، فلا نريد هذا الإسلام الّذي تقولون به .

لا بدّ أن ننظر إلى الإسلام من وجهة نظر الآخرين ، أنت تقول نريد أن يسلم كلّ العالم ، فإذا أسلموا ستزيد المشاكل في العالم ؛ لأنّ هذه المشاكل الموجودة بيننا ستنتقل إلى جميع العالم ، ولن ينتهي العالم من المشاكل ، ومن يطلب اللّجوء إلى أين يذهب لأنّ كلّ العالم يعيشون نفس المشاكل ؟!

وأشير إلى نقطة هامّة ، فحينما أذكر إيجابيّة من إيجابيّات الدّول

---

[1] آل عمران : ١١٠ .

الغربيّة أو الشّرقيّة فهذا لا يعني أن نقبل كلّ شيء عندهم ، نعم هناك إيجابيّات نقبلها ، وسلبيّات نرفضها ، والآن المسلمون بالعكس ، يأخذون السّلبيّات ويتركون الإيجابيّات ، فالسّلبيّات الموجودة في الغرب تنتقل إلينا ، ولكن لا يأخذون الإيجابيّات ، مثلًا هم يهتمّون بالوقت ، والمسلمون يهدرون الوقت ، وهم يهتمّون بالعلم والثّقافة والفكر ، والمسلمون لا يهتمّون بها ، فهناك مجموعة من الإيجابيّات عندهم ، والمفروض أنّ هذه الإيجابيّات تكون عند المسلمين ، فنحن أهل الله وأهل الإسلام وأهل القرآن ، فلماذا السّلبيّات عندنا والإيجابيّات عندهم ؟

والمفروض أن تكون جميع الإيجابيّات عندنا ، ولا بدّ أن نكون سادة العالم بالحقّ ، فننشر العدل في العالم ، ونكون شرطيّ العالم ، ولكن بالحقّ .

ونذكر الأسبوع القادم بعض المقدّمات الأخرى قبل الدّخول في موضوع "الإله الخالق للكون" ؛ لكي نطرح الأدلّة الّتي تثبت وجود الإله ، مع طرح الإشكالات وبيان الرّدود والأجوبة عليها ، والبحث واسع جدًّا ، وأهمّ بحث هو بحث "الإله الخالق للكون" ، وبعد أن نثبت وجود إله الكون يمكن أن ننتقل إلى أيّ موضوع آخر .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٣٩)

الإله الخالق للكون

تابع المقدّمة الثّانية

الوصول إلى الحقائق مع الدّليل [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

تابع المقدّمة الثّانية : الوصول إلى الحقائق مع الدّليل :

كان الكلام في أنّ الهدف من هذه البحوث في موضوع "عالميّة الإسلام" هو الوصول إلى الحقائق مع الأدلّة ، وأنّ العلوم تتطوّر عن طريق النّقاش في الأدلّة والأخذ والرّدّ والإشكال والجواب ، وأنّ الإنسان حينما يصل إلى حقيقة ما عن طريق الدّليل فهو يظنّ بأنّه قد أصاب الواقع مع أنّه قد يكون مخطئًا ، وفي اليوم التّالي قد يغيّر رأيه لأنّه حصل على دليل آخر ، وهذا الدّليل الآخر قد يدلّ على رأي

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٢ جمادى الآخرة ١٤٤٠ هـ ، الموافق ٢٠١٩/٢/٨ م .

مخالف للرّأي الأوّل ، ومع ذلك يعتقد أنّه قد أصاب الواقع مع أنّه الرّأي المقابل للرّأي الأوّل .

إنّ حركة الإنسان للوصول إلى الحقائق تكون عن طريق الأدلّة ، فهذا الدّليل يوصلك إلى هذه الحقيقة ، وأنت تظنّ بأنّها حقيقة مع أنّها قد تكون مخالفةً للواقع ، ولكن هذا هو اعتقادك ، والإنسان يُحاسَبُ على أساس الدّليل ، فيحاسب في قبره وفي يوم القيامة على أساس الدّليل ، فَيُسْأَلُ : ما هو دليلك ؟ أنت اعتقدت بالله فما هو دليلك ؟ وأنت لم تعتقد بالله فما هو دليلك ؟

هذا الملحد يُحَاسَبُ فيُسْأَلُ أيضًا : لماذا لم تعتقد بالإله ما هو دليلك ؟

وهذا اليهوديّ يُحَاسَبُ فيُسْأَلُ : ما هو دليلك ؟

والمسيحيّ يُحَاسَبُ فيُسْأَلُ : ما هو دليلك ؟

وذاك البوذيّ يُحَاسَبُ فيُسْأَلُ : ما هو دليلك ؟

كلّ إنسان سَيُحَاسَبُ سواء كان دينه دينًا سماويًّا أم دينًا وضعيًّا ، ويحاسب على أساس دليله ، ولا يكفي أن يقول إنّني قلّدت آبائي وأجدادي ، فلا بدّ أن يكون عنده دليل مُقْنِعٌ .

والإنسان إذا عُرِضَ عليه الدّليل وكان دليلًا مقنعًا فلا بدّ أن يأخذ بالحقيقة الّتي دلّ عليها الدّليل ، وقلنا هو حقيقة في اعتقاده فقط ، ومن يصل إلى الحقيقة وينكرها يكون جاحدًا ، وإذا كان الكفر بمعنى "الجحود" فيكون كافرًا بهذا الأمر المعيّن .

والإنسان قد يكون كافرًا بشيء واحد ، مع أنّه مؤمن بأشياء أخرى كثيرة ، فهناك حقيقة يعرفها ، ولكن لا يرتّب الآثار عليها ، فيكون جاحدًا بهذه الحقيقة ، وكافرًا بهذه الحقيقة فقط .

يقول القرآن الكريم :

"وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ" [١] .

والرّواية بيّنت نوع الشّرك ، وأنّه شرك طاعة لا شرك عبادة .

عن أبي جعفر (أي الباقر) عليه السّلام في قول الله تبارك وتعالى : **"وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ"** ، قال : شرك طاعة ، ليس شرك عبادة ، والمعاصي الّتي يرتكبون فهي شرك طاعة ، أطاعوا فيها الشّيطان فأشركوا بالله في الطّاعة لغيره ، وليس بإشراك عبادة أن يعبدوا غير الله [٢] .

هو يعبد الله تعالى ، ولكنّه يطيع الشيطان ، هو يعرف الحكم الشّرعي ، ولكن لا يعمل به ، وكلّ شخص منّا قد يقع في هذا النّوع من الشّرك ، فيعلم بالحكم الشّرعيّ ، ولكنّه لا يعمل به ، ولا يرتّب الأثر على علمه .

الإنسان يعلم أنّ الكذب حرام ، ولكنّه أحيانًا يتغاضى ، يكذب لأجل مصلحة ، وهو قد يبرّر كذبه ، قد يقول بأنّه يستعمل التّورية ، ولكنه كذب ، يريد أن يبرّر لنفسه هذا الكذب .

---

[١] يوسف : ١٠٦ .

[٢] بحار الأنوار ج٦٩ ص٩٤ ح٥ .

الإنسان يعرف أنّ قطع الرّحم حرام ، ومع ذلك يقطع الرّحم مع أنّه يعلم بحرمته ، فهو في هذه النّقطة يكون جاحدًا ؛ لأنّه لا يرتّب الأثر العمليّ ، فيطيع الشّيطان ، وحينما يطيع الشّيطان في شيء يكون مشركًا ، فهو من ناحية نظريّة يقول بأنّه يؤمن بالله ويعبد الله ، ولكنّه من ناحية عمليّة لا يرتّب الأثر العمليّ على هذا الإيمان والاعتقاد .

هذه خلاصة لما طرحناه في الأسبوع الماضي ، ونبدأ محاضرة هذه اللّيلة .

تكملة الموضوع :

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : لا تقاتلوا الخوارج بعدي ، فليس من طلب الحقّ فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه [1] .

الخوارج كانوا طلّاب حقيقة ، ولكنّهم أخطأوا الطّريق فلم يصيبوا الحقّ ، فهم لم يطلبوا الباطل مع العلم بكونه باطلًا ، هم طلبوا الحقّ ، وكانوا يتصوّرون أنّ ما وصلوا إليه هو الحقّ ، ولكنّهم أخطأوا الطّريق لأنهم لم يأخذوا من النّبع الصّافي ، من الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السّلام ، كان في تصوّرهم أنّ هذا هو الحقّ .

قال ابن ميثم البحرانيّ : هؤلاء ما طلبوا الباطل بما هو باطل ، بل طلبوا الحقّ بالذّات ، فوقعوا بالباطل بالعَرَض ، واعلم أنّ هذا نصّ أنّهم كانوا طالبين للحقّ ، وبيانه أنّ معظم رؤسائهم كانوا على غاية

---

[1] نهج البلاغة ، كلمات أمير المؤمنين عليه السّلام ٦١ .

من المحافظة على العبادات كما نُقِلَ عن الرّسول صلّى الله عليه وآله حيث وصفهم فقال : "حتّى أنّ صلاة أحدكم لَتُحْتَقَرُ في جنب صلاتهم" ، وكانوا مشهورين بالصّلاح والمواظبة على حفظ القرآن ودرسه . . . [1] .

كان الخوارج أهل عبادة ، ولكنّهم لم يستفيدوا من عباداتهم ؛ لأنّهم كانوا غافلين عن غايات الأحكام .

في مفردات الرّاغب الأصفهانيّ : الجحود هو نفي ما في القلب إثباته ، وإثبات ما في القلب نفيه . انتهى .

هو يعلم أنّ هذا حقّ ، ولكن لا يأخذ به ، ويعلم أنّ ذاك باطل فلا يتركه ، ويعمل بخلاف علمه .

مثلًا من يعرف أنّ الخمر حرام ، ومع ذلك يشرب الخمر ، مثل بعض المسلمين ، هو يعلم بحرمة شرب الخمر ، ولكنّه لا يرتّب الأثر على علمه ، فهذا يكون جاحدًا في هذا الأمر فقط ، فجحوده يكون في أمر واحد فقط ، وقد يرتّب الآثار في الأمور الأخرى ، فلا يكون جاحدًا في الأمور الأخرى ، ومن الممكن أنّه يصلي ، ولكنّه يشرب الخمر ، هو من ناحية الصّلاة رتّب الأثر فصلّى ، ولكنّ صلاته لا تنهاه عن الفحشاء والمنكر ، أَتَى بالصّلاة الظّاهرية ، وأمّا الصّلاة الباطنيّة فالعلم عند الله ، فهو عنده علم ويقين ، ولكن لا يوجد عنده تصديق وإيمان قلبيّ وترتيب الأثر على هذا العلم ، هذا هو الجحود

---

[1] شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحرانيّ ج١ ص١٥٥ .

والعناد ، ولكنّه جاحد من هذه الجهة فقط .

وطبعًا نستفيد أنّ الإنسان لا بدّ أن يراجع نفسه ليرى أنّ أعماله تتوافق مع إيمانه واعتقاده بالله أو لا ، هل هناك بعض الأمور يكون جاحدًا فيها ، فيراجع نفسه ، هل بعض الأحيان يتغاضى عن الحقّ ، يعلم أنّ هذا حقّ ، ولكنّه يتغاضى لأجل مصلحة ما ، يعلم أنّه باطل ويأتي به ، فهو يعلم بالحكم الشّرعيّ ، ولكنّه لا يرتّب الأثر ، وهذا مهمّ بالنّسبة لكلّ إنسان ، فإذا كنت معتقدًا بشيء أنّه حق ، فلا بدّ أن تأتي بالآثار المترتّبة على هذا الحقّ ، تعتقد بالله فترتّب الآثار ، كطاعة الله والالتزام بالأحكام وعدم التّنازل عن الحكم الشّرعيّ .

إنّ من يعتقد بديانة أخرى غير الإسلام سواء كانت ديانةً سماويّةً من المسيحيّة واليهوديّة أم ديانة وضعيّة أرضيّة كالبوذيّة ، وكذلك الملحدون والمنكرون لوجود الإله نسأل السؤال التّالي عنهم :

هل يعتبرون جميعًا من الجاحدين ؟

الجواب :

لا ، لا يُعْتَبَرُونَ من الجاحدين ، ليس كلّهم يعرفون الحقّ فيجحدونه ، فالبعض عندهم شبهات ، والبعض منهم يتّبعون الدّليل الّذي يعتقدون بصحته ، وهو يعتقد أنّ هذا هو الحقّ ، لذلك لو سألته عن الدّليل فإنّه يأتي بدليله ، لا نقول بأنّ دليله صحيح ، ولكنّه يعتقد بصحّة دليله ، نسأل : هذا البوذيّ لماذا صار بوذيًّا ؟

البعض صار بوذيًّا اتّباعًا للآباء والأجداد ، ولكن يوجد فيهم

مفكّرون ، وهم الّذين عندهم القدرة على إعطاء الدّليل ونقاش أدلّتك ، والبعض منهم يتّبع الدّليل .

إنّ كثيرًا من غير المسلمين صادقون في طلبهم للحقيقة ، ولكنّهم أخطأوا الطريق ، ونحن كمسلمين نعتقد أنّهم طلبوا الحقّ ، ولكنّهم لم يصيبوه ؛ لأنّ أدلّتنا على خلاف أدلّتهم ، وكلّهم طالبون للحقيقة ، وكلّهم يعتقدون أنّهم أصابوا الحقيقة ، وخاصّةً المفكرون منهم .

ولا نقول عنهم إنّهم ليسوا على شيء ، وهذا منهج قرآني ، فمن يقول إنّ الطرف الآخر ليس على شيء فهو قول الّذين لا يعلمون أي قول ينطلق من الجهل لا من العلم ، فهو قول الجاهلين الّذين يظنّون بأنّ جميع الحقائق عندهم ، وأنّ الطرف الآخر لا يملك شيئًا من الحقيقة .

ولا بدّ أن نعرف أنّ كلّ شخص عنده أجزاء من الحقيقة لا كلّ الحقيقة ، والحكمة ضالّة المؤمن يأخذها أنّى وجدها ومن أيّ شخص جاءت ولو كانت من عند غير المسلم .

نفرض ملحدًا عنده شيء من الحقيقة فنأخذ منه هذه الحقيقة ، نرفض الأمور السّلبيّة ونأخذ الأمور الإيجابيّة منهم ، وطلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة ، وطلب العلم مطلوب ولو كان عند غير المسلمين ، لذلك نجد في الرّوايات :

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : اطلبوا العلم ولو بالصّين [1] .

---

[1] بحار الأنوار ج١ ص١٧٧ ح٥٥ .

وعنه صلّى الله عليه وآله : كلمة الحكمة ضالّة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحقّ بها [١] .

وعن عليّ أمير المؤمنين عليه السّلام : الحكمة ضالّة المؤمن ، فَخُذِ الحكمة ولو من أهل النّفاق [٢] .

إنّ العلم والحكمة ضالّة المؤمن ، فأيّ شخص يأتي بعلم وحكمة فنأخذهما منه .

ويقول القرآن الكريم :

"وَقَالَتِ اليَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ اليَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونُ" [٣] .

الإنسان الجاهل يقول إنّ الطّرف الآخر لا يوجد عنده شيء ، لا بدّ أن نستفيد من الحقّ الموجود الطّرف الآخر .

يوجد أطراف وأديان ومذاهب ومدارس ، واليهود والنّصارى من باب المثال ، فالمسلم يقول للبوذيّ إنّه ليس على شيء ، والبوذيّ يقول إنّ المسلم ليس على شيء ، مع أنّك لو قرأت أقوال بوذا فإنّك تجد أنّها حِكَمًا ، ويمكن أن يستفيد منها الإنسان المسلم ، كلمات فيها حكمة .

---

[١] بحار الأنوار ج٢ ص٩٩ ح٥٨ .

[٢] المصدر السّابق ج٢ ص٩٩ ح٥٧ .

[٣] البقرة : ١١٣ .

سؤال : من الذي يحكم إذا كان يوجد اختلاف بين النّاس ؟

الجواب :

إنّ الله فقط هو الّذي يحكم بين النّاس فيما هم فيه يختلفون ، ونرى اليوم بأنّ كلّ فرقة تريد أن تحكم على الفرق الأخرى ، وكلّ فرقة تقول أنا الفرقة النّاجية وغيري في النّار ، وهذا خلاف المنهج القرآنيّ أن تقول إنّ الطّرف الآخر ليس على شيء ، استمع إليه وخذ منه العلم والحكمة ، واترك ما لا يكون علمًا وحكمةً .

وهذه الآيات الكريمة تأتي في بحث "حرّيّة الاعتقاد" ، فهل المنهج القرآنيّ هو حرّيّة الاعتقاد أو لا ؟ وما هي الأدلّة القرآنيّة على حرّيّة الاعتقاد ؟ ومن الّذي يحكم على الآخرين المخالفين لاعتقادك ؟

وطرحنا سابقًا محاضرتين عن "حرّية الاعتقاد" ، وتوجد آيات كثيرة تدلّ على حرّيّة الاعتقاد ، والله تعالى فقط هو الحاكم والحَكَم على الآخرين ، والله فقط هو الّذي يفصل بين المتخالفين ، فأنت في الدّنيا عندك دليل وتتّبع هذا الدّليل ، والحساب على الله تعالى .

"إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي" [١] .

"إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ" [٢] .

"فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلَاغُ وَعَلَيْنَا الحِسَابُ" [٣] .

---

[١] الشّعراء : ١١٣ .

[٢] الغاشية : ٢٥-٢٦ .

[٣] الرّعد : ٤٠ .

إنّ أدلّتنا أوصلتنا إلى الاعتقاد بوجود إله خالق مدبِّر للكون ، وأنّ الرّسول محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وآله هو خاتم الرسل ، ونعتقد بوجود أئمّة معصومين بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله ، ونعتقد بصحّة أدلّتنا ، ونعتقد أنّ ما وصلنا إليه مطابق للواقع .

ولا بدّ أن ننظر إلى الطّرف الآخر ، هم أيضًا يعتقدون أنّ عندهم أدلّة ، طبعًا المفكّرون منهم ، وأمّا متّبعو الآباء والأجداد فيوجد مثلهم بين المسلمين أيضًا ، ويعتقدون أنّهم أصابوا الواقع أيضًا ، فليس جميع النّاس مغرضين ويريدون تخريب الدّين .

وقد يكون للمسلمين دور في انتشار الإلحاد في العالم ؛ لأنّهم لم يلتزموا بالأخلاق الإسلاميّة في التّعامل مع الآخرين ، فكما نطلب من الآخرين احترام آرائنا فلا بدّ أن نحترم آراءهم ، وكما نريدهم أن لا يطعنوا في مقدَّساتنا فلا بدّ أن لا نطعن في مقدَّساتهم ، فالبوذيّ عنده مقدّسات ، مثلًا قد يكون عنده كتاب مقدَّس ، فليس من حقّ المسلم أن يضع قدمه على كتابهم المقدَّس ، وعندهم شخصيّات مقدَّسة ، فلا تطعن في شخصيّاتهم ، نعم تناقش أدلّتهم ، وباب الحوار لا بدّ أن يكون مفتوحًا بين جميع الأديان والمذاهب والفلسفات والحضارات ؛ لأجل الوصول إلى الحقائق عن طريق الأدلّة ، وندعو إلى فتح باب الحوار بين الأديان والحضارات ، وليس إلى الصّراع بين الأديان والحضارات وإقصاء الآخر والدّعوة إلى القضاء عليه ، فالفكر يُواجَهُ بالفكر ، والدّليل يواجه بالدّليل ، والعلم يواجه بالعلم ، والثّقافة

تواجه بالثّقافة ، وإذا كنت كمسلم تعتقد أنّ أدلّتك قويّة فلا تخف واعرضها على النّاس ، وأمّا إذا كنت تخاف من آراء الآخرين فاعلم أنّك غير واثق من آرائك وأدلّتك ودينك ، فأنت ضعيف ، وعصرنا هو عصر المعلومات وعصر الحوار وعصر التّعارف بين جميع النّاس ، وهذا منهج قرآنيّ .

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ" [1] .

لا بدّ أن تتعارف الشّعوب على بعضها البعض ، وتعرف بعضها البعض .

لوازم التّعارف بين النّاس :

اللّازم الأوّل :

التّعارف بين النّاس لازمه احترام الآخر ، فلا بدّ أن يوجد احترام متبادل بين جميع الأطراف .

اللّازم الثّاني :

والتّعارف بين النّاس لازمه أيضًا تقبّل الاختلاف بين النّاس في ضمن الدّين الواحد ، فيوجد اختلاف في الآراء في المذهب الواحد ، وفي كلّ مسألة من المسائل الدّينيّة حتّى في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام يوجد اختلاف بين العلماء في الرّأي ، ففي كلّ مسألة يوجد رأيان أو ثلاثة أو أربعة ، ولا توجد مسألة لا يوجد فيها اختلاف في

---

[1] الحجرات : ١٣ .

الرّأي ، وأقلّ شيء مسائل الفقه العمليّ ، افتح الرّسائل العمليّة وسترى الاختلاف بين الفقهاء في آرائهم ، ترى أنّ الدّليل واحد ، ولكنّه يؤدّي إلى نتائج مختلفة ؛ لأنّ أفهام العلماء ومنظومتهم الفكريّة مختلفة ، فالنّظرية بين العلماء قد تكون واحدة وقد تكون مختلفة ، وفي النّظريّة الواحدة توجد عند العلماء الّذين يتبنّون هذه النّظريّة نتائج مختلفة ، وفي النّظريات المختلفة توجد نتائج مختلفة أيضًا ، والنّظريّة هي ما يُطْلَقُ عليها في زماننا "القراءة" ، فقراءات العلماء مختلفة ، وضمن القراءة الواحدة تكون الأفهام والآراء مختلفة .

مثلًا قد يتبنّى العلماء نظريّة عدم دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، ولكنّ النتائج الّتي يصلون إليها نتائج مختلفة ، وهذا ضمن النّظريّة الواحدة والقراءة الواحدة ، والعلماء الآخرون يتبنّون نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام فيصلون إلى نتائج مختلفة .

ولا بدّ أن نتقبّل اختلاف آراء النّاس في الموضوع الواحد ، والتّقبّل لا يعني القبول ، أنت تتقبّل الاختلاف ، ولكن ليس بالضّرورة أن تقبل رأيه ، تتقبّل وجود الاختلاف بين النّاس في الآراء ، تقول هو مختلف عنّي ، ولكن أنت أيضًا مختلف عنه ، ولا تطرح نفسك كمقياس للحقّ والباطل ، فتقول أنا الحقّ وغيري باطل ، نعم أنت عندك شيء من الحقّ ، وهو عنده شيء من الحقّ .

اللّازم الثّالث :

والتّعارف بين النّاس لازمه أيضًا تقبّل الاختلاف في الأديان

والأفكار المختلفة ، فالنّاس مختلفون في أديانهم وثقافاتهم وعاداتهم وتقاليدهم وتوجّهاتهم ، تعرّف على الآخر ضمن ما يعيشه من اختلافات معك .

ونقرأ في الآية السّابقة : "**لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**" ، فلا بدّ أن يكون الإنسان متّقيًا وعنده حالة التّقوى ، لا فقط الإنسان المسلم عنده حالة التّقوى ، حتّى غير المسلم عنده تقوى ، ومن التّقوى أن يكون الإنسان عادلًا .

"**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**" [(١)] .

"**اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**" ، كلّ إنسان يكون عنده العدل يكون إنسانًا متّقيًا ، حتّى لو لم يكن مسلمًا ، من يعطي حقوق الآخرين يكون إنسانًا متّقيًا ، فمن يكون متّقيًا يكون عادلًا ، فالعدل من ثمرات التّقوى .

ومن التّقوى أيضا قول الحقّ ولو على النّفس ، فمن يقول الحقّ يكون إنسانًا متّقيا .

"**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**" [(٢)] .

[(١)] المائدة : ٨ .

[(٢)] الأحزاب : ٧٠-٧١ .

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ" [1] .

"اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا" ، القول السّديد هو قول الحقّ ، فمن يقول الحقّ يكون إنسانًا متّقيًا ، لا فقط المسلم يقول الحقّ ، الآن في السّوق يشتكون ممّن اسمهم "مسلمون" ، يغشّون ويخدعون أكثر من غير المسلمين ، وهذا معروف في السّوق بشكل عامّ ، مثلًا الإنسان السّيخيّ لا يكذب ولا يغشّ ، وتأتي إلى إنسان عنوانه "مسلم" يغشّك ويخدعك ، أحد الإخوة كان عنده تجارة ، يقول أنا لا أشارك مسلمًا ، وأتعامل مع السّيخيّ لأنّه يتعامل بالصّدق والحقّ .

وأحد المؤمنين أعرفه شخصيًّا ، وكان عنده شريك سيخيّ ، يقول غبت لمدّة سنتين تقريبًا ، وحينما رجعت جاء شريكي السّيخيّ لي بمبلغ ، وقال لي إنّ هذه أرباحك خلال سنتين ، كان من الممكن أن يأخذ هذا المبلغ لنفسه ، ويقول بأنّك لا تطالبني بشيء ، وسألته : لماذا لا تتعامل مع المسلمين ؟

قال هذا هو وضع السّوق بشكل عامّ .

إنّ المسلم الّذي يغشّ هو مسلم بالهويّة ، ولو كان مسلمًا حقيقيًّا لكان ثقةً ، فالمسلم الحقيقيّ لا يغشّ ولا يكذب ولا يخدع ، ولا نقصد الطّعن بجميع المسلمين ، ولكن للأسف أنّ بعض الّذين اسمهم "مسلمون" هم هكذا ، ويؤثّرون على سمعة باقي المسلمين ، وهذا لا

---

[1] النّساء : ١٣٥ .

يعني أنّه لا يوجد بين غير المسلمين من يغشّ ، نحن نضرب مثالًا لنبيّن أنّ الإنسان المسلم لا بدّ أن يُعْرَفَ بسمعته الطّيّبة في السّوق ، وأنّه ثقة يمكن أن يُعْتَمَدَ عليه ، ولكن يأتي شخص أو شخصان أو ثلاثة ويشوّهون صورة باقي المسلمين ، ويقال بعد ذلك إنّ جميع المسلمين غشّاشون ، كما يقال الآن بأنّ المسلمين إرهابيّون .

ورأيت في بعض المواقع أو في الإنستغرام أنّ بعض التّجّار المسلمين يذهبون إلى الصّين ، والصّينيّ يستغرب ، يقول إنّ هذا المسلم يأتي إلينا ويطلب بضائع مقلَّدة للماركات العالميّة ، ولكن حينما نقدّم له الطعام يقول أنا لا آكل لحم حرام لأنّه غير مذبوح على الطّريقة الإسلاميّة .

إنّ سمعة المسلمين تتأثّر أمام غير المسلمين ، من جهة يريد أن يلتزم بالحكم الشّرعيّ بأن لا يأكل لحمًا حرامًا ، ومن جهة أخرى تقليد الماركات جائز عنده ، مع أنّ كلا العملين حرام .

وأحد المؤمنين أعرفه شخصيًّا هو أيضًا من التّجّار ، يقول ذهبت إلى اليابان ، والنساء كنّ يمددن أيديهنّ ليسلّمن عليّ ، فكنت أمتنع من مصافحتهنّ باليد ، يقلن بأنّك أنت أوّل مسلم يأتينا ولا يصافحنا باليد ، وكثير من المسلمين يأتون لزيارة اليابان ويصافحوننا بالأيدي .

إنّ المسلمين بشكل عامّ يتنازلون عن الأحكام الشّرعيّة .

إذن :

من التّقوى العدل ، ومن التّقوى قول الحقّ .

ومن التّقوى أيضا اجتناب الظّنّ السّيّئ والتّجسّس والغيبة ، وقد لا يكون الإنسان مسلمًا ، ولكنّه يجتنب الظّنّ السّيّئ ولا يتجسّس ولا يغتاب .

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ" [1] .

ذهبنا مرّة من جهة العمل إلى إيطاليا في دورة تدريبيّة ، والمسئولون في المصنع أخذونا إلى مطعم ، وأحد مسئولي المصنع بدأ يتكلّم عن مسئول آخر غير موجود معنا ، فمسئول ثالث قال إنّ هذا اغتياب ، فلا بدّ أن لا نغتاب من لا يكون موجودًا معنا .

هو إنسان غير مسلم ، ولكنه يعرف أنّ الغيبة غير صحيحة ، فلا يصحّ أن يُذْكَرَ شخص غائب بسوء .

إذن :

هذا الحكم ليس حكمًا إسلاميًّا فقط ، بل هذا حكم إنسانيّ عالميّ ، فمن القيم والمبادئ الإنسانيّة عدم سوء الظّنّ وعدم التّجسّس وعدم الاغتياب ، فليس مطلوبًا من المسلمين فقط الالتزام بهذه الأحكام ، بل هو مطلوب من غير المسلمين أيضًا لأنّها مبادئ إنسانيّة عامّة وإن كان الخطاب في الآية مُوَجَّهًا إلى المؤمنين **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا"** ، ولكن لا يوجد اختصاص بالمؤمنين ، والمعنى : يا أيّها

---

[1] الحجرات :١٢ .

النّاس اجتنبوا كثيرًا من الظّنّ إنّ بعض الظّنّ إثم ولا تجسّسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه مَيْتًا فكرهتموه واتّقوا الله إنّ الله توّاب رحيم .

إنّ المؤمنين في الآية من باب المثال ، فالمطلوب من المسلم وغير المسلم اجتناب الظّنّ السّيّئ والتّجسّس والغيبة ؛ لأنّها مبادئ إنسانيّة عامّة ، وسيأتي موضوع مستقلّ تحت عنوان "المبادئ والقيم الإنسانيّة في القرآن" ، ونحن نظنّ بأن هذه مبادئ وقيم إسلاميّة فقط ، ولكنّ الصّحيح أنّها مبادئ وقيم إنسانية عالميّة .

ومن التّقوى أيضًا عدم الاعتداء على الآخرين لا بالقول ولا بالفعل .

"وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" [1] .

حتّى في وقت القتال في ساحة المعركة أنت تقاتل ، ولكنّك لا تعتدي على الطرف الآخر ، فتلتزم بمبادئ القتال وقواعد الحرب وآداب الجهاد ، الحرب بينك وبين المقاتل ، وليس بينك وبين زوجته وأولاده ، أنت تقتله هو ، هذا قانون الحرب ، ولكن ليس من حقّك أن تقتل أطفاله ، ولا تقتل زوجته غير المشاركة بالحرب ، ولا تقتل العجائز وكبار السّنّ ، ولا تقتل الرّجال الّذين لم يحملوا السّلاح ولم يشاركوا بالقتال ، لذلك لا يجوز أن تقصف المدن الآهلة بالسّكّان ،

---

[1] البقرة : ١٩٠ .

نعم تقصف المعسكرات لأنّ فيها مقاتلين ، ولكن لا تقصف المدن الّتي فيها أبرياء ، وفي الحروب العالميّة لو تشاهدون الأفلام الوثائقيّة ترى الطائرة تأتي وتقذف القنابل على المدن ، والمدن تتدمّر ، وفي بلداننا المسلمة هذا الوضع موجود أيضًا ، ترى صورة المدينة قبل الحرب ، والصّورة بعد الحرب ، فالإرهابيّون دمّروا المنشئات والمدن ، وقتلوا الأبرياء ، بأيّ ذنب ؟!

تريد أن تقاتل تقاتل من يقاتلك فقط ، بشرط أن لا تكون معتديًا ، ففي الحرب توجد مبادئ إنسانيّة ، وهي ليست مبادئ إسلاميّة فقط ، ومبادئ الحرب وقواعد القتال وآداب الجهاد يجب الالتزام بها ، فالإنسان المتّقي لا يعتدي حتّى لو كان في ساحة الحرب .

"وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ" [1] .

نرى أنّ البرّ في مقابل الإثم ، والتّقوى في مقابل العدوان ، فمن التّقوى عدم الاعتداء على الآخرين لا قولًا ولا فعلًا ، حتّى من يقاتلك في ساحة المعركة تقاتله ، ولكن لا تعتدي عليه كما بيّنّا سابقًا في بحث "قاتلوا الّذين يقاتلونكم" .

إنّ هذه الصّفات من صفات الإنسان المتّقي ، سواء كان مسلمًا أم لم يكن مسلمًا ، فالإنسان المتّقي له صفات معيّنة ، والتّقوى صفة

---

[1] المائدة : ٢ .

إنسانيّة لا صفة إسلاميّة فقط ، فمن المبادئ الإنسانيّة أن يكون الإنسان متّقيًا ، والتّقوى مبدأ إنسانيّ ، وتوجد صفات للإنسان المتّقي ، وذكرنا بعض الأمثلة ، فقول الحقّ مطلوب من كلّ إنسان ، والصّدق مطلوب من الجميع ، وعدم سوء الظّنّ مطلوب من جميع النّاس ، وعدم الاعتداء مطلوب من كلّ إنسان ، والقرآن مُوَجَّهٌ إلى جميع النّاس لا إلى المسلمين فقط ، حتّى لو بدأ الخطاب بقول : "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا**" ، فهذا الخطاب خطاب عامّ ، ولكنّ المطلوب منك أيّها المؤمن أن تلتزم أكثر من غيرك ، فضلًا عن الخطابات الّتي تبدأ بقول : "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**" ، كقوله تعالى :

"**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**" [(١)] .

المطلوب من جميع النّاس أن يعبدوا الله الإله الخالق للكون ، طبعًا عن طريق الدّليل ، لنفرض أنّ الإنسان الملحد يقول بأنّه يوجد عنده دليل على عدم وجود الإله الخالق ، نقول له اعرض دليلك ، وبعض الملحدين مفكّرون يطرحون الأدلّة ويناقشون أدلّتك ، نحن لا نتكلّم عن الّذي يعاند أو الّذي يريد الانفلات من القيود ، هؤلاء لا يوجد عندنا نقاش معهم ، فمن يعاند أو من يريد الانفلات لا تناقشه لأنّك لا تصل معه إلى نتيجة ، والّذي يريد الانفلات ويقول أنا ملحد – لا تناقشه لأنّه ليس إنسانًا مفكّرًا ، لا يوجد عنده دليل ، وأمّا بعض

[(١)] البقرة : ٢١ .

الملحدين فإنهم يطرحون الأدلة ، مثلًا يقول إنّ ما يُسَيِّرُ الكون هو القوانين ، والقوانين لا تحتاج إلى إله ، وهذا دليله ، ولا بدّ أن نناقش هذا الدّليل ، ونطرح عليه سؤال : هل القوانين تسير بنفسها أو تحتاج إلى مُوجِدٍ وَمُدَبِّرٍ ؟

وأحد مذاهب المسلمين يقول بأنّ الله خلق الكون ووضع القوانين ثمّ ترك الكون والقوانين هي الّتي تدير الكون ، فالكون يحتاج إلى الله في نشوئه ، ولكن لا يحتاج إلى الله في استمراره ، وهذا رأي موجود عند بعض علماء المسلمين لا عند الملحدين فقط ، أو بعض الرّبوبيّين يعتقدون بوجود إله خلق الكون وجعل القوانين وترك الكون يسير على أساس هذه القوانين ، لا فقط الرّبوبيّون يقولون بهذا القول ، بل هو قول بعض علماء المسلمين أيضًا .

إذن المفكّرون من الملحدين لا بدّ أن نرى ما هي أدلّتهم ، ونناقش هذه الأدلّة ، مثلًا إذا قالوا بأنّ نظريّة التّطوّر تدلّ على عدم وجود إله فلا بدّ أن نأتي إلى نظريّة التّطوّر لنعرف ما قاله داروين وما هي النّتائج الّتي وصل إليها ، داروين قام بجهود كبيرة ، فهو مدّة خمس سنوات يبحث ، خرج من أوروبّا وذهب إلى أمريكا بواسطة السّفينة ، فقطع مسافة طويلة ، وقام بجهد جبار ، فعنده مزاج أن يبحث مدّة خمس سنوات ، أنت كمسلم لا يوجد عندك مزاج لأن تبحث في موضوع مدّة شهر واحد ، وهو وصل إلى بعض النّتائج ، لا تأخذ نظريّته أو فرضيّته ، وإنّما خذ الأبحاث الّتي أجراها والمعلومات

الّتي حصل عليها واعطنا نظريّة أخرى ، مثلًا رأى أنّه في عصر يوجد الضّفدع ، وفي العصر الّذي قبله كان يوجد السّمك ، هو استنتج أنّه يوجد تطوّر وانتقال من السّمكة إلى الضّفدعة ، خذ المعلومات الّتي حصل عليها واترك استنتاجاته واعطنا نظريّة أو فرضيّة أخرى ، استفد من جهوده ، ولكن اعطنا نظريّة أخرى أيّها المسلم ، هو لم يتعرّض لعدم وجود الإله ، ومن جاء بعده قال بأنّ نظريّة التّطوّر تدلّ على عدم وجود الإله .

وهناك بعض الإشكالات التي تَرِدُ على نظريّة التّطوّر ، مثلًا الخليّة الحيّة الأولى من أين أتت ؟

داروين لا يجيب على هذا السّؤال ، يبدأ من بعد الخليّة الحيّة الأولى وأنّها تتطوّر ، ولكن قبل الخليّة الحيّة الأولى من الّذي أوجدها ، لا يتعرّض بجواب لهذا السؤال .

طبعًا من يقول إنّ أصل الإنسان قرد لم يطّلع على نظريّة التّطوّر ، فداروين لا يقول إنّ أصل الإنسان قرد ، هو يقول بأنّه يوجد سلف مشترك بين الإنسان والقرد ، يعني الإنسان والقرد أبناء عمومة ، وليس القرد جدّ الإنسان ، فيوجد أصل مشترك ، وانقسم إلى نوعين : نوع الإنسان ونوع القرد ، ووجدوا جمجمة بين الإنسان والقرد ، وهم يقولون بأنّ هذا هو السّلف المشترك ، فأنت خذ ما وصلوا إليه واعط نظريّة أخرى بناء على كونك مسلمًا .

وقد وجدوا جماجم عمرها ملايين السّنوات ، ونحن في اعتقادنا أنّ

أبا البشر آدم عليه السّلام خُلِقَ قبل عشرة آلاف سنة تقريبًا ، ولكن توجد جماجم قبل ملايين السّنوات قبل وجود آدم عليه السّلام ، وهذا يحتاج إلى تفسير ، هم فسّروه وقالوا بأنّ هذا هو السّلف المشترك للإنسان والقرد ، له جمجمة ، لا هي جمجمة إنسان ولا جمجمة قرد ، وإنّما بينهما ، فهم وصلوا إلى بعض الاكتشافات ، وأنت كمسلم خذ هذه الاكتشافات واعط تفسيرًا آخر لها .

وبعض علماء المسلمين يقولون إنّ قابيل وهابيل تزوّجا من أختيهما ، مع أنّ قابيل قتل هابيل ، فهابيل لم يتزوّج لكي يستمرّ النّسل البشريّ ، وإذا تزوّج فإنّه لم يُنْقَلْ بأنّ زوجته ولدت طفلًا ، فيأتي السّؤال : كيف تناسلت البشريّة ؟

إنّ زواج الإخوان من الأخوات شيء مرفوض لأنّه قبيح وفيه مفسدة ، ويستحيل أن يشرّع الله القبيح وما فيه مفسدة ، فكيف حصل التّناسل بين البشر ؟

وحينما نصل إلى هذا الموضوع أبيّن لكم نظريّة تناسل البشريّة ، وتوجد أدلّة علمية على ذلك من خلال التّحليل الجينيّ ، فتوجد نسبة من الجينات من سلالة سابقة في جينات الإنسان ، ويمكننا أن نستفيد من الاكتشافات العلميّة الحديثة ، والتّفصيل في هذا الموضوع سيأتي في موضوع مستقلّ إن شاء الله تعالى ، وسأتناول فيه الآيات والرّوايات الواردة في كيفيّة تناسل البشر ، مع الرّجوع إلى الكتب السّماوية السّابقة من التوراة والإنجيل لنرى آراءهم في هذا الموضوع .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" [١] .

هذا أمر إلهيّ للمسلمين بل لجميع النّاس بأن يسيروا في الأرض ، وسوف يجدون الجواب على سؤال كيف بدأ الخلق ، وهذا الأمر من الواجبات المهمَلة عند المسلمين ، والآن في الغرب يطبّقون هذا الأمر القرآنيّ ، يذهبون إلى كلّ مكان ويكتشفون جماجم هنا وهناك ، في أثيوبيا وفي شرق آسيا ، يذهبون للبحث والتّنقيب ، والمسلمون أولى بذلك بسبب وجود الأمر الإلهي بالسّير في الأرض ، ولكن للأسف المسلمون مشغولون بأمور أخرى ، منشغلون بالدّنيا أكثر من بعض الأناس الغّربيّين والشّرقيّين .

ابحث وستصل إلى معرفة كيف بدأ خلق الإنسان ، هل أن أبانا آدم عليه السلام هو أوّل البشر أو يوجد آدم آخر قبل آدمنا كما في الرّوايات ؟ وهل أن آدم عليه السّلام هو أوّل مخلوق بشريّ أو أنّه يوجد بشر قبل آدم عليه السّلام ويكون آدم عليه السّلام مولودًا من بشر قبله ؟

هذا كلّه يحتاج إلى بحث وتنقيب في الأرض كما هو الأمر الإلهيّ والواجب المهمَل عند المسلمين .

---

[١] العنكبوت : ١٩-٢٠ .

ويقول القرآن الكريم :

"وَرَبُّكَ الغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ" [1] .

ما معنى هذه الآية الكريمة ؟

لم يبحث فيها أحد من المسلمين أو فكّر فيها أفراد معدودون بعدد أصابع اليد .

يفهم من الآية أنّ بني آدم مخلوقون من ذرّيّة قوم كانوا قبلهم ، وهذه الآية تحتاج إلى تفسير ، ومن الممكن أنّ شخصًا يأخذ هذه الآيات ويطرح نظريّة جديدة في خلق الإنسان ، وهذه آيات قرآنيّة ، ولكنّنا لم نلتفت إليها .

يقال إنّ آدم عليه السّلام خلق من طين ، فأول خلق من البشر كان آدم عليه السّلام ، ثمّ كيف بدأ النّسل البشريّ ؟

فيه اختلاف ، فبعض العلماء يتبنّى زواج الإخوان والأخوات ، ويقول بأنّ هذا حكم شرعيّ جاء لمصلحة البشر ، ثمّ نُسِخَ هذا الحكم إلى الحرمة ، ولكن لا يمكن قبول هذا الرّأي ، ولا بدّ أن نعطي البديل ونجيب عن سؤال : كيف بدأ النّسل البشريّ ؟

لا بدّ أن تفكّر في هذا الموضوع ، وبعض النّاس يعترضون ، ولكن لا يقدّمون البديل ، يقول إنّ رأيك مرفوض ، ومن يرفض رأيًا لا بدّ أن يأتي بجواب لهذا السّؤال ، لا أن يعترض فقط .

---

[1] الأنعام : ١٣٣ .

وبعض الّذين يرسلون رسائل لي يتعرّضون لبعض المواضيع الّتي أطرحها ويعترضون على بعض الآراء ، ويقولون إنّ هذا الرّأي غير معقول ، وهو ليس الحلّ الإسلاميّ ، فأسأله : وما هو الرّأي البديل ؟

اعتراضك جيّد ومقبول ، ولكن اذكر لي الرّأي البديل .

مثلًا يقول : لا توجد في الإسلام حرّيّة الاعتقاد ، فأقول له اذكر أوّلًا الأدلّة القرآنيّة والرّوائيّة واعطني النّتائج الّتي وصلت إليها ، وقلت بأنّني ذكرت عدّة آيات قرآنيّة تدلّ على حرّيّة الاعتقاد ، فيقول بأنّه توجد روايات تدلّ على عدم حرّيّة الاعتقاد ، أقول له إنّ نقاشنا قرآنيّ أوّلًا ، فيقول حكم قتل المرتدّ حكم ثابت في الرّوايات ، فقلت له بأنّ حكم قتل المرتدّ غير موجود في القرآن ، وأنت تقول في الرّوايات .

لا بدّ أن نأتي أوّلًا إلى القرآن ، ونؤسّس القواعد القرآنيّة ، وبعد ذلك نذهب إلى الرّوايات ، وقلنا إنّ الأحكام على أنواع ، بعضها أحكام شرعيّة ، وبعضها أحكام قضائيّة ، وبعضها أحكام ولائيّة سياسيّة ، وإذا قلت بأنّ هذا حكم دينيّ ، فأسألك : من أيّ أنواع الحكم لأنّ الأحكام ليست على نوع واحد ؟

والبعض بمجرّد ما يرى حكمًا يظنّ بأنّ هذا حكم شرعيّ ثابت غير قابل للتّغيّر ، وبيّنّا أنّه توجد أحكام تعبّديّة وأحكام تنظيميّة لتنظيم المجتمع ، فالأحكام على أنواع ، فلا بدّ أوّلًا أن تحدّد أنواع الأحكام ، وبعد ذلك تأتي وتبحث بأنّ هذا الحكم من أيّ نوع ،

وليست جميع الأحكام أحكامًا شرعيّة ثابتة غير قابلة للتّغيّر ، فبعض الأحكام كانت تناسب الظّروف الزّمانية والمكانية في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

مثلًا مسألة وجوب الزّكاة في الأنعام الثّلاثة والغلّات الأربعة والذّهب والفضّة المسكوكين ، هذه المصاديق مناسبة لتلك الظّروف ، ومصاديق الزّكاة تتغيّر بحسب ظروف كلّ مجتمع ، فلا بدّ أن ندرس الأحكام الدّينيّة بدقّة ، وأنّ هذا الحكم من أيّ نوع من الأحكام .

إذن :

المقدّمة الثّانية هي أنّنا نريد أن نصل إلى الحقائق بواسطة الأدلّة ، ولا تعترض فقط ، اذكر دليلك على الاعتراض ، وإذا قلت بأنّ هذه حقيقة فلا بدّ أن يكون عندك الدّليل على ما تظنّ أنّه حقيقة ، وتقبّل اختلاف الآراء ووجهات النّظر ، فهذا الدّليل أنت تفهم منه شيئًا ، وتصل إلى نتيجة ، وتقول بأنّ ما وصلتُ إليه هو الحقيقة ، وشخص آخر يفهم من نفس الدّليل نتيجةً أخرى ، ويقول بأنّها هي الحقيقة ، ولا بدّ أن نعرف أنّ نظريّات وقراءات وأفهام العلماء مختلفة ، وأنت لست المقياس للحقّ والباطل ، ولا بدّ أن تتقبّل اختلاف الآراء ، ونَاقِشِ الآراء بالدّليل ، لا فقط يقول إنّ هذا رأيي وأنا حرّ في تبنّي أيّ رأي ، وإذا سألته عن الدّليل ، يجيب لا يوجد عندي دليل على هذا الرّأي ، وهذا الجواب لا يكفي في النّقاش ، إذا تبنّيت رأيًا فلا بدّ أن يكون عندك الدّليل على صحّة هذا الرّأي .

وكذلك في تبنّي أنّ الإله موجود أو غير موجود لا بدّ أن يكون عندك الدّليل على تبنّي أحد الرّأيين ، والبحث في وجود الإله هو أهمّ بحث ، ويبدأ النقاش في أنّ الله موجود أو غير موجود قبل أن تناقش أيّ موضوع آخر .

إذن إذا ذكرت ما تظنّ أنّه حقيقة فاذكر الدّليل على هذه الحقيقة ، وتقبّل اختلاف الآراء في الدّليل الواحد أو في الدّليل المخالف ، لا فقط أن تأتي بآية قرآنيّة وتقول بأنّها تدلّ على حقيقة ، ولكن توجد آيات أخرى في نفس الموضوع ، ولم تأخذ بالآيات الأخرى .

وقلنا مثلًا الآية الكريمة : **أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ"** ، هذا دليل قرآنيّ على أنّ بني آدم مخلوقون من ذرّيّة قوم آخرين ، يعني أنّ آدم مخلوق من ذرّيّة قوم آخرين ، فكيف نوفّق بين أنّ آدم خُلِقَ من طين وبين أنّه خُلِقَ من ذرّيّة قوم آخرين ؟

هذا يحتاج إلى تدبّر وتأمّل وتفكّر لكي تصل إلى معرفة كيفيّة خلق آدم عليه السّلام .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

المصادر

القرآن الكريم .

الأمالي للشّيخ الطّوسيّ .

بحار الأنوار للعلّامة المجلسيّ .

تاريخ ابن كثير .

تاريخ الطّبريّ .

التّاريخ والمغازي للواقديّ .

تفسير ابن كثير .

تفسير الأمثل للشّيخ ناصر مكارم الشّيرازيّ .

تفسير الخازن .

تفسير الرّازيّ .

تفسير روح البيان لإسماعيل حقّي البروسوي .

تفسير روح المعاني للآلوسيّ .

تفسير القرطبيّ .

تفسير المنار لرشيد رضا .

تفسير الميزان للعلّامة الطباطبائيّ .

التّنبيه والإشراف للمسعوديّ .

جامع العلوم والحكم لأبي الفرج الحنبليّ .

الخصال للشّيخ الصّدوق .
روضة الصّفا لمير خواند .
سنن ابن ماجة .
سنن أبي داود .
السّنن الكبرى لأحمد بن شعيب النّسائيّ .
شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحرانيّ .
صحيح البخاريّ .
صحيح مسلم .
صيانة القرآن من التّحريف للشّيخ محمّد هادي معرفة .
طبقات ابن سعد .
عيون أخبار الرّضا للشّيخ الصّدوق .
الكافي للشّيخ الكلينيّ .
الكامل في التّاريخ لابن الأثير .
كنز العمّال للمتّقي الهنديّ .
محاضرات ودروس ولقاءات السّيّد كمال الحيدريّ .
محاضرات ولقاءات الشّيخ حسن فرحان المالكيّ .
مسند أحمد بن حنبل .
مسند الطّيالسيّ .
مصنّف عبدالرّزّاق .
معجم رجال الحديث للسّيّد أبي القاسم الخوئيّ .

المعجم الكبير للطّبرانيّ .

منطق القرآن للسّيّد كمال الحيدريّ .

الموسوعة االفقهيّة الميسّرة للشّيخ محمّد علىّ الأنصاريّ .

النّفي والتّغريب للشّيخ نجم الدّين الطّبسيّ .

النّهاية لابن الأثير .

نهج البلاغة للشّريف الرّضيّ .

نيل الأوطار للشّوكانيّ .

الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزيّ .

مواقع الإنترنت :

١- ar.m.wikipedia.org .

٢- www.sverigesrost.se ، صوت السّويد الصّفحة الرّسميّة لأخبار السّويد بالعربيّة .

محتويات الكتاب

عالميّة الإسلام – الجزء الثّالث

تعليق على محاضرات "عالميّة الإسلام" – الدّكتور أحمد الوايل ٥

(٢٨) تابع محاور القرآن الكريم ومنها مكانة المرأة ٦

المحور الخامس : المساواة أمام القانون ٦

المحور السّادس : جزاء كلّ من يعمل لا خصوص المسلم . . . ١٣

المحور السّابع : قتل النّفس المحترمة ١٩

المحور الثّامن : المسالم والمحارب ٢١

المحور التّاسع : مكانة المرأة في القرآن ٢٥

(٢٩) تابع مكانة المرأة في القرآن ٢٨

تنبيهات هامّة ٢٨

تابع المحور التّاسع : مكانة المرأة في القرآن ٣٨

(٣٠) ليس الذّكر كالأنثى ٤٩

توزيع المهامّ والمسئوليّات في المجتمع ٦٦

(٣١) المحور العاشر : لا إكراه في اعتناق الاعتقادات ٧٥

(٣٢) المحور الحادي عشر : من هو الكافر في القرآن ؟ ١١٠

بحث لغويّ : متعلَّق الإيمان والكفر ١١٧

المعنى اللّغويّ للكفر ١٢١

(٣٣) الكفر في القرآن ١٣٠
ملاحظة هامّة جدًّا : نظر الله إلى القلوب لا الألقاب . . . ١٤٧
(٣٤) قاتلوا الّذين يقاتلونكم ١٥٣
بحث لغويّ : ألف المفاعلة في "قاتل" ١٥٤
آيات القتال ١٥٨
قوانين القتال وقواعد الحرب وآداب الجهاد ١٥٩
أقسام الحروب الدّفاعيّة ١٦٢
قوانين القتال في الرّوايات الشّريفة ١٦٩
آية السّيف ١٧٧
(٣٥) قصّة غريبة عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله ١٨١
إبداع الاجتهاد ١٨٥
رحمة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسمل الأعين ١٨٩
آيات عن صفات النّبيّ صلّى الله عليه وآله ١٩٣
القصّة الغريبة عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله ١٩٤
أسئلة على القصّة ١٩٩
(٣٦) التّحقيق في القصّة الغريبة ٢٠١
مقدّمة هامّة : القوالب الفكريّة ٢٠٢
التّحقيق في القصّة الغريبة ٢٠٦
الرّوايات المعارِضة ٢٠٨
آراء فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السّلام في المحارب . . ٢١١
التّعليق الأوّل : نظام العقوبات في الإسلام ٢١٦

التّعليق الثّاني : دار الإسلام ودار الكفر ٢١٦
التّعليق الثّالث : هل بول الإبل صالح لعلاج الأمراض؟ . . ٢١٧
(٣٧) نظام العقوبات ونظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام . ٢٢٢
الرّأي الأوّل بناءً على عدم دخالة الزّمان والمكان في الأحكام٢٢٦
الرأي الثّاني بناءً على دخالة الزّمان والمكان في الأحكام . . ٢٢٨
النّوع الأوّل : الأحكام التّعبّديّة ٢٢٩
النّوع الثّاني : الأحكام التّنظيميّة ٢٣٠
القصاص صلاحيّة مَنْ : الفرد أو الحاكم ؟ ٢٤٠
هل نظام الحدود والعقوبات يقع ضمن الأحكام التّعبّديّة أو الأحكام التّنظيميّة ؟ ٢٤٥
غايات الأحكام ٢٤٩
(٣٨) الإله الخالق للكون : مقدّمات عامّة ٢٥٧
تنبيه هامّ : اختلاف الآراء ووجهات النّظر ٢٥٧
المقدّمة الأولى : النّصوص الدّينيّة للمسلم وغير المسلم . . . ٢٦٠
المقدّمة الثّانية : الوصول إلى الحقائق مع الدّليل ٢٦٤
(٣٩) الإله الخالق للكون : تابع المقدّمة الثّانية ٢٧٩
لوازم التّعارف بين النّاس ٢٨٩
المصادر ٣٠٦

صدر للمؤلّف :

١- خلاصة الحلقة الأولى والثّانية .

٢- دروس في علم الأصول - توضيح الحلقة الثّانية - ٥ أجزاء .

٣- دروس في علم الأصول - توضيح الحلقة الثّالثة - ١٠ أجزاء .

٤- الرّوضة النّديّة في توضيح اللّمعة الدّمشقيّة - الجزء الأوّل والثّاني .

٥- الفقه المبسّط - العبادات .

٦- القطر الشّافي - تجديد كتاب "شرح قطر النّدى" .

٧- الصّراع بين الحقّ والباطل .

٨- مقالات إيمانيّة - ١٠ أجزاء .

٩- عالميّة الإسلام - جزءان .

قريبًا :

١- عالميّة الإسلام - الجزء الرّابع .

٢- المنطق الوافي - توضيح خلاصة المنطق .